طبعة مميزة شملت أجمل
شروحات العلماء في التوحيد

فَتْحُ الْحَمِيد

لِشَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيد

الَّذِي هُوَ حَقُّ اللهِ عَلَى الْعَبِيد

تقديم فضيلة الشيخ الفقيه

أَبِي عَمَّار يَاسِر الْعَدَنِيِّ

حفظه الله تعالى

للفقير إلى عفو ربه

أَبِي سَعِيد مُخْتَار بن سَعِيد الْحَضْرَمِيِّ

دار الحديث السلفية بالحامي

المكتبة السلفية بالحامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

المكتبة السلفية بالحامي

☎ +967-5340739 +967-771429808

https://t.me/+Z29S6k5URAszMWE0

فتح الحميد

لشرح كتاب التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا
على الظالمين، والصلاة والسلام، على خير المرسلين
وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فهذا كتاب التوحيد وقول
الله تعالى وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون وقوله
ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت وقوله وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين
إحسانا الآيات وقوله قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا
تشركوا به شيئا الآيات وقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به
شيئا الآية قال ابن مسعود من أراد أن ينظر إلى وصية صلى
الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ قل تعالوا أتل ما حرم
ربكم عليكم إلى قوله وأن هذا صراطي مستقيما الآية وعن معاذ
ابن جبل قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال
لي يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على
الله فقلت الله ورسوله أعلم قال فإن حق الله على العباد أن يعبدوه
ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك
به شيئا فقلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس قال لا تبشرهم
فيتكلوا أخرجاه في الصحيحين فيه مسائل الأولى الحكمة في خلق
الجن والانس الثانية أن العبادة هي التوحيد لأن الخصومة
فيه الثالثة أن من لم يأت به لم يعبد الله ففيه معنى قوله ولا أنتم
عابدون ما أعبد الرابعة الحكمة في إرسال الرسل الخامسة أن

الر

صورة للصفحة الأولى من المخطوطة

وبين السما السابعة والكرسي خمسماية عام وبين الكرسي
والما خمسماية عام والعرش فوق الما والله فوق العرش لا
يخفى عليه شي من أعمالكم أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة
عن عاصم ابن زر عن عبد الله ورواه بنحوه المسعودي عن
عاصم عن أبي وائل عن عبد الله قال الحافظ الذهبي قال وله
طرق عن العباس عن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هل تدرون ما بين السما والارض قلنا الله
ورسوله أعلم قال بينهما خمسماية عام وبين السما السابعة مسيرة
بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السما والارض والله تعالى فوق
ذلك لا يخفى عليه شي من أعمال بني آدم أخرجه أبو داود وغيره
والله أعلم فيه مسائل الأولى تفسير قوله تعالى والارض جميعا
قبضته يوم القيامة الثانية أن هذه العلوم وأمثالها
باقية عند اليهود الذي في زمنه لم ينكروها ولم يتأولوها
الثالثة أن الحبر لما ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم صدقه
ونزل القرآن بتقرير ذلك الرابعة وقوع الضحك الكثير من
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الحبر هذا العلم العظيم
الخامسة التصريح بذكر اليدين وأن السموات في اليمنى وأن
الاراضين في الأخرى السادسة التصريح بتسميتها الشمال
السابعة ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك الثامنة قوله
كخردلة في كف أحدكم التاسعة عظم الكرسي بنسبته إلى
السموات العاشرة عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي الحادية عشر
أن العرش غير الكرسي الثانية عشر كم بين كل سما إلى سما الثالثة عشر
كم بين السما السابعة والكرسي وما بين الكرسي والما الرابعة عشر
أن العرش فوق الما الخامسة عشر أن الله فوق العرش السادسة عشر
كثف كل سما خمسماية عام السابعة عشر أن البحر الذي فوق علاه
وأسفله مسيرة خمسماية عام والله سبحانه وتعالى أعلم وقد تم
كتاب التوحيد لابن أبي جرة على يد الفقير محمد الانيس [illegible]
شهر ربيع الأول الاواحد وسبعون ومايتان والف من هجرة من له العز
والشرف صلى الله عليه وسلم

صورة للصفحة الأخيرة من المخطوطة

مُقَدِّمَةُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ أَبِي عَمَّارٍ يَاسِرِ الْعَدَنِيِّ حَفِظَهُ اللهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله، وَالصَّلَاةُ والسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ الله وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدِ اطَّلَعْتُ عَلَى تَحْقِيقِ وَتَعلِيقِ أَخِينَا الفَاضِلِ أَبِي سَعِيدٍ مُخْتَارِ بْنِ سَعِيدٍ الحَضْرَمِيِّ عَلَى **"كِتَابِ التَّوْحِيدِ"** لِلشَّيْخِ الإِمَامِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الوَهَّابِ النَّجْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، وَسَمَّاهُ: **"فَتْح الحَمِيد لِشَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيد"**، فَأَلْفَيْتُهُ عَمَلًا مُخْتَصَرًا يَفِي بِالمَطْلُوبِ.

فَجَزَى اللهُ أَخَانَا أَبَا سَعِيدٍ عَلَى هَذَا الجُهْدِ الَّذِي بَذَلَهُ لِإِخْرَاجِ الْكِتَابِ مُخْتَصَرًا سَهْلًا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَهُ.

أَبُو عَمَّار يَاسِر العَدَنِي

مسجد الاستقامة–المكلّا

٢٥/ ربيع الأوّل/ ١٤٤٥هـ

المُقَدِّمَةُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَمِنَ المَعْلُومِ لَدَى طَلَبَةِ الْعِلْمِ أَنَّ عِلْمَ التَّوحِيدِ أَشْرَفُ الْعُلُومِ وَأَعْلَاهَا قَدْرًا، وَأَنَّهُ أَسَاسُ الدِّينِ وَقِوَامُهُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنَ المَخْلُوقِينَ الْعِبَادَةَ إِلَّا بِهِ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[المائدة:٣٦].

وَلِأَهَمِّيَّةِ التَّوْحِيدِ، فَقَدْ أَلَّفَ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللهُ مُؤَلَّفَاتٍ كَثِيرَةً فِي هَذَا الْبَابِ، وَمِنْ جُمْلَةِ هَذِهِ الْمُؤَلَّفَاتِ: "كِتَابُ التَّوحِيدِ الَّذِي هُوَ حَقُّ اللهِ عَلَى الْعَبِيدِ" لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ الْعَلَّامَةِ الْمُجَدِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ التَّمِيمِيِّ النَّجْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وَهَذَا الْكِتَابُ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْكُتُبِ الْمُخْتَصَرَةِ فِي هَذَا الْبَابِ إِلَّا أَنَّهُ يَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهِ نَفْعًا عَظِيمًا، وَمَعَانِيَ جَلِيلَةً وَاضِحَةً، وَهُوَ فَرِيدٌ مِنْ نَوعِهِ.

وَلَـمَّا أَنَّ الْكِتَابَ مِنَ الْأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ، فَقَدْ شَرَحَ اللهُ فِي صَدْرِي الْقِيَامَ بِعِنَايَتِهِ، وَالتَّعْلِيقِ عَلَيهِ، وَشَرْحِ غَرِيبِهِ، وَقَدْ جَعَلْتُ بَعْضَهَا بَيْنَ مَعْقُوفَيْنِ

وَبعْضَهَا فِي الحَاشِيَةِ، كَمَا أَنَّنِي أَتْحَفْتُهُ بِأَقْوَالِ جَمْعٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، خَاصَّةً العَلَّامَةَ السَّعْدِيَّ وَالْعُثَيْمِينَ وَالْفَوْزَانَ وَالشَّيْخَ سُلَيْمَانَ آل الشَّيْخِ مُخْتَارًا أَجْمَلَ الْأَقْوَالِ وَأَوْضَحَهَا وَأَسْهَلَهَا، مِمَّا يَجْعَلُ الْبَادِئَ يَفْهَمُ الْكِتَابَ بِسُهُولَةٍ مُسْتَغْنِيًا بِهِ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ الْبَابِ؛ لِكَوْنِهِ اشْتَمَلَ عَلَى جُلِّ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ المَذْكُورِينَ، عَلَّ اللهَ ﷻ أَنْ يَسْتُرَ بِذَلِكَ عَيبًا، أَوْ يَغْفِرَ بِهِ ذَنْبًا.

وَغَالِبُ مَا جَاءَ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنَ التَّعَالِيقِ مُسْتَفَادٌ مِنْ "فَتْح المَجِيدِ"، و"مجموع الفتاوى"، وتَحْقِيقِ أَخِينَا رَدْمَانَ الحُبَيْشِيِّ حَفِظَهُ اللهُ لِـ"كِتَابِ التَّوحِيدِ"، وَ"التَّعْرِيفَات"، وَ"مُجْمَل اللُّغَةِ"، وَدُرُوسِ مَشَايِخِنَا الكِرَام حَفِظَهُمُ اللهُ، وَ"الْقَوْل السَّدِيد"، و"الْقَول المُفِيد"، و"إِعَانَة المُسْتَفِيد"، لَاسِيَّما الكُتُب الثَّلَاثَة الأَخِيرَة، حَتَّى أَنَّنَا لَمْ نَذكُر المَرَاجِعَ فِي كَثِيرٍ مِن مَوَاطِنِهَا؛ لِكَثرَة تَكَرُّرِهَا.

عَمَلِي فِي هَذَا الْكِتَابِ

١- طَابَقْتُهُ بِمَخْطُوطَةٍ خَطِّيَّةٍ لِلإِمَامِ رَحِمَهُ اللهُ، مَكْتُوبٌ عَلَى طُرَّتِهَا: (لِعَبْدِ اللهِ ابْنِ أَبِي جَمْرَةَ) -وَهُوَ خَطَأٌ مِنَ النُّسَّاخِ- وَخَمْسِ نُسَخٍ مَطْبُوعَةٍ.

٢- عَزَوْتُ الْأَحَادِيث لِلْإِمَامَيْنِ الجَلِيلَيْنِ الْأَلْبَانِيِّ وَالْوَادِعِيِّ رَحِمَهُمَا اللهُ، مَا لَمْ تَكُنْ فِي "الصَّحِيحَيْنِ" أَوْ أَحَدِهِمَا، وَخَرَّجْتُ مَا لَمْ أَجِدْ عِنْدَهُمَا.

٣- تَرْجَمْتُ لِلصَّحَابَةِ وَغَالِبِ الأَئِمَّةِ الَّذِينَ وَرَدَتْ أَسْمَاؤُهُمْ فِي أَحَادِيثِ وَآثَارِ الأَبْوَابِ، وَلَمْ أَذْكُر مَصَادِرَ التَّرَاجِمِ كَثِيرًا؛ لِكَونِهَا مُخْتَصَرَةً مِن كُتُبٍ مُخْتَلِفَة.

وَمَعَ هَذَا فَلَيْسَ الْكِتَابُ لِمُجَرَّدِ التَّحْقِيقِ، بَلْ حَاوَلْتُ فِيهِ تَفْكِيكَ الْعِبَارَاتِ الصَّعْبَةِ مَعَ تَشْكِيلِي إِيَّاهُ وَذِكْرِ كَثِيرٍ مِنَ المَسَائِلِ وَالتَّقْسِيمَاتِ وَالتَّعْرِيفَاتِ، وَتَقْرِيبِ المَادَّةِ وَتَسْهِيلِهَا لِلْبَادِئِ وَمَنْ أَرَادَ تَدْرِيسَهُ مِنْ أَئِمَّةِ المَسَاجِدِ بَيْنَ الأَذَانِ

وَالإِقَامَةِ، أَوْ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَةِ؛ حِفْظًا لِلْعِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ، وَتَقَرُّبًا إِلَى اللهِ ﷻ.

وفي الختام: لَا أَنْسَى شُكْرِي لِكُلِّ مَنْ أَعَانَنِي فِي هَذَا الْكِتَابِ "فَتْح الحَمِيد لِشَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيد"، سَوَاء كَانَ ذَلِك بِإِفَادَةٍ أَوْ دِرَاسَةٍ أَوْ مَشُورَةٍ أَوْ تَشْجِيع أَوْ تَنْبِيهٍ، أَوْ مُرَاجَعَةٍ، أَوْ تَصْحِيحٍ وَتَضْعِيفٍ، كَالشَّيْخِ الْفَاضِلِ الْعَلَّامَةِ الْمُحَدِّثِ النَّاصِحِ الأَمْينِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ الحَجُورِيِّ حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى وَبَارَكَ فِيهِ، وَالشَّيْخِ الْفَاضِلِ العلَّامَةِ الْفَقِيهِ الْوَقُورِ الصَّبُورِ أَبِي عَمَّار يَاسِر الْعَدَنِيِّ حَفِظَهُ اللهُ، وَالشَّيْخِ الْفَاضِلِ العلَّامَةِ النَّحْوِيِّ أَسَدِ السُّنَّةِ أَبِي بِلَالٍ خَالِدِ بْنِ عُبُودٍ بَاعَامِر الحَضْرَمِيِّ حَفِظَهُ اللهُ، وَالشَّيْخِ الْفَاضِلِ أَبِي مُصْعَب سَامِي حَقَصْ الحَضْرَمِيِّ حَفِظَهُ اللهُ، وَالشَّيْخ الفَاضِلِ الْوَقُورِ أَبِي زرْعَةَ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ يُوسُفَ الْعَامِرِيِّ حَفِظَهُ اللهُ، وَآخَرِينَ.

فَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَحْفَظَنَا وَإِيَّاهُمْ، وَيَغْفِرَ لَنَا وَلَهُمْ وَلِجَمِيعِ عُلَمَائِنَا؛ إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيهِ، وَالحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَكَتَبَهُ
الفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ
أَبُو سَعِيدٍ مُخْتَارُ بْنُ سَعِيدٍ الحَضْرَمِيُّ
دَارُ الحَدِيثِ السَّلَفِيَّةِ بِالحَامِي
٢٧/ شعبان/ ١٤٤٣هـ



تَرْجَمَةُ الإِمَامِ المُجَدِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّجْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ

هُوَ شَيخُ الْإِسْلَامِ الْمُجَدِّدُ الْعَلَّامَةُ شَمْسُ الدِّينِ مُحْيِي السُّنَّةِ، وَحِيدُ زَمَانِهِ أَبُو عَلِيٍّ الشَّيخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبدِ الْوَهَّابِ بْنِ الشَّيخِ سُلَيْمَانَ بْنِ عُقْبَةَ الحَنْظَلِيُّ التَّمِيمِيُّ[1] النَّجْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وُلِدَ سَنَةَ: (١١١٥هـ) فِي بَلْدَةِ (الْعُيَينَة) مِنْ أَرْضِ (نَجْدٍ). قَرَأَ الْقُرْآنَ قَبْلَ بُلُوغِهِ الْعَشْرَ، وَكَانَ حَادَّ الْفَهْمِ، سَرِيعَ الْإِدْرَاكِ، يَتَعَجَّبُ أَهْلُهُ مِنْ فِطْنَتِهِ وَذَكَائِهِ. أَخَذَ عَنْ وَالِدِهِ وَغَيرِهِ، ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَى (الْبَصْرَةِ) وَغَيرِهَا، فَأَخَذَ الْعِلْمَ الْكَثِيرَ عَنْ عُلَمَائِهَا، ثُمَّ رَجَعَ قَاصِدًا حَجَّ بَيتِ اللهِ الحَرَامِ، فَرَأَى فِي طَرِيقِهِ مَا كَانَ عَلَيهِ النَّاسُ مِنَ الجَهْلِ بِالتَّوْحِيدِ وَعِبَادَةِ الْقُبُورِ، فَسَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُظْهِرَ الدِّينَ الْحَقَّ عَلَى يَدَيْهِ وَأَنْ يَرْزُقَهُ الْقَبُولَ مِنَ النَّاسِ، فَقَصَدَ بَعْدَهَا مَدِينَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَضَرَ عِنْدَ عُلَمَائِهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بِلَادِهِ (حُرَيْمِلَاءَ) بِـ(نَجْدٍ)، وَدَعَا إِلَى السُّنَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، فَرَزَقَهُ اللهُ الْقَبُولَ مِنْ قَوْمِهِ، ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَى (الْعُيَينَةَ)، وَأَزَالَ مَا فِيهَا وَالْقُرَى الْمُجَاوِرَةِ لَهَا مِنَ الْقِبَابِ، وَالْمَسَاجِدِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى قُبُورِ الصَّحَابَةِ، حَتَّى وَصَلَ الْأَمْرُ بِهِ إِلَى (الدُّرَعِيَّةِ)، وَتَلَقَّى فِيهَا الْإِمَامَ مُحَمَّدَ بْنَ سُعُودٍ، وَبَادَرَهُ بِالْقَبُولِ، فَأَقَامَ اللهُ بِهِمَا عَلَمَ الْجِهَادِ، وَاسْتَصْرَخَ عَلَيهِمْ أَهْلُ نَجْرَانَ وَالْحِجَازِ وَغَيرِهِمْ، فَثَبَّتَهُمُ اللهُ وَنَصَرَهُمْ عَلَى قِلَّةٍ مِنْهُمْ، فَفَرِحَ بِهِ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالصَّلَاحِ، وَلَـمَّا سَمِعَ عَنْهُ قَاضِي صَنْعَاءَ -أَعْنِي: الْعَلَّامَةَ الشَّوْكَانِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- **قَالَ فِيهِ:**

لَقَـدْ أَشْرَقَـتْ نَجْـدٌ بِنُـورِ ضِـيَائِهِ ... وَقَـامَ مَقَامَـاتِ الْهُـدَى بِالـدَّلَائِلِ

---

(١) نسبةٌ إلى (تميم بن مر)، وهو جدُّه الأعلى الثاني والثلاثون، وهو يلتقي مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جده السادس والثلاثين (إلياس بن مضر).

فَـــمَا هُـــوَ إِلَّا قَـــائِمٌ فِي زَمَانِـــهِ ... مَقَـــامَ نَبِـــيٍّ فِي إِمَاتَـــةِ بَاطِـــلِ

وَقَالَ -أَيْضًا- الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الصَّنْعَانِيُّ عَنْهُ:

وَقَـدْ جَـاءَتِ الْأَخْبَـارُ عَنْـهُ بِأَنَّـهُ ... يُعِيدُ لَنَا الشَّـرْعَ الـشَّرِيفَ بِمَا يُبْـدِي

وَيَنْشُرُ جَهْرًا مَا طَـوَى كُـلُّ جَاهِـلٍ ... وَمُبْتَـدِعٍ مِنْـهُ فَوَافَـقَ مَـا عِنْـدِي

بَلْ كَانَ مَعَ هَذَا مُصْلِحًا كَبِيرًا، كَثِيرَ الْعِبَادَةِ، كَثِيرَ الدُّرُوسِ، يُرْحَلُ إِلَيْهِ مِنْ بِلَادٍ شَتَّى، فَقَدْ تَخَرَّجَ عَلَى يَدَيهِ جَمْعٌ غَفِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، نَاهِيكَ عَنْ مُصَنَّفَاتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي تَفُوقُ الثَّلَاثِينَ عَدَدًا.

تُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَأَسْكَنَهُ الْفِرْدَوسَ الْأَعْلَى سَنَةَ: (١٢٠٦هـ)[١].



(١) انظر: "حاشية كتاب التوحيد" (١/ ١).

بِسْمِ[(١)] اللهِ[(٢)] الرَّحمنِ الرَّحِيمِ[(٣)]

الحَمْدُ[(٤)] لله، وَصَلَّى اللهُ[(٥)] عَلَى مُحَمَّدٍ[(٦)] وَعَلَى آلِهِ[(٧)] وَسَلَّمَ[(٨)].

كِتَابُ[(٩)] التَّوْحِيدِ[(١٠)]

وَقَولِ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ[(١١)] وَٱلْإِنسَ[(١٢)] إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وَقَولِهِ تَعالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ[(١٣)] رَّسُولًا أَنِ

---

(١) **الباء**: للاستعانة، والتقدير: (بسم الله أؤلف)، أو (بسم الله أفعل كذا وكذا مستعينًا بذكره متبركًا به). **والاسم**: مأخوذ من (السمو)، وهو العلو والظهور والارتفاع.

(٢) **لفظ الجلالة**: من أسماء الله الخاصة، وأصله: (الإله)، فحذفت الهمزة؛ لكثرة الاستعمال، وأدغم اللام في اللام، فصار كما ترى.

(٣) **الرحمن**: اسم دال على صفة قائمة به سبحانه. **والرحيم**: اسم دال على تعلقها بالمرحوم.

(٤) وَهُوَ ذكر محاسن المحمود مع المحبة والتعظيم.

(٥) **قال العلَّامة ابن القيم** رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: **فصلاة الله عليه**: ثناؤه وإرادته لرفع ذكره وتقريبه، **وصلاتنا نحن عليه**: سؤالنا اللهَ تعالى أن يفعل ذلك به. اهـ "جلاء الأفهام" (١٦٢).

(٦) وله أسماء أخرى، كـ(أَحْمَد)، و(الماحي).

(٧) **المراد بـ(الآل) -هنا-**: من تحرم عليهم الصدقة، وَهُم أهلُ بَيتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ممن كَانَ عَلَى هديه.

(٨) **قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة** رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: والسلام عليه يتضمن سلامته من كل آفة، فقد جمعت الصلاة عليه والتسليم جميع الخيرات. اهـ "الصارم المسلول" (٤٢٠).

(٩) أي: المكتوب.

(١٠) مصدر: (وَحَّدَ، يُوَحِّدُ، تَوْحِيدًا).

(١١) **الجن**: عالم غيبي مخفي عن البشر.

(١٢) هو من يأنس بغيره.

(١٣) **الأُمَّة**: **لها عشرة معانٍ، أشهرُها**: ١- الجماعة، كما في هذه الآية. ٢- فترة من الزمن، كقوله تعالى: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾. ٣- الإمامة في الدين، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[النحل:١٢٠]. ٤- الملة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾[الزخرف:٢٣]. **والمراد بها -هنا-**: الأول.

﴿اعْبُدُوا(١) اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ(٢)﴾[النحل:٣٦]، وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَضَى(٣) رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[الإسراء:٢٣-٢٤]...الْآيَةَ، وَقَولِهِ: ﴿وَاعْبُدُوا(٤) اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[النساء: ٣٦]...الْآيَةَ، وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ [أي: مِنْ فَقْرٍ] ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ [أي: القبائح] ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ(٥) وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ(٦) تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ(٧) إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ(٨) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي

---

(١) أي: تذلَّلوا واخضعوا لله. **والعبادة:** هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه.

(٢) **الطاغوت:** كُلُّ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ. "إعلام الموقعين" (١/ ٤٠).

(٣) **ينقسم القضاء إلى قسمين:** كوني، وهو: ما لا بد من وقوعه، أحبه الله أم لم يحبه، مع اعتقادنا أن الذي قضاه هو الله ﷻ، كقوله تبارك وتعالَى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[الإسراء:٤]. وشرعي، وهو: ما يجوز وقوعه من المقضي عليه وعدمه، ولا يكون إلا فيما يحبه الله ﷻ، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[الإسراء:٢٣]، **ومعنى (قضى)**: أي: شرع. **وقيل**: وصَّى. **وقيل**: أَمَرَ.

(٤) **العبادة عَلَى ثلاثة أقسام:** ١- **عبودية خاصة**، وهي العبادة الشَّرعيَّة التي يتميَّزُ بها عبادُ الله. ٢- **عبودية عامة**، وهي كونُ الخلقِ جميعًا عبيدًا لله ﷻ، شاءُوا أم أَبوا. ٣- **عبودية خاصة الخاصة**، وهي أن لا يبقى فِي القلب شيءٌ لغير الله ﷻ، وهَذَا اللَّفظُ دخيلٌ، إلَّا أنَّه يوضحُ المعنى.

(٥) الإشارة عائدة إلى المحرمات.

(٦) (لعل) فِي القرآن تعليلية، أي: لكي تعقلون. قاله ابن القيم.

(٧) **قال العلامة العثيمين** رَحِمَهُ اللهُ في كتابه "القول المفيد" (١/ ٥٠٣): **اليتيم**: هو الذي مات أبوه قبل بلوغه، سواء كان ذكرًا أم أنثى، أمَّا من ماتت أمه قبل بلوغه فليس يتيمًا لا شرعًا ولا لغةً؛ لأن اليتيم مأخوذ من (اليتم)، وهو الانفراد، أي: انفرد عن الكاسب له؛ لأن أباه هو الذي يكسب له.

(٨) أي: حَتَّى يزول سفهه وسوء تصرُّفِهِ.

مُسْتَقِيمًا[١] فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ﴾ [أي: الأهواء والبدع] ﴿فَتَفَرَّقَ [أي: فتميل وتشتت] ﴿بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه[٢]: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي عَلَيهَا خَاتَمُهُ[٣] فَلْيَقْرَأْ قَولَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، إِلَى قَولِهِ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾...الْآيَةَ.[٤]

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه[٥]، قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ[٦] النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ[٧]، فَقَالَ لِي: «**يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى الْعِبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى الله؟**»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**حَقُّ الله عَلَى الْعِبَادِ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا**

---

(١) **مستقيمًا**: حال من (الصِّراط). **والصراط**: هو ما كَانَ موصوفًا بخمسة أوصاف: أن يكون مستقيمًا، سهلًا، واسعًا، مسلوكًا، موصِلًا إلى المقصود.

(٢) وهو: أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي. كان فقيهًا ورعًا من أعلم أصحاب رسول الله ﷺ، وقد ولِيَ القضاء، وبيت المال. شهد بدرًا وهاجر الهجرتين، وقد تلقَّن من فِيِّ رسول الله ﷺ سبعين سورةً. مات سنة: (٣٢). **قال أبو الدرداء** رضي الله عنه: ما ترك بعده مثله.

(٣) أي: توقيعه. **وقيل**: آخر وصيته.

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي برقم: (٣٠٧٠)، بلفظ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الصَّحِيفَةِ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلْيَقْرَأْ هَذِهِ الْآيَاتِ**»، والطبراني في "كبيره" برقم: (١٠٠٦٠)، بلفظ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ صَحِيفَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ**»، كِلاهُما من طريق محمَّد بن فُضَيل، عن داود الأَودي، عن الشعبي عن علقمة، عن عبد الله، وداود هذا هو ابن عبد الله، ثقة، لا كما ظنه بعضهم أنه داود بن يزيد، فداود بن يزيد لا رواية له في سنن الترمذي، كما رجح ذلك الحافظ المزي رحمه الله.

(٥) هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الخزرجي الأنصاري. شهد بدرًا وهو ابن عشرين سنة. **قال عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه: كان أمةً قانتًا لله حنيفًا، وكان إمامًا ربَّانيًّا، يُنْتَهَى إليه في العلم. مات رضي الله عنه سنة: (١٨).

(٦) أي: راكبًا معه في الخلف.

(٧) وكَانَ يسمَّى بـ(عُفَير).

يُشْرِكُوا[١] بِهِ شَيئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ[٢]: أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيئًا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا[٣]». أَخْرَجَاهُ فِي "الصَّحِيحَينِ"[٤].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: الحِكْمَةُ فِي خَلْقِ الجِنِّ وَالْإِنْسِ. **الثَّانِيَةُ**: أَنَّ الْعِبَادَةَ هِيَ التَّوحِيدُ؛ لِأَنَّ الخُصُومَةَ فِيهِ. **الثَّالِثَةُ**: أَنَّ مَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ[٥] لَمْ يَعْبُدِ اللهَ، فَفِيهِ مَعْنَى قَولِهِ: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾[الكافرون:٣]. **الرَّابِعَةُ**: الحِكْمَةُ فِي إِرْسَالِ الرُّسُلِ[٦]. **الخَامِسَةُ**: أَنَّ الرِّسَالَةَ عَمَّتْ كُلَّ أُمَّةٍ. **السَّادِسَةُ**: أَنَّ دِينَ الْأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ. **السَّابِعَةُ**: المَسْأَلَةُ الْكَبِيرَةُ: أَنَّ عِبَادَةَ اللهِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ، فَفِيهِ مَعْنَى قَولِهِ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾[البقرة:٢٥٦]..الْآيَةَ. **الثَّامِنَةُ**: أَنَّ الطَّاغُوتَ عَامٌّ فِي كُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ[٧]. **التَّاسِعَةُ**: عِظَمُ شَأْنِ الثَّلَاثِ الْآيَاتِ المُحْكَمَاتِ[٨] فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ عِنْدَ السَّلَفِ، وَفِيهَا عَشْرُ مَسَائِلَ: أَوَّلُهَا: النَّهْيُ عَنِ الشِّرْك. **الْعَاشِرَةُ**: الْآيَاتُ المُحْكَمَاتُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ، وَفِيهَا

---

(١) قال العلَّامة الفوزان حَفِظَهُ اللهُ: الشِّرك: هو جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وإلهيته. والغالب الإشراك في الألوهية بأن يدعو مع الله غيره، أو يصرف له شيئًا من أنواع العبادة، كالذبح، والنذر، والخوف، والرجاء، والمحبَّة. "التوحيد" (١/ ١٠).

(٢) أي: أوجبه الله عَلَى نفسه، ولم يوجبه أحد عليه.

(٣) أي: يتركوا العمل الصالح.

(٤) البخاري: (٢٨٥٦،٧٣٧٣)، ومسلم: (٣٠) (٤٩)، من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٥) أي: هَذَا النوع من التوحيد.

(٦) وأعظمها العبادة.

(٧) ونُقل هَذَا القول عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ.

(٨) كما دلَّ عليه حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ السَّابِق.

ثَمانِيَ عَشرَةَ مَسْأَلَة، بَدَأَهَا اللهُ بِقَولِهِ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾[الإسراء:٢٢]، وَختَمَهَا بِقَولِهِ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾[الإسراء:٣٩]، وَنَبَّهَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى عِظَمِ شَأْنِ هَذِهِ المَسَائِلِ بِقَولِهِ: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾[الإسراء:٣٩]. **الحَادِيَةُ عَشرَةَ:** آيَةُ سُورَةِ النِّسَاءِ الَّتِي تُسَمَّى: (آيَةَ الحُقُوقِ العَشَرَةِ)، بَدَأَهَا اللهُ تَعَالَى بِقَولِهِ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[النساء ٣٦] الْآيَةَ. **الثَّانِيَةُ عَشرَةَ:** التَّنْبِيهُ عَلَى وَصِيَّةِ رَسُولِ الله ﷺ عِنْدَ موتِهِ. **الثَّالِثَةُ عَشرَةَ:** مَعْرِفَةُ حَقِّ الله تَعَالَى عَلَينَا. **الرَّابِعَةُ عَشرَةَ:** مَعْرِفَةُ حَقِّ الْعِبَادِ عَلَيهِ[(١)] إِذَا أَدَّوْا حَقَّهُ. **الخَامِسَةُ عَشرَةَ:** أَنَّ هَذِهِ المَسْأَلَةَ لَا يَعْرِفُهَا أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ[(٢)]. **السَّادِسَةُ عَشرَةَ:** جَوَازُ كِتْمَانِ الْعِلْمِ لِلْمَصْلَحَةِ[(٣)]. **السَّابِعَةُ عَشرَةَ:** اسْتِحْبَابُ بِشَارَةِ المُسْلِمِ بِمَا يَسُرُّهُ. **الثَّامِنَةُ عَشرَةَ:** الخَوفُ مِنَ الِاتِّكَالِ عَلَى سَعَةِ[(٤)] رَحْمَةِ الله. **التَّاسِعَةُ عَشرَةَ:** قَولُ المَسْؤُولِ عَمَّا لَا يَعْلَمُ: (اللهُ وَرَسُولهُ أَعْلَمُ)[(٥)]. **الْعِشْرُونَ:** جَوَازُ تَخْصِيصِ بَعْضِ النَّاسِ بِالْعِلْمِ دُونَ بَعْضٍ. **الحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ:** تَوَاضُعُهُ ﷺ لِرُكُوبِ الحِمَارِ، مَعَ الْإِرْدَافِ عَلَيهِ. **الثَّانِيَةُ والْعِشْرُونَ:** جَوَازُ الْإِرْدَافِ عَلَى الدَّابَةِ. **الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ:** فَضِيلَةُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ. **الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ:** عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ المَسْأَلَةِ.



---

(١) وَهوَ أن لا يعذب من لا يُشْرِك به شيئًا.

(٢) لأمر النبي ﷺ بإخفائها؛ كراهية الاتكال.

(٣) كالخوف من الفتن، لاسيما أحاديث الرجاء عند العصاة.

(٤) بفتح السين، كقوله تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾[البقرة:٢٤٧].

(٥) هَذَا مما علمه الرسول ﷺ وذكره فِي حياته، كذكره خروج الدجال ونحوه، فلك فِي نحو هَذَا أن تقول: (اللهُ وَرَسُولهُ أعلم)، أما بعد مماته فيُكتَفى بـ(الله أعلم).

١- بَابُ[(١)] فَضْلِ التَّوحِيدِ وَمَا يُكفِّرُ مِنَ الذُّنُوبِ

وَقَولِ الله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ﴾ [أي: يَخْلِطُوا] ﴿إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [أي: بِشِركٍ] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ[(٢)] وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[الأنعام:٨٢].

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه[(٣)]، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ[(٤)] أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ[(٥)] وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى[(٦)] عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ[(٧)] أَلْقَاهَا[(٨)] إِلَى مَرْيمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ

---

(١) وهو لغةً: المدخل إلى الشيء. واصطلاحًا: اسمٌ لجملةٍ من العلم تحته أصول ومسائل غالبًا.

(٢) الأمن أمنان: تام وناقص، والناس فيه بحسبه، أي: بحسب إيمانهم وأعمالهم.

(٣) وهو: ابن قيس بن ثعلبة بن غنم الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد، أخو أوس بن الصامت. شهد العقبة، أحد من جمع القرآن من أعيان البدريين. ولي قضاء فلسطين، وسكن الشام. كان رجلًا طوالًا جسيمًا جميلًا. توفي سنة: (٣٤)، وقيل: (٤٥) وهو ابن (٧٢) سنة ببيت المقدس، وقيل: بالرملة.

(٤) أي: عَلِمَ واعترفَ.

(٥) وَصَفَهُ بالعبودية فِي أشرف المقامات ونزول الوحي.

(٦) واختُلِف في عيسى عليه السلام إلى ثلاثة طرق: بين غالٍ وجافٍ ووسطٍ:

- فأمَّا الغلاة -وهم النَّصارى-: فمنهم من يدَّعي أنَّه هو الله، قال الله عز وجل فيهم: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾[المائدة:٧٢]، ومنهم من يدَّعي أنَّه ابن الله، قال الله عز وجل عنهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ﴾[التوبة:٣٠]، ومنهم من يدَّعي أنَّه ثالث ثلاثة، قال الله عز وجل عنهم: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾[المائدة:٧٣].
- وأما الجفاة -وهم اليهود-: فاتَّهموه بأنَّه ابن زنى والعياذ بالله، قال الله عز وجل عنهم: ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا * يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾[مريم:٢٧-٢٨].
- وأمَّا الوسط -وهم أهل الإسلام-: فآمنوا بأنَّه عبد الله ورسوله، كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ﴾[النساء:١٧١].

(٧) وهذه الكلمة هي قوله: (كن)، والإضافة هنا للتشريف.

(٨) أي: وجَّهها.

حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ». أَخْرَجَاهُ[(١)]. وَلَهُمَا فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ[(٢)] رضي الله عنه: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّـارِ[(٣)] مَنْ قَالَ: (لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ)، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»[(٤)].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ[(٥)] رضي الله عنه، عَنْ رَسُول اللهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ مُوسَى عليه السلام: يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ[(٦)]. قَالَ: قُلْ -يَا مُوسَى-: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ). قَالَ: يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا. قَالَ: يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرُهُنَّ غَيرِي، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، وَ(لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)». رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ والحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ[(٧)].

---

(١) البخاري: (٣٤٣٥)، ومسلم: (٢٨)، والسياق المذكور هنا للبخاري.

(٢) عتْبَان بن مَالك بن عَمْرو الخزرجي. بَدْرِي كَبِيرُ الْقَدرِ. روى لَهُ البُخَارِيُّ وَمُسلم وَالنَّسَائِيُّ وَابْن ماجة. تُوفِّي فِي حُدُود السِّتين لِلْهِجْرَةِ. "السيرة النبوية" للحافظ ابن كثير (٢/ ٥٠١).

(٣) أي: خلودًا.

(٤) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري: (٥٤٠١) واللفظ له، ومسلم فِي كتاب المساجد: (٢٦٣)، (باب الرخصة فِي التخلف عن الجماعة لعذر).

(٥) هو: سعد بن مالك الأنصاري، ويشاركه فِي هَذَا الاسم اثنان من الصحابة، وَهُوَ من أصغرهم، كان من أصحاب الشجرة. **قال الذهبي رحمه الله عنه:** كان فقيهًا نبيلًا، من فضلاء الصحابة، قُتِل أبوه يوم أُحُد، مات سنة: خمسٍ وستِّين. "الإصابة" (٣/ ٦٥).

(٦) أي: أتوسل به إليك.

(٧) **ضعيف:** من أجل درَّاج بن سمعان أبي السَّمح؛ فهو ضعيف، وروايته عن أبي الهيثم فيها ضعف، نصَّ على ذَلِكَ الإمام أَحْمَدُ وأبو داود كما في "التهذيب"، وقد ضعَّف الحديث الشيخ الألباني رحمه الله فِي "ضعيف الترغيب والترهيب" برقم: (٩٢٣)، والوادعي رحمه الله فِي تتبعه لأوهام الحاكم في "المستدرك" (١/ ٧١٨)، إلَّا قوله: «**لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ...**» إلخ صحيحةٌ لشواهدها.

وَلِلتِّرْمِذِيِّ[(١)]، وَحَسَّنَهُ عَنْ أَنَسٍ[(٢)] رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى[(٣)]: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ[(٤)] الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيئًا[(٥)] لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[(٦)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: سَعَةُ فَضْلِ اللهِ. **الثَّانِيَةُ:** كَثْرَةُ ثَوَابِ التَّوحِيدِ عِنْدَ اللهِ. **الثَّالِثَةُ:** تَكْفِيرُهُ مَعَ ذَلِكَ لِلذُّنُوبِ. **الرَّابِعَةُ:** تَفْسِيرُ الْآيَةِ (٨٢) الَّتِي فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ. **الخَامِسَةُ:** تَأَمُّلُ الخَمْسِ اللَّوَاتِي فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ. **السَّادِسَةُ:** أَنَّكَ إِذَا جَمَعْتَ بَينَهُ وَبَينَ حَدِيثِ عِتْبَانَ وَمَا بَعْدَهُ تَبَيَّنَ لَكَ مَعْنَى قَولِ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَتَبَيَّنَ لَكَ خَطَأُ المَغْرُورِينَ. **السَّابِعَةُ:** التَّنْبِيهُ لِلشَّرْطِ الَّذِي فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ. **الثَّامِنَةُ:** كَونُ الْأَنْبِيَاءِ يَحْتَاجُونَ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ). **التَّاسِعَةُ:** التَّنْبِيهُ لِرُجْحَانِهَا بِجَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ، مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يَقُولُهَا يَخِفُّ مِيزَانُهُ. **الْعَاشِرَةُ:** النَّصُّ عَلَى أَنَّ الْأَرَضِينَ سَبْعٌ كَالسَّمَوَاتِ. **الحَادِيَةَ عَشرَةَ:** أَنَّ لَهُنَّ عُمَّارًا. **الثَّانِيَةَ عَشرَةَ:** إِثْبَاتُ

---

(١) وهو: محمد بن عيسى بن سَوْرة أبو عيسى التِّرْمِذِي، صاحب "الجامع". تُوُفِّي سنة: (٢٧٩).

(٢) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النَّجَّاري الأنصاري -ويشاركه في الاسم من الصحابة: أنس بن مالك الكعبي رضي الله عنه- خادم رسول الله ﷺ، نزل البصرة. روى عن النبي ﷺ ألفين ومائتين وستة حديثًا، دعا له النبي ﷺ بالبركة في ماله وولده، فوصل أولاده مائة وعشرين ونيفًا. مات سنة: تسعين. "الرسالة المحمَّدية" (٦٣).

(٣) **قوله: «قَالَ اللهُ تَعَالَى»**: فيه أنَّه حديث قدسي، ويُسمَّى بـ(الحديث الإلهي)، و(الحديث الرباني)، فلفظه ومعناه من الله، وَهُوَ مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

(٤) لك في (قراب) وجهان في القاف: الضَّم، والكسر، ومعناها: ملءُ الأرض.

(٥) أي: شركًا أكبرَ.

(٦) **حسن:** أخرجه التِّرْمِذِيُّ برقم: (٣٥٤٠)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في "السلسلة الصحيحة" برقم: (١٢٧).

الصِّفَاتِ، خِلَافًا لِلْأَشْعَرِيَّةِ(١). **الثَّالِثَة عَشَرَةَ:** أَنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ حَدِيثَ أَنَسٍ عَرَفْتَ أَنَّ قَولَهُ فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ: «**فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»: أَنَّ تَرْكَ الشِّرْكِ لَيْسَ قَولُهَا بِاللِّسَانِ(٢). **الرَّابِعَة عَشرَةَ:** تَأَمُّلُ الجَمْعِ بَينَ كَونِ عِيسَى وَمُحَمَّد عَبدَي اللهِ وَرَسُولَيْهِ. **الخَامِسَة عَشرَةَ:** مَعْرِفَةُ اخْتِصَاصِ عِيسَى بِكَونِهِ كَلِمَةَ اللهِ. **السَّادِسَة عَشرَةَ:** مَعرِفَةُ كَونِهِ رُوحًا مِنْهُ. **السَّابِعَة عَشرَةَ:** مَعرِفَةُ فَضْلِ الْإِيمَانِ بِالجَنَّةِ وَالنَّارِ. **الثَّامِنَة عَشرَةَ:** مَعرِفَةُ قَولِهِ: «**عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ**»(٣). **التَّاسِعَة عَشرَةَ:** مَعرِفَةُ أَنَّ المِيزَانَ لَهُ كِفَّتَانِ. **الْعِشْرُونَ:** مَعْرِفَةُ ذِكْرِ الْوَجْهِ(٤).



---

(١) **الأشاعرة:** فرقة من المتكلِّمين ينتسبون إلى مؤسِّسها أبي الحَسَن الأشعريِّ رَحِمَهُ اللهُ، تقوم على أساسٍ من التوسُّط بين السَّلف والمعتزلة، يخالفون المعتزلة في بعض آرائهم، ويخالفون أهل السنة في كثير من المعتقد، **يقولون:** إنَّ معرفة الله بالعقل تحصل وبالسمع تجب. وأبو الحسن رَحِمَهُ اللهُ تراجع وتاب في آخر عمره، لكن بقي بعض أتباعه إلى يومنا هذا يحملون معتقده القديم، وهم مرجئة في الإيمان مؤوِّلة في الصفات، لا يثبتون من الصفات إلَّا سبعًا مجموعة في قولهم:

حَـيٌّ، عَلِـيمٌ، قَـدِيرٌ، وَالْكَـلَامُ لَـهُ ... إِرَادَةٌ، وَكَـذَاكَ السَّـمْعُ، وَالْبَصَـرُ

(٢) أي: ليس مجرد قول: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ).

(٣) أي: العمل الصالح وإن قلَّ، ما لم يحصل مِنْهُ شرك بالله، وهذا فيه أنَّه ما من فضل في الأعمال الصالحة إلَّا كان من فضل التوحيد؛ لكونها متوقفة عليه. والتوحيد من أسباب المغفرة وتخفيف المكاره على العبد في الدَّارَين، فمن فَقَدَه فَقَدَ المغفرة، إلَّا أنَّه ليس على إطلاقه، بل لابدَّ من كمال الإخلاص والعمل بمقتضاه، **وعلى هذا:** فالأحاديث المطلقة في هذا الباب مقيَّدة بأحاديث أُخَر، كقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»، وقوله: «**مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ**»، وقوله: «**صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ**»، وقوله: «**غَيْرَ شَاكٍّ بِهَا**»، وغير ذلك من الأقوال، **ومعنى هذا:** أنَّ من أخلَّ بشرط من هذه الشروط فهو تحت المشيئة: إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له، لكن يكون مآله الجنة بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ.

(٤) **قال الشيخ صالح آل الشيخ** حَفِظَهُ اللهُ: الوجه: صفةُ ذاتٍ؛ لأنه لا يَنفَكُّ، فالله متصف بهذه الصفة دائمًا وأبدًا. "شرح الطحاوية" (٦١٣).

٢- بَابٌ: مَنْ حَقَّقَ التَّوحِيدَ(١) دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ

وَقولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [أي: معلِّمًا للخير] ﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾ [أي: مطيعًا له] ﴿حَنِيفًا(٢) وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[النحل:١٢٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾[المؤمنون:٥٩].

عَنْ حُصَينِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيرٍ، فقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ(٣)؟ فَقُلْتُ: أَنَا، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلاَةٍ، وَلَكِنِّي لُدِغْتُ. قَالَ: فَمَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: ارْتَقَيتُ(٤). قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ. قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمْ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ، أَنَّهُ قَالَ: لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَينٍ(٥) أَوْ حُمَةٍ(٦). قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ حَدَّثَنَا **ابْنُ عَبَّاسٍ**(٧) رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ

---

(١) **وتحقيقه:** هو تخليصه وتصفيته من شوائب البدع والمعاصي من الكبائر، وعدم الإصرار عَلَى الصغائر.
مناسبة ذكر هذا الباب: هي لـمَّا ذُكِرَ فضلُ التوحيد ناسب أن يُذكَرَ تحقيقُه؛ فإنه لا يحصل كمال فضله إلا بكمال تحقيقه. انتهى. انظر: "حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد" (١/ ٣٧).

(٢) أي: مائلًا عن الشِّرك إلى التوحيد، وَهُوَ: المقبل عَلَى الله المعرض عما سواه. وسُمِّي عليه السلام (أمَّة)؛ لئلَّا يستوحش السالك طريق الخير من قلَّة السالكين.

(٣) يقال: (البارحة) إذا كَانَ المتكلم يحكي عن الليلة التي مضت.

(٤) أي: استرقيت.

(٥) أي: إصابة بعينٍ مصحوبةٍ بحَسَدٍ.

(٦) أي: لدغة العقرب، وما يكون بعدها من الحُمَّى.

(٧) وهو: ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، البحر، حبر الأمة، ترجمان القرآن، من فقهاء الصحابة. كان ربَّانيًّا، غزا إفريقية. **قال عطاء** رحمه الله: ما رأيتُ أكرمَ من مجلس ابن عباس، أكثر فقهًا، وأعظم خشيةً، وإنَّ أصحاب الفقه والقرآن والشعر عنده كلٌّ يأخذ نصيبه. اهـ مات بالطائف سنة: (٦٨).

قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ[(١)]، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُم الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ الله ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُشْرِكُوا بِالله شَيئًا، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيهِمْ رَسُولُ الله ﷺ، فَأَخْبَرُوهُ، فقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ[(٢)]، وَلَا يَكْتَوُونَ[(٣)]، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ[(٤)] بْنُ مِحْصَنٍ، فقَالَ: يَا رَسُولَ الله ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلْنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فقَالَ: يَا رَسُولَ الله ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنهُمْ، قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[(٥)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: مَعْرِفَةُ مَرَاتِبِ النَّاسِ فِي التَّوحِيدِ. **الثَّانِيَةُ:** مَا مَعْنَى تَحْقِيقِهِ. **الثَّالِثَةُ:** ثَنَاؤُهُ -سُبْحَانَهُ- عَلَى إِبْرَاهِيمَ بِكَونِهِ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. **الرَّابِعَةُ:** ثنَاؤُهُ عَلَى

---

(١) **الرَّهط:** هم الجماعة دون العشرة. قاله ابن القيم.

(٢) أي: لا يطلبون الرقية من الغير، وإنَّما يرقون أنفسهم بما يسَّر الله لهم ولو من قصار سُوَر القرآن، كسورة الإخلاص، والمعوِّذتين، والفاتحة، وآية الكرسي، وخواتيم البقرة، وغير ذلك. والقرآن كله شفاء، بل لو اكتفى الإنسان بقراءة الفاتحة على ماءٍ أو زيت الزيتون سبع مرات، ثمَّ شَرِبه أو مريضُه، وكرَّر ذلك ولو ثلاث مرات في اليوم لكان نافعًا شافيًا بإذن الله ﷻ، كما عُلِم ذلك بالتجارب.

(٣) إكمالًا للتوكل، إلَّا للضَّرورة الْمُلِحَّة.

(٤) بتشديد الكاف وتخفيفها. وهو: السَّعِيْدُ الشَّهِيْدُ، أَبُو مِحْصَنٍ الأَسَدِيُّ، حَلِيْفُ قُرَيْشٍ، مِنَ السَّابِقِيْنَ الأَوَّلِيْنَ البَدْرِيِّيْنَ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَكَانَ مِنْ أَجْمَلِ الرِّجَالِ. قُتِلَ فِي خِلاَفَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ سَنَةَ: (١٢).

(٥) أخرجه البخاري: (٥٧٠٥)، ومسلم: (٢٢٠)، بألفاظٍ مختلفة متقاربة.

سَادَاتِ الْأَوْلِيَاءِ بِسَلَامَتِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ. **الْخَامِسَةُ:** كَونُ تَرْكِ الرُّقْيَةِ[١] وَالْكَيِّ مِنْ تَحْقِيقِ التَّوحِيدِ. **السَّادِسَةُ:** كَونُ الْجَامِعِ لِتِلْكَ الْخِصَالِ هُوَ التَّوَكُّلُ. **السَّابِعَةُ:** عُمْقُ عِلْمِ الصَّحَابَةِ لِمَعْرِفَتِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَنَالُوا ذَلِكَ إِلَّا بِعَمَلٍ. **الثَّامِنَةُ:** حِرْصُهُمْ عَلَى الْخَيرِ. **التَّاسِعَةُ:** فَضِيلَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْكَمِّيَّةِ[٢] وَالْكَيفِيَّةِ[٣]. **الْعَاشِرَةُ:** فَضِيلَةُ أَصْحَابِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. **الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ:** عَرْضُ الْأُمَمِ عَلَيهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. **الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ:** أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تُحْشَرُ وَحْدَهَا مَعَ نَبِيِّهَا. **الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ:** قِلَّةُ مَنِ اسْتَجَابَ لِلْأَنْبِيَاءِ. **الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ:** أَنَّ مَنْ لَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ يَأْتِي وَحْدَهُ. **الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ:** ثَمَرَةُ هَذَا الْعِلْمِ، وَهُوَ عَدَمُ الِاغْتِرَارِ بِالْكَثْرَةِ، وَعَدَمُ الزُّهْدِ فِي الْقِلَّةِ. **السَّادِسَةَ عَشْرَةَ:** الرُّخْصَةُ فِي الرُّقْيَةِ مِنَ الْعَينِ وَالْحُمَةِ. **السَّابِعَةَ عَشْرَةَ:** عُمْقُ عِلْمِ السَّلَفِ؛ لِقَولِهِ: (قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ كَذَا وَكَذَا)، فَعُلِمَ أَنَّ الْحَدِيثَ الْأَوَّلَ لَا يُخَالِفُ الثَّانِي[٤]. **الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ:** بُعْدُ السَّلَفِ عَنْ مَدْحِ الْإِنْسَانِ بِمَا لَيسَ فِيهِ. **التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ:** قَولُهُ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»: عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ. **الْعِشْرُونَ:** فَضِيلَةُ عُكَّاشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. **الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ:** اسْتِعْمَالُ الْمَعَارِيضِ[٥]. **الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ:** حُسْنُ خُلُقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



(١) ولو قَالَ: (كون ترك الاسترقاء) لكان أولى وأصح؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رقى ورُقِي.

(٢) أي: من حيث العدد.

(٣) أي: الصفة والهيئة والحال.

(٤) أي: حديث بريدة وحديث ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) المعاريض لا تستعمل إلا للحاجة، وَهِيَ: ذكر لفظٍ محتمل، يفهم مِنْهُ السَّامع خلاف ما يريده المتكلم. قاله المناوي فِي "فيض القدير" (٢/ ٤٧٢).

٣- بَابُ الْخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ(١)

وَقَولِ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [شِرْكًا أَكْبَرَ] ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء:٤٨،١١٦]...الْآيَةَ، وَقَالَ الخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾[إبراهيم:٣٥].

وَفِي الحَدِيثِ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيكُمْ: الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ»، فَسُئِلَ عَنْهُ، فَقَالَ: «الرِّيَاءُ»(٢).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ الله نِدًّا(٣) دَخَلَ النَّارَ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(٤).

---

(١) أي: باب بيان وجوب الخوف من الشِّرْك. **والخوف لغةً:** توقُّعُ حُلولِ مَكروهٍ، أو فواتِ محبوبٍ. **واصطلاحًا:** هو صدق الالتجاء إلى الله، والاعتماد بالقلب، والابتهال والتضرُّع إليه، والبحث والتفتيش عن الشِّرْك ووسائله وذرائعه؛ لِيُسلَم من الوقوع فيه.

(٢) **صحيح؛** أخرجه أَحْمَدُ برقم: (٤٢٨، ٤٢٩)، وَصَحَّحَهُ الألباني في "الصحيحة" برقم: (٩٥١)، عن محمود بن لبيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وتَتِمَّتُهُ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!».

(٣) أي: يطلب من دون الله أن يقضي له حاجته، أو يدفع عنه سوءًا، وهذا ينافي حقيقة معنى: (لا إله إلَّا الله)، قيل لوهب بن عبد الله رَحِمَهُ اللهُ -كما في "البخاري" معلَّقًا-: أَلَيْسَ (لَا إِلَهَ إِلَّا الله) مِفْتَاحُ الجَنَّةِ؟، قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ. **والمقصود بالأسنان هنا:** فِعْلُ أوامر الله وتَرْكُ نواهيه. **قال العلَّامة ابن القيم** في "نونيته" (٢٢٠):

وَالشِّـرْكُ فَاحْذَرْهُ فَشِـرْكٌ ظَـاهِرٌ ... ذَا الْقِسْـمُ لَـيْسَ بِقَابِـلِ الْغُفْـرَانِ
وَهْـوَ اتِّخَـاذُ النِّـدِّ لِلـرَّحْمَنِ أَيًّـ ... ـا كَـانَ مِـنْ حَجَـرٍ وَمِـنْ إِنْسَـانِ
يَـدْعُوهُ أَوْ يَرْجُـوهُ ثُـمَّ يَخَافُـهُ ... وَيُحِبُّـهُ كَمَحَبَّـةِ الـدَّيَّانِ

والنِّدُّ نِدَّان: **الأول:** شرك أكبر، وهو أن تجعل لله شريكًا في أنواع العبادة أو بعضِها. **والثاني:** شرك أصغر، كيسير الرياء، وقول الرجل: (ما شاء اللهُ وشئتَ)، و(لولا الله وأنتَ).

(٤) أخرجه البخاري: (٤٤٩٧).

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه(١)، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»(٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: الخَوفُ مِنَ الشِّرْكِ. **الثَّانِيَةُ**: أَنَّ الرِّيَاءَ مِنَ الشِّرْكِ. **الثَّالِثَةُ**: أَنَّهُ مِنَ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ. **الرَّابِعَةُ**: أَنَّهُ أَخْوَفُ مَا يُخَافُ مِنْهُ عَلَى الصَّالِحِينَ. **الخَامِسَةُ**: قُرْبُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ. **السَّادِسَةُ**: الجَمْعُ بَيْنَ قُرْبِهِمَا فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ. **السَّابِعَةُ**: أَنَّهُ مَنْ لَقِيَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْبَدِ النَّاسِ. **الثَّامِنَةُ**: **المَسْأَلَةُ الْعَظِيمَةُ**: وَهِيَ سُؤَالُ الخَلِيلِ لَهُ وَلِبَنِيهِ وِقَايَةَ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ. **التَّاسِعَةُ**: اعْتِبَارُهُ بِحَالِ الْأَكْثَرِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[إبراهيم:٣٦]. **الْعَاشِرَةُ**: فِيهِ تَفْسِيرُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، كَمَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ. **الحَادِيَةَ عَشْرَةَ**: فَضِيلَةُ مَنْ سَلِمَ مِنَ الشِّرْكِ.



---

(١) ابن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري. كان من أهل بيعة الرضوان، شهد المشاهد كلَّها إلا بدرًا. روى ألفًا وخمسمائة حديثًا، واستغفر له النبي ﷺ خمسًا وعشرين مرَّة، وقيل: آخر من مات من أهل بيعة الرضوان. مَاتَ رضي الله عنه سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِيْنَ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَتِسْعِيْنَ سَنَةً.

(٢) أخرجه مسلم: (٩٣)، دون لفظة: «شَيْئًا» فِي الموضع الثاني من الحديث، وهي عند البيهقي في "شعب الإيمان" (١/ ٥٦١)، و"البعث والنشور" (١/ ٧٣) من طُرُقٍ عِدَّة بأسانيد مختلفة، ولها شاهد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهي صحيحة إن شاء الله.

٤- بَابُ الدُّعَاءِ[(١)] إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ

وَقَولِ[(٢)] الله تَعَالَى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ[(٣)]﴾ [طَرِيقَتِي وسُنَّتِي] ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [أي: بُرهَانٍ ويَقِين] ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ[(٤)] وَسُبْحَٰنَ[(٥)] ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:١٠٨].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُول الله ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ[(٦)]، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيهِ: شَهَادَةُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ[(٧)] -وَفِي رِوَايَةٍ: إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ- فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَومٍ وَلَيلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ[(٨)] فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ[(٩)]، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ

---

(١) أي: الدعوة إلى شهادة أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

(٢) بالكسر أو الرفع.

(٣) يذكر ويؤنث، أي: يقال: (هذا سبيلي)، و(هذه سبيلي).

(٤) قال العلَّامة سليمان آل الشيخ رحمه الله في كتابه "التيسير" (١/ ٩٥): **والتحقيق**: أنَّ العطف يتضمن المعنيين، فأتباعه: هم أهل البصيرة الذين يدعون إلى الله.

(٥) مفعول مطلق. **وقيل**: نائبة عن المفعول المطلق، وتستعمل للتعجب.

(٦) وهم اليهود والنصارى، وهذا فيه تنبيه له؛ ليحذر من مكرهم.

(٧) أي: لا تلتفت إلى شُبَهِهِم وعلومهم، بل بلِّغْهُم التوحيد، وادْعُهُم إلى توحيد الله وتخصيص العبادة له دون غيره، كالعُزَيْر، وعيسى عليه السلام، وأحبارهم، ورهبانهم، وغير ذلك من الشِّركيَّات.

(٨) **الصدقة -هنا-**: بمعنى (الزكاة)، **ومعنى هذا**: أنَّها تُؤخذ عُنوَةً من قِبَلِ الوالي لِمَن لم يلتزم دفعَ الزكاة لأهلها من الفقراء والمساكين.

(٩) أي: احذرْ خيار أموالهم ونفائسها إلَّا بطيب نفس، وهذا فيه أنَّ الأصل في الصدقات تكون من الوسط، لا من خيارها ولا من أردأها.

بَينَهَا وَبَينَ الله حِجَابٌ». أَخْرَجَاهُ[(١)]. وَلَهُمَا **عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ** رضي الله عنهما[(٢)]، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ يَومَ خَيْبَرَ[(٣)]: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ[(٤)] غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ[(٥)] وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيهِ**»، فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيلَتَهَمْ: أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا؟ فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**»، فَقِيلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيهِ، فَأَرْسَلُوا إِلَيهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ فِي عَينَيهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ: «**انْفُذْ[(٦)] عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ[(٧)]، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيهِمْ مِنْ حَقِّ الله تَعَالَى فِيهِ، فَوَالله لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ[(٨)]**»[(٩)].

(**يَدُوكُونَ**): أَيْ: يَخُوضُونَ.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٤٩٦،١٣٩٥،٤٣٤٧)، ومسلم برقم: (١٩)، (٢٩).

(٢) ابْن سَعْدِ بن خَالِدِ بنِ ثَعْلَبَةَ، الإِمَامُ، الفَاضِلُ، المُعَمَّرُ، بَقِيَّةُ أَصْحَابِ رَسُوْلِ الله ﷺ، أَبُو العَبَّاسِ الخَزْرَجِيُّ، الأَنْصَارِيُّ، السَّاعِدِيُّ المدني. مات وقد قارب المائة، وكان من أواخر من مات من الصحابة في المدينة، سنة واحدٍ وتسعين، وَكَانَ أَبُوْهُ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِيْنَ تُوُفُّوا فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ.

(٣) **خَيْبَر**: بلدةٌ بقرب المدينة، فتحها المسلمون في السنة السابعة للهجرة، وكان فيها حصونٌ كثيرةٌ فُتح بعضها عُنوةً وبعضها صُلحًا.

(٤) **الرَّاية**: بمعنى (اللواء)، وهي العلَم الَّذِي يُعرَف به موضعُ صاحبِ الجيش.

(٥) محبة الله لها شروط، جمعها الله في قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران:٣١].

(٦) **انفُذ**: بضم الهمزة؛ تبعًا لعين الكلمة، أي: تُؤدَة من غير عَجَلة أو تباطؤ.

(٧) فيه وجوب الدعوة إلى الله ﷻ ومناظرة الأعداء قبل الغزو عليهم وقتالِهم، هذا في الكافرين، فكيف بأهل الإسلام، **وهذا فيه ردٌّ على الخوارج ومن نحا نحوهم من خَدَمَة اليهود**، فيُكفِّرون أهل التوحيد ويستبيحون دماءهم، فتارةً يفجِّرون، وتارة يغتالون، وتارة يُشعِلون الحروب، إمَّا بالمظاهرات والدعوة إلى الفوضى والخروج على الحكَّام وتكفيرهم، بل وعامَّة المسلمين، والله المستعان.

(٨) أي: الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يُضرَب بها المثل في النَّفاسة.

(٩) رواه البخاري برقم: (٣٦٠١)، ومسلم برقم: (٢٤٠٦).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللهِ طَرِيقُ مَنِ اتَّبَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ. **الثَّانِيَةُ**: التَّنْبِيهُ عَلَى الْإِخْلَاصِ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا لَوْ دَعَا إِلَى الحَقِّ فَهُوَ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ. **الثَّالِثَةُ**: أَنَّ الْبَصِيرَةَ مِنَ الْفَرَائِضِ. **الرَّابِعَةُ**: **مِنْ دَلَائِلِ حُسْنِ التَّوحِيدِ**: أَنَّهُ تَنْزِيهٌ للهِ تَعَالَى عَنِ المَسَبَّةِ[١]. **الخَامِسَةُ**: أَنَّ مِنْ قُبْحِ الشِّرْكِ كَونُهُ مَسَبَّةً للهِ. **السَّادِسَةُ** -**وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا**-: إِبْعَادُ المُسْلِمِ عَنِ المُشْرِكِينَ؛ لِئَلَّا يَصِيرَ مِنْهُمْ، وَلَوْ لَمْ يُشْرِكْ. **السَّابِعَةُ**: كَوْنُ التَّوْحِيدِ أَوَّلَ وَاجِبٍ. **الثَّامِنَةُ**: أَنْ يَبْدَأَ بِهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى الصَّلَاةِ. **التَّاسِعَةُ**: أَنَّ مَعْنَى: «**أَنْ يُوحِّدُوا اللهَ**»: مَعْنَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. **الْعَاشِرَةُ**: أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُهَا، أَوْ يَعْرِفُهَا وَلَا يَعْمَلُ بِهَا. **الحَادِيَة عَشرَةَ**: التَّنْبِيهُ عَلَى التَّعْلِيمِ بِالتَّدْرِيجِ[٢]. **الثَّانِيَة عَشرَةَ**: الْبَدَاءَةُ بِالْأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ. **الثَّالِثَة عَشرَةَ**: مَصْرِفُ الزَّكَاةِ. **الرَّابِعَة عَشرَةَ**: كَشْفُ الْعَالِمِ الشُّبْهَةَ عَنِ المُتَعَلِّمِ. **الخَامِسَة عَشرَةَ**: النَّهْيُ عَنْ كَرَائِمِ الْأَمْوَالِ. **السَّادِسَة عَشرَةَ**: اتِّقَاءُ دَعْوَةِ المَظْلُومِ. **السَّابِعَة عَشرَةَ**: الْإِخْبَارُ بِأَنَّهَا لَا تُحْجَبُ. **الثَّامِنَة عَشرَةَ**: **مِنْ أَدِلَّةِ التَّوحِيدِ**: مَا جَرَى عَلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَسَادَاتِ الْأَوْلِيَاءِ مِنَ المَشَقَّةِ وَالجُوعِ وَالْوَبَاءِ. **التَّاسِعَة عَشرَةَ**: قَوْلُهُ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ...**» إِلَخْ: عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ. **الْعِشْرُونَ**: تَفْلُهُ فِي عَيْنَيْهِ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِهَا أَيْضًا. **الحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ**: فَضِيلَةُ عَلِيٍّ رضي الله عنه. **الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ**: فَضْلُ الصَّحَابَةِ فِي دَوْكِهِمْ[٣] تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَشُغْلُهُمْ عَنْ بِشَارَةِ الْفَتْحِ. **الثَّالِثَةُ**

---

(١) أي: المماثلة.

(٢) أي: يبدأ بالأهم فالأهم، ولهذا بوَّب الوادعي في كتابه "الصحيح مما ليس في الصحيحين"، فقال: (بابٌ: التعليم يكون بالأهم فالأهم)، وذكر حديث جندب بن عبدالله رضي الله عنه، وفيه: «**فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ**»، صَحَّحَهُ الألباني في "صحيح وضعيف سنن ابن ماجه"، برقم: (٦١).

(٣) أي: خوضهم.

وَالْعِشْرُونَ: الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ؛ لِحُصُولِهَا لِمَنْ لَمْ يَسْعَ لَهَا، وَمَنعِهَا عَمَّنْ سَعَى. **الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ:** الْأَدَبُ فِي قَولِهِ: «**عَلَى رِسْلِكَ**». **الخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ:** الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ والْإِسْلَامِ قَبْلَ الْقِتَالِ. **السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ:** أَنَّهُ مَشْرُوعٌ لِمَنْ دُعُوا قَبْلَ ذَلِكَ وَقُوتِلُوا. **السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ:** الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ بِالحِكْمَةِ؛ لِقَولِهِ: «**أَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيهِمْ**». **الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُونَ:** المَعْرِفَةُ بِحَقِّ اللهِ تَعَالَى فِي الْإِسْلَامِ. **التَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ:** ثَوَابُ مَنِ اهْتَدَى عَلَى يَدَيهِ رَجُلٌ وَاحِدٌ. **الثَّلَاثُونَ:** الحَلِفُ عَلَى الْفُتيَا[1].



(١) فيه جواز الحلف من غير استحلاف.

٥- بَابُ تَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ[(١)]

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ [أي: يعبدونهم من دون الله] ﴿يَبْتَغُونَ﴾[(٢)] [أي: يطلبون] ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [أي: القُرْبَةَ] ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[الإسراء:٥٧]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ[(٣)] إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ[(٤)] * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [خَلَقَنِي مِنَ العَدَمِ] ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ[(٥)] لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف:٢٦-٢٨]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ﴾ [عُلَمَاءَهُمْ وَعُبَّادَهُمْ] ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ

(١) قال الإمام السعدي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه "القول السديد" (١/ ٣٩): هما بمعنًى واحد، فهو من باب عطف المترادفين. وهذه المسألة أكبر المسائل وأهمها كما قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ. **وحقيقة تفسير التوحيد**: العلمُ والاعترافُ بتفرُّد الرَّبِّ بجميع صفات الكمال وإخلاص العبادة له.

(٢) **قال العلامة الوادعي** رَحِمَهُ اللهُ في كتابه "الصحيح المسند من أسباب النزول" (١/ ١٤٧): **قال الإمام مسلم** رَحِمَهُ اللهُ (١٨/ ١٦٤): حدثني أبو بكر بن نافع العبدي، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن عبد الله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾[الإسراء:٥٧]، **قال**: كان نفرٌ من الإنس يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم النَّفرُ من الجنِّ واستمسك الإنس بعبادتهم، فنزلت: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾. ثُمَّ ساقه من طريق أخرى إلى ابن مسعود، وفيه: فأسلم الجنيُّون، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون، فنزلت. الحديث أصله في "البخاري" في التفسير (١٠/ ١٣)، لكن ليس فيه التصريح بالنزول، وأخرجه ابن جرير (١٥/ ١٠٤،١٠٥)، والحاكم (٢/ ٣٦٢)، وقال: صحيحٌ على شرط مسلم، وأقرَّه الذهبي، وفيه: فأنزل ﷻ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾، وذكر الآيتين إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ﴾.

(٣) أي: واذكر حين قال إبراهيم، وهو إبراهيم ابن آزَرَ، إمام الموحِّدين، وأفضل الأنبياء بعد محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(٤) أي: من الكواكب والنجوم، وَهِيَ بمعنى: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ).

(٥) أي: جَعَلَ (لا إله إلَّا الله) باقيةً في ذريته.

عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[التوبة:٣١]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ [أي: أمثالًا]﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥]...الْآيَةَ.

وَفِي "الصَّحِيحِ" عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ ﷻ»[(١)]. وَشَرْحُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ: مَا بَعْدَهَا مِنَ الأَبْوَابِ.

فِيهِ أَكْبَرُ المَسَائِلِ وَأَهَمُّهَا:

وَهِيَ تَفْسِيرُ التَّوحِيدِ، وَتَفْسِيرُ الشَّهَادَةِ، **وَبَيَّنَهَا بِأُمُورٍ وَاضِحَةٍ:**

- **مِنْهَا: آيَةُ الْإِسْرَاءِ**: بَيَّنَ فِيهَا الرَّدَّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الصَّالِحِينَ، فَفِيهَا بَيَانُ أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ.
- **وَمِنْهَا: آيَةُ بَرَاءَة**: بَيَّنَ فِيهَا أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ، وَبَيَّنَ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمَرُوا إِلَّا بِأَنْ يَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا، **مَعَ أَنَّ تَفْسِيرَهَا الَّذِي لَا إِشْكَالَ فِيهِ**: طَاعَةُ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَّادِ فِي الْمَعْصِيَةِ، لَا دُعَاؤُهُمْ إِيَّاهُمْ.
- **وَمِنْهَا: قَوْلُ الْخَلِيلِ** عليه السلام **لِلْكُفَّارِ**: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾[الزخرف:٢٦-٢٧]، فَاسْتَثْنَى مِنَ الْمَعْبُودِينَ رَبَّهُ. وَذَكَرَ -سُبْحَانَهُ- أَنَّ هَذِهِ الْبَرَاءَةَ وَهَذِهِ الْمُوَالَاةَ هِيَ تَفْسِيرُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[الزخرف:٢٨].
- **وَمِنْهَا: آيَةُ الْبَقَرَةِ** فِي الْكُفَّارِ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[البقرة:١٦٧]: ذَكَرَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْدَادَهُمْ كَحُبِّ اللهِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٣)، عن أبي مالك، عن أبيه رضي الله عنه.

يُحِبُّونَ اللهَ حُبًّا شَدِيدًا عَظِيمًا، وَلَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، فَكَيفَ بِمَنْ أَحَبَّ النِّدَّ أَكْبَرَ مِنْ حُبِّ اللهِ؟! فَكَيفَ بِمَنْ لَمْ يُحِبَّ إِلَّا النِّدَّ وَحْدَهُ، وَلَمْ يُحِبَّ اللهَ؟![1].

ﮞ وَمِنْهَا: قَولُهُ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**»، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يُبَيِّنُ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ التَّلَفُّظَ بِهَا عَاصِمًا لِلدَّمِ وَالمَالِ، بَلْ وَلَا مَعْرِفَةَ مَعْنَاهَا مَعَ لَفْظِهَا، بَلْ وَلَا الْإِقْرَار بِذَلِكَ، بَلْ وَلَا كَونهُ لَا يَدْعُو إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، بَلْ لَا يَحْرُمُ مَالُهُ وَدَمُهُ حَتَّى يُضِيفَ إِلَى ذَلِكَ الْكُفْرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، فَإِنْ شَكَّ أَوْ تَوَقَّفَ لَمْ يَحْرُمْ مَالُهُ وَدَمُهُ[2].

فَيَا لَهَا مِنْ مَسْأَلَةٍ مَا أَعْظَمَهَا وَأَجَلَّهَا، وَيَا لَهُ مِنْ بَيَانٍ مَا أَوْضَحَهُ، وَحُجَّةٍ مَا أَقْطَعَهَا لِلْمُنَازِعِ!.



(١) ويفهم من هَذَا: أنَّ الخوف من الجن والشياطين كالخوف من الله أو أشدَّ يعتبر كفرًا.

(٢) وقد جَمَعَ بعضهم هذِهِ الشُّروطِ فقال:

عِلْمٌ يَقِينٌ وَإِخْلَاصٌ وَصِدْقُكَ مَعْ ... مَحَبَّةٍ وَانْقِيَادٍ وَالْقَبُولِ لَهَا

وَزِيدَ ثَامِنُهَا الْكُفْرَانُ مِنْكَ بِمَا ... سِوَى الْإِلَهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ قَدْ أُلِهَا

٦- بَابٌ: مِنَ(١) الشِّرْك: لُبْسُ(٢) الْحَلْقَةِ(٣) وَالْخَيطِ وَنَحْوِهِمَا(٤)؛ لِرَفْعِ الْبَلَاءِ(٥) أَوْ دَفْعِهِ(٦)

وَقَولِ الله تَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ(٧) أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[الزمر:٣٨]. وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَينٍ(٨) رضي الله عنه،

---

(١) (من) -هنا-: تبعيضيَّة، أي: بعض الشرك، أراد بذلك الشرك الأصغر.

(٢) **اللُّبس**: بضم الفاء، مصدر: (لَبِسَ، يَلْبَسُ، لُبْسًا).

(٣) **الحَلْقَة -بفتح فسكون-**: هي كل شيء مستدير، ومنه حلقة الذِّكر أو الدرس. ويدخل في ذلك تعليق النِّعال، والحبة السوداء، والحَلَتيت، ونحو ذلك في الدابَّة أو السيارة أو البيت، وكل ذلك شرك.

(٤) **قال الإمام السعدي** رحمه الله في كتابه "القول السَّديد" (٤٢): وهذا الباب يتوقف فهمه على معرفة أحكام الأسباب، **وتفصيل القول فيها**: أنَّه يجب على العبد أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور: **أحدها**: أن لا يجعل منها سببًا إلا ما ثبت أنه سببٌ شرعًا أو قدرًا، [ومعنى (قدرًا): أي: عُلِمَ بالتجربة]. **ثانيها**: أن لا يعتمد العبد عليها، بل يعتمد على مسبِّبها ومقدِّرها، مع قيامه بالمشروع منها، وحرصه على النافع منها. **ثالثها**: أن يعلم أن الأسباب مهما عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره لا خروج لها عنه، والله تعالى يتصرف فيها كيف يشاء: إن شاء أبقى سببيَّتها جارية على مقتضى حكمته؛ ليقوم بها العباد، ويعرفوا بذلك تمام حكمته، حيث ربط المسببات بأسبابها والمعلولات بعللها، وإن شاء غيرها كيف يشاء؛ لئلَّا يعتمد عليها العباد، وليعلموا كمال قدرته، وأن التصرف المطلق والإرادة المطلقة لله وحده، فهذا هو الواجب على العبد في نظره وعمله بجميع الأسباب. **إذا عُلِمَ ذَلِكَ**: فَمَنْ لَبِسَ الحلقة أو الخيط أو نحوهما قاصدًا بذلك رفع البلاء بعد نزوله، أو دفعه قبل نزوله فقد أشرك...إلى آخر كلامه رحمه الله.

(٥) أي: بعد نزوله.

(٦) أي: قبل نزوله.

(٧) وهَذَا استفهام إنكاري، وَهُوَ أبلغ من النفي المجرد، وفيه شيء من التحدِّي.

(٨) ابن عُبَيْدِ بن خَلَفٍ، أَبُو نُجَيْدٍ الخُزَاعِيُّ، القُدْوَةُ الإِمَامُ، صَاحِبُ رَسُوْلِ الله ﷺ، وَلَهُ عِدَّةُ أَحَادِيْثَ. أَسْلَمَ هُوَ وَأَبُوْهُ وَأَبُو هُرَيْرَةَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ سَنَةَ سَبْعٍ، وَقَدْ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَوَلِيَ قَضَاءَ البَصْرَةِ، وَكَانَ عُمَرُ بَعَثَهُ إِلَى أَهْلِ البَصْرَةِ لِيُفَقِّهَهُمْ، فَكَانَ الحَسَنُ يَحْلِفُ: مَا قَدِمَ عَلَيْهِمُ البَصْرَةَ خَيْرٌ=

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟»، قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ(١)، فَقَالَ: «انْزِعْهَا(٢)؛ فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبْدًا». رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ لَا بَأْس بِهِ(٣).

وَلَهُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ(٤) رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدْعَةً(٥) فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ».(٦) وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»(٧).

وَلِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ حُذَيفَةَ(٨) رضي الله عنه، أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ خَيطٌ مِنَ الحُمَّى، فَقَطَعَهُ وَتَلَا قَولَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾(٩)[يوسف:١٠٦].

= لَهُم مِنْ عِمْرَانَ بنِ الحُصَيْنِ. تُوُفِّيَ رضي الله عنه سَنَةَ: اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِيْنَ. "سير أعلام النبلاء" (٢/٥٠٨) بتصرف.

(١) **المراد بالوهن هنا:** وجع يكون فِي العضد والذراع. **ومعنى:** (صُفْر): النحاس الجيِّد.

(٢) **النزع:** هو أخذ الشيء بقوة.

(٣) **ضعيف:** ضعفه العلَّامة الألباني رحمه الله فِي "الضعيفة"، برقم: (١٠٢٩).

(٤) هو: عُقْبَةُ بن عَامِرٍ الجُهَنِيُّ المِصْرِيُّ، الإِمَامُ، المُقْرِئُ، أَبُو عَبْسٍ، **وَيُقَالُ:** أَبُو عَامِرٍ، صَاحِبُ النَّبِيِّ ﷺ. كَانَ عَالِمًا، مُقْرِئًا، فَصِيحًا، فَقِيهًا، فَرَضِيًّا، شَاعِرًا، كَبِيْرَ الشَّأْنِ. مَاتَ: سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِيْنَ.

(٥) وهي: شيءٌ أبيَض، يُجلَبُ من البحر يعلَّق فِي حلوقِ الصبيان وغيرهم؛ خوفَ العَين.

(٦) **ضعيف:** ضعفه الألباني فِي "الضعيفة": (١٢٦٦)، والوادعي فِي "المستدرك" (٤/٣٤١).

(٧) **صحيح:** رَوَاهُ أَحْمَدُ برقم: (١٧٤٢٢)، عن عقبة بلفظ: **«مَنْ عَلَّقَ»**، وَصَحَّحَه العلَّامة الألباني رحمه الله فِي "الصحيحة" (٤٩٢)، والعلَّامة الوادعي رحمه الله فِي "الصحيح المسند" (٢/٥٣).

(٨) حُذَيْفَةُ بنُ اليَمَانِ -وَاسْمُ اليَمَانِ: حِسْلٌ، وَيُقَالُ: حُسَيْلٌ- بن جَابِرٍ العَبْسِيُّ اليَمَانِيُّ، أَبُو عَبْدِ الله، حَلِيفُ الأَنْصَارِ، مِنْ أَعْيَانِ المُهَاجِرِيْنَ، مِنْ نُجَبَاءِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ صَاحِبُ السِّرِّ. وَلِيَ رضي الله عنه إِمْرَةَ المَدَائِنِ لِعُمَرَ، فَبَقِيَ عَلَيْهَا إِلَى بَعْدِ مَقْتَلِ عُثْمَانَ، وَتُوُفِّيَ بها بَعْدَ عُثْمَانَ بِأَرْبَعِيْنَ لَيْلَةً سنة: سِتٍّ وَثَلاَثِيْنَ.

(٩) **ضعيف:** أخرجه ابن أبي حاتم فِي "تفسيره" برقم: (١٢٠٤٠) من طريق عزرة بن عبد الرحمن الخزاعي، عن حذيفة، وعزرة لم يسمع منه، **وعلى هذا:** فالحديث منقطع.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: التَّغْلِيظُ فِي لبْسِ الحَلْقَةِ وَالخَيطِ وَنَحْوِهِمَا؛ لِمِثْلِ ذَلِكَ. **الثَّانِيَةُ:** أَنَّ الصَّحَابِيَّ لَوْ مَاتَ وَهِيَ عَلَيهِ مَا أَفْلَحَ، **فِيهِ شَاهِدٌ لِكَلَامِ الصَّحَابَةِ:** أَنَّ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ أَكْبَرُ مِنَ الْكَبَائِرِ. **الثَّالِثَةُ:** أَنَّهُ لَمْ يَعْذُرْ بِالجَهَالَةِ[١]. **الرَّابِعَةُ:** أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ فِي الْعَاجِلَةِ، بَلْ تَضُرُّ؛ لِقَولِهِ: «**إِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهَنًا**». **الخَامِسَةُ:** الْإِنْكَارُ بِالتَّغْلِيظِ عَلَى مَنْ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ. **السَّادِسَةُ:** التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ شَيئًا وُكِّلَ إِلَيهِ. **السَّابِعَةُ:** التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ. **الثَّامِنَةُ:** أَنَّ تَعْلِيقَ الخَيطِ مِنَ الحُمَّى مِنْ ذَلِكَ. **التَّاسِعَةُ:** تِلَاوَةُ حُذَيفَةَ الْآيَةَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ يَسْتَدِلُّونَ

---

(١) انتُقِدَ المصنف فِي هَذَا، ومع هذا فالحديث ضعيف. والعذر بالجهل ثابت فِي الكتاب والسنة، لكن لعلَّ هذا كان منه بعد انتشار التوحيد في الجزيرة العربية على يديه رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، ولم يكن قَطُّ للشرك بقية، والله أعلم. وهذه المسألة -أعني مسألة العذر بالجهل- مفروغ منها عند السلف. **قال الشافعي** رَحِمَهُ اللَّهُ -كما في "تطهير الاعتقاد" (٤٠)-:...وَمَنْ خَالَفَ بَعْدَ ثُبُوتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَأَمَّا قَبْلَ قِيَامِ الْحُجَّةِ فَإِنَّهُ يُعْذَرُ بِالْجَهْلِ. **وقال شيخنا أبو بلال الحضرمي** حَفِظَهُ اللَّهُ: التكفير حكمٌ من أحكام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يعني هذا أنَّنا نُلغِي حكم التكفير، هناك أبوابُ ردَّة، فمن أُنيطَ به هذا الأمر يُحكَم عليه، يَقتُلُه مَنْ ولَّاه الله أمرَ المسلمين؛ لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»، رواه البخاري من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، برقم: (٦٩٢٢)، لكن نحن نتكلم عن مسألةٍ جزئيَّة، وهي مسألة تطبيق الحكم العيني، أي: تطبيق حكم التكفير على الأعيان: هل يُطَبَّق، أم لابدَّ من إقامة الحجة قبل التطبيق؟ هذا الذي تطمئنُّ له النفس: أنَّنا لا نحكم على أحد بكفر عيني إلَّا بعد إقامة الحجة بتوفُّر الشروط وانتفاء الموانع، وهذا قول السَّلَف، والذي يَدَّعِي الإجماع ما معه إجماع أبدًا من السلف، بل شيخ الإسلام وابن حزم وغيرهما من الأئمة ينقلون أنَّ هذا هو قول السَّلف، **فالحق**: أنَّ الحازميَّ والجربوعَ ومن نحا نحوهما شدَّدوا في هذا الباب، حتَّى أنَّ بعضهم منع الصلاة خلف المسلمين، ورموا علماء الأمة بالإرجاء، سُئِل بعضهم عن الإمام الألباني، فقال: الألباني أصل البلاء. والحقيقة أنَّ القوم -أعني: الحازمي والجربوع ومن نحا نحوهما- متنطِّعون وأصحاب جَعْجَعَة، الآن تجاوزوا تكفير العاذر، لكن الحمد لله سقطوا على رؤوسهم ما لِقَوْلِهِمْ معنًى، الأمور صارت إلى خير؛ فقد كشفهم الله ونوقشوا من قِبَلِ أخينا الشيخ أبي سليمان العماد حَفِظَهُ اللَّهُ، وبيَّن هذا الأمر بيانًا شافيًا. انتهى بتصرُّف.

بِالْآيَاتِ الَّتِي فِي الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ عَلَى الْأَصْغرِ[١]، كَمَا ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي آيَةِ الْبَقَرَةِ[٢]. **الْعَاشِرَةُ**: أَنَّ تَعْلِيقَ الْوَدَعِ عَنِ الْعَينِ مِنْ ذَلِكَ. **الحَادِيَة عَشرَةَ**: الدُّعَاءُ عَلَى مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً أَنَّ اللهَ لَا يُتِمَّ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ اللهَ لَهُ، أَيْ: تَرَكَ اللهُ لَهُ.



(١) لأن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، **قَالَ النَاظم**:

وَاعْتَبَرُوا الْعُمُومَ فِي نَصٍّ أَقَرْ أَمَّا خُصُوصُ السَّبَبِ فَمَا اعْتُبِرْ

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾[البقرة:٢٢].

٧- بَابُ مَا جَاءَ فِي الرُّقَى[(١)] وَالتَّمَائِمِ

فِي "الصَّحِيحِ" عَنْ أَبِي بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ[(٢)] رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَرْسَلَ رَسُولًا: «أَنْ لَا يَبْقَيَنَّ[(٣)] فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ[(٤)] أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ»[(٥)].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَى[(٦)] وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ[(٧)].

(التَّمَائِمُ): شَيْءٌ يُعَلَّقُ عَلَى الْأَوْلَادِ مِنَ الْعَيْنِ، لَكِنْ إِذَا كَانَ الْمُعَلَّقُ مِنَ الْقُرْآنِ فَرَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ السَّلَفِ، وَبَعْضُهُمْ لَمْ يُرَخِّصْ فِيهِ وَيَجْعَلُهُ مِنَ الْمَنْهِيِّ

---

(١) **الرقى**: جمع (رُقْيَة)، **وهي عَلَى ثلاثة**: جائزةٍ، ومختلفٍ فيها، ومحرَّمةٍ. **فالجائزة**: ما كانت من كتاب الله عز وجل، أو من أسمائه وصفاته، أو من السُّنَّة بشرط أن تكون باللغة العربية. **والمختلف فيها**: ما كانت من غير العربية أو من وِرد أرباب الصُّوفيَّة، بل بعضهم يأتي بكلمات سريانية لا مفهوم لها عند العرب، كقول بعضهم: (يا كركد يا كركد، وِهْدِه أصبا أهيأ، شَراهِيَة جَلجُوت)، ونحو ذلك، والله المستعان. **أما المحرَّمة**: فهي ما كانت شركًا محضًا، وذلك إذا كانت بأسماء الجن والشياطين، أو الملائكة، أو المقبورين، ونحو ذلك، ولِهَذَا قَالَ عليه الصلاة والسلام: «**اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ**»، رواه مسلم، عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه برقم: (٢٢٠٠).

(٢) **قيل**: اسمه قيس بن عبيد الأنصاري المدني الساعدي المازني. **وقيل**: لا يعرف لَهُ اسم غير كنيته. جُرِح يوم الحَرَّة جراحات، شهد الخندق. توفي سنة أربعين هجريًّا، **وقيل**: ثلاث وستين.

(٣) بفتح الياء وضمه.

(٤) وَهُوَ سِلْك من العَصب، يؤخذ من الشاة ويُتَّخذ للقوس وترًا، حتَّى إذا بَلِيَ اتُّخِذَ مكانه جديدٌ وعُلِّق القديم على الدَّابَّة أو الولد أو البيت، مع اعتقادهم فيه جلبَ المنافع ودفع المضار.

(٥) أخرجه البخاري: (٣٠٠٥)، ومسلم: (٢١١٥)، واللفظ له.

(٦) أي: الرقى المعهودة آنذاك فِي الجاهلية، وَهِيَ محرمة.

(٧) **صحيح**: صَحَّحَهُ العلامة الألباني رحمه الله فِي "الصحيحة" برقم: (٣٣١)، من طريق قيس بن السكن، عن ابن مسعود رضي الله عنه، والوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند" برقم: (٨٣٠) من طريق ابن أخي زينب، لا يُدرَى ما اسمه، بلفظ: «**وَالتَّوْلِيَة**» بدلًا عن: «**التِّوَلَة**».

عَنْهُ[(١)]، مِنْهُم ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه. وَ(الرُّقَى): هِيَ الَّتِي تُسَمَّى (الْعَزَائِمَ)، وَخَصَّ مِنْهُ الدَّلِيلُ مَا خَلَا مِنَ الشِّرْكِ؛ فَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الْعَينِ وَالْحُمَةِ. وَ(التِّوَلَةُ): هُوَ شَيْءٌ يَصْنَعُونَهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُحَبِّبُ الْمَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا، وَالرَّجُلَ إِلَى امْرَأَتِهِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ مَرْفُوعًا: «**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِّلَ إِلَيهِ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ[(٢)].

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، **عَنْ رُوَيفِعٍ**[(٣)] رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا رُوَيفِعُ لَعَلَّ الحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ: أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ**[(٤)]**، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوِ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ**[(٥)] **أَوْ عَظْمٍ**[(٦)]**، فَإِنَّ مُحَمَّدًا بَرِيءٌ مِنْهُ**»[(٧)].

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيرٍ رحمه الله، قَالَ: (مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ كَانَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ). رَوَاهُ وَكِيعٌ[(٨)].

---

(١) وَهُوَ ترجيح الإمام ابن العربي، **ومن المعاصرين**: العلَّامة ابن العثيمين، وابن باز، والفوزان رحمهم الله.

(٢) **حسن**: حَسَّنَهُ العلَّامة الألباني فِي "غاية المرام" برقم: (٢٩٧)، من طريق عيسى بن حمزة، بلفظ: «**مَنْ عَلَّقَ شَيْئًا**»، لكن في الحديث علة أخرى، وهي أنَّ عبد الله بن عكيم لا يُعرَف له سماع صحيح من النبي ﷺ كما قال البخاري رحمه الله، **والأقرب في هذا**: أنَّ الحديث مرسل، والله أعلم.

(٣) **رويفع**: تصغير (رافع)، وهو: رويفع بن ثابت بن السكن الأنصاري المدني الأَمِير. تُوُفِّي بـ(برقة -وهي بلدة قريبة من مصر في بلاد إفريقيا- سنة: (٥٦) من الهجرة.

(٤) **وهَذَا يحتمل معانٍ ثلاثة**: **الأول**: ما كَانَ يفعله أهل الجاهلية. **الثاني**: للتشويه خوفًا من الإصابة بالعين. **الثالث**: أن يكون للمعالجة فِي الشعر، وهذا لا يكون إلَّا في شعر الرأس، وَهُوَ من أفعال النساء؛ فلا يجوز للرجال.

(٥) **رجيع الدابة**: هو روثها.

(٦) لكونهما من طعام الجن ودوابها، كما في "صحيح مسلم" برقم: (٤٥٠)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٧) **صحيح**: أخرجه أَحْمَدُ: (٤/ ١٠٨، ١٠٩)، وَأَبُو دَاوُدَ: (٣٦)، وَصَحَّحَهُ الألباني رحمه الله فِي "صحيح سنن أبي داود" (١/ ٦٦-٦٧)، و"صحيح الجامع" (٧٧٨٧).

(٨) **ضعيف**: أخرجه ابن أبي شيبة فِي "مصنفه" (٧/ ٣٧٥)، ولم يَثْبُتْ، لكن ثبت عنه رحمه الله -كما في "المصنَّف" أيضًا- أنَّه رأى رجلًا يطوف بالبيت وفي عنقه تميمة، فقطعها.

وَلَهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: (كَانُوا يَكْرَهُونَ[(١)] التَّمَائِمَ كُلَّهَا: مِنَ الْقُرْآنِ، وَغَيرِ الْقُرْآنِ)[(٢)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ الرُّقَى، وَتَفْسِيرُ التَّمَائِمِ. **الثَّانِيَةُ**: تَفْسِيرُ التِّوَلَةِ. **الثَّالِثَةُ**: أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَ كُلَّهَا مِنَ الشِّرْكِ مِنْ غَيرِ اسْتِثْنَاءٍ[(٣)]. **الرَّابِعَةُ**: أَنَّ الرُّقْيَةَ بِالْكَلَامِ الحَقِّ مِنَ الْعَينِ وَالحُمَةِ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ. **الخَامِسَةُ**: أَنَّ التَّمِيمَةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ: هَلْ هِيَ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لَا؟. **السَّادِسَةُ**: أَنَّ تَعْلِيقَ الْأَوْتَارِ عَلَى الدَّوَابِّ عَنِ الْعَينِ مِنْ ذَلِكَ. **السَّابِعَةُ**: الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ عَلَى مَنْ تَعَلَّقَ وَتَرًا. **الثَّامِنَةُ**: فَضْلُ ثَوَابِ مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ. **التَّاسِعَةُ**: أَنَّ كَلَامَ إِبْرَاهِيمَ لَا يُخَالِفُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الِاخْتِلَافِ؛ لِأَنَّ مُرَادَهُ: أَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



---

(١) أي: يحرِّمون؛ لأنَّ الكراهة عند السلف المراد بها التحريم.

(٢) **ضعيف**؛ رَوَاهُ ابن أبي شيبة في "مصنفه" برقم: (٢٣٤٦٧)، من طريق أبي بكر، عن هشام، عن مغيرة، عن إبراهيم، ومغيرة مدلِّس، ومع هذا قد عنعن. **قال الإمام أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ -كما في "التهذيب"-: رواية مغيرة عن إبراهيم فيها ضعف.

(٣) **قال العلَّامة العثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: **ظاهرُ كلامه**: حَتَّى الرُّقَى، وهَذَا فيه نظر؛ لأنَّ الرُّقى ثبت عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنه يَرقِي ويُرقَى، ولكنه لا يسترقي، أي: لا يطلب الرُّقية، فإطلاقه بالنسبة للرُّقى فيه نظر.

قلت: ولعلَّ الذي كان يكرهه المُعاذةُ للصبيان، أي: التعاويذ التي تُكتَب وتُعلَّق على الإنسان من العين، كما ثبت عنه في المصدر المذكور (٧/ ٣٧٦) **أنَّه كان يقول**: إنَّهم يدخلون به الخلاء.

٨- باب من تبرك[(١)] بشجرة أو حجر ونحوهما[(٢)]

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ[(٣)] وَٱلْعُزَّىٰ[(٤)] ۝ وَمَنَوٰةَ[(٥)] ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٩-٢٠].

وَعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ[(٦)] ﷺ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ[(٧)] بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: (ذَاتُ أَنْوَاطٍ)، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ![(٨)]، إِنَّهَا

---

(١) أي: طَلَبَ البركةَ. **والبركة لغة:** النَّماء. **وقال الخليل: البركة:** من الزيادة. **وشرعًا:** ثبوت الخير الإلهي في الشيء.

(٢) الجواب محذوف، تقديره: (فإنَّ ذلك من الشرك ومن أعمال المشركين)، قاله السعدي رحمه الله.

(٣) **قال العلَّامة العثيمين رحمه الله: قوله:** ﴿ٱللَّٰتَ﴾: تُقرأ بتشديد التاء وتخفيفها، والتشديد قراءة ابن عباس رضي الله عنهما، **فعلى قراءة التشديد:** تكون اسمَ فاعلٍ من (اللَّتِّ)، وكان هذا الصنم أصله رجل يَلُتُّ السَّوِيقَ للحُجَّاج، أي: يجعل فيه السَّمن ويُطعِمُه الحُجَّاجَ، فلما مات عَكَفُوا على قبره وجعلوه صنمًا. **وأما على قراءة التخفيف:** فإن (اللَّاتَ) مشتقة من (الله)، أو من (الإله)، فهُم اشتقوا من أسماء الله اسمًا لهذا الصنم، وسموه: (اللات)، وهي لأهل الطائف ومن حولهم من العرب.

(٤) مشتقٌّ من اسم الله (العزيز)، وهو صنم كان لقريش وبني كِنانة، وكان بنخلة بين مكة والمدينة، بعث النبي عليه الصلاة والسلام إليه خَالدًا رضي الله عنه فهدمه، وكان ذلك يوم الفتح.

(٥) **قال العلَّامة العثيمين رحمه الله: قوله:** (ومناة): **قيل:** مشتقة من (المَنَّان). **وقيل:** من (منى)؛ لكثرة ما يُمنَى عنده من الدماء، بمعنى: يُراقُ، ومنه سُمِّيَت (مِنَى)؛ لكثرة ما يُراقُ فيها من الدِّماء، وكان هذا الصنم بين مكة والمدينة لهُذَيل وخُزاعَة، وكان الأَوسُ والخَزْرَج يعظمونها ويُهِلُّونَ منها للحج.

(٦) اشتهر بكنيته، واختلف في اسمه، **فقيل:** الحارث بن عوف. **وقيل:** الحارث بن مالك. شَهِدَ بَدْرًا، والفَتْحَ، وَسَكَنَ مَكَّةَ. تُوُفِّيَ رضي الله عنه سَنَةَ: ثَمَانٍ وَسِتِّيْنَ.

(٧) أي: يُعلِّقون.

(٨) وهي كلمة تعظيم وتعجب.

السَّنَنُ[(١)] ، قُلْتُمْ -وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ- كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[الأعراف:١٣٨]، لَتَرْكَبُنَّ[(٢)] سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ[(٣)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النَّجْمِ. **الثَّانِيَةُ**: مَعْرِفَةُ صُورَةِ الْأَمْرِ الَّذِي طَلَبُوا. **الثَّالِثَةُ**: كَونُهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا. **الرَّابِعَةُ**: كَونُهُمْ قَصَدُوا التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ بِذَلِكَ؛ لِظَنِّهِمْ أَنَّهُ يُحِبُّهُ. **الْخَامِسَةُ**: أَنَّهُمْ إِذَا جَهِلُوا هَذَا فَغَيْرُهُمْ أَوْلَى بِالْجَهْلِ مِنْهُمْ. **السَّادِسَةُ**: أَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالْوَعْدِ بِالْمَغْفِرَةِ مَا لَيْسَ لِغَيرِهِمْ. **السَّابِعَةُ**: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَعْذُرْهُمْ الْأَمْر، بَلْ رَدَّ عَلَيهِمْ بِقَولِهِ: «**اللهُ أَكْبَرُ!، إِنَّهَا السَّنَنُ، لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»، فَغَلَّظَ الْأَمْرَ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ. **الثَّامِنَةُ**: **أَنَّ الْأَمْرَ الْكَبِيرَ -وَهُوَ الْمَقْصُودُ-**: أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ طَلَبَهُمْ كَطَلَبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا قَالُوا لِمُوسَى عليه السلام: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾[الأعراف:١٣٨]. **التَّاسِعَةُ**: أَنَّهُ نَفَى هَذَا مِنْ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، مَعَ دِقَّتِهِ وَخَفَائِهِ عَلَى أُولَئِكَ. **الْعَاشِرَةُ**: أَنَّهُ حَلَفَ عَلَى الْفُتيَا، وَهُوَ لَا يَحْلِفُ إِلَّا لِمَصْلَحَةٍ. **الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ**: أَنَّ الشِّرْكَ فِيهِ أَكْبَرُ وَأَصْغَرُ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَرْتَدُّوا بِهَذَا. **الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ**: قَولُهُمْ: (**وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ**): فِيهِ أَنَّ غَيرَهُمْ لَا يَجْهَلُ ذَلِكَ. **الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ**: ذِكْرُ التَّكْبِيرِ عِنْدَ التَّعَجُّبِ، خِلَافًا لِمَنْ كَرِهَهُ. **الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ**: سَدُّ الذَّرَائِعِ. **الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ**: النَّهْيُ عَنِ التَّشَبُّهِ بِأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ. **السَّادِسَةَ عَشْرَةَ**: الْغَضَبُ عِنْدَ

---

(١) أي: الطرق، ولك فيها الوجهان: فتحُ السين وضمُّه.

(٢) أي: لتتبعن.

(٣) **صحيح**: أخرجه التِّرْمِذِيُّ: (٢١٨٠)، وأَحْمَدُ: (٥/ ٢١٨)، وعبدالرزاق: (١١/ ٣٦٩)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" (١٥/ ١٠١)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "صحيح سنن الترمذي" (٢/ ٢٥٣).

التَّعْلِيم. **السَّابِعَة عَشرَةَ:** الْقَاعِدَةُ الْكُلِّيَّةُ لِقَولِهِ: (إِنَّهَا السُّنَنُ). **الثَّامِنَة عَشرَةَ:** أَنَّ هَذَا عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ؛ لِكَونِهِ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ. **التَّاسِعَة عَشرَةَ:** أَنَّ كُلَّ مَا ذَمَّ اللهُ بِهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ لَنَا. **الْعِشْرُونَ: أَنَّهُ مُقَرَّرٌ عِنْدَهُمْ:** أَنَّ الْعِبَادَاتِ مَبْنَاهَا عَلَى الْأَمْرِ، فَصَارَ فِيهِ التَّنْبِيهُ عَلَى مَسَائِلِ الْقَبْرِ: **أَمَّا:** (**مَنْ رَبُّكَ؟**): فَوَاضِحٌ، **وَأَمَّا:** (**مَنْ نَبِيُّكَ؟**): فَمِنْ إِخْبَارِهِ بِأَنْبَاءِ الْغَيبِ، **وَأَمَّا:** (**مَا دِينُكَ؟**): فَمِنْ قَولِهِمْ: (اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ...) إِلَى آخِرِهِ. **الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ:** أَنَّ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَذْمُومَةٌ كَسُنَّةِ الْمُشْرِكِينَ. **الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ:** أَنَّ الْمُنْتَقِلَ مِنَ الْبَاطِلِ الَّذِي اعْتَادَهُ قَلْبُهُ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ تِلْكَ الْعَادَةِ الْبَاطِلَةِ؛ لِقَولِهِ: (وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ).



٩- بَابُ مَا جَاءَ فِي الذَّبْحِ(١) لِغَيْرِ اللهِ(٢)

وَقولِ الله تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [أي: ذبحي] ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]، وَقَولِهِ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[الكوثر:٢].

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ(٣) رضي الله عنه، قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ الله ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ(٤): «لَعَنَ(٥) اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيرِ الله، لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٦).

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ(٧) رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «دَخَلَ الجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ»، قَالُوا: وَكَيفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ الله؟

---

(١) **الذبح لغة:** الشقُّ. **واصطلاحًا:** قطع الحلقوم من باطن عند النصيل، وهو موضع الذبح من الحلق.
والذبح على أربعة: ذبح لله وباسمه، وذبح لغير الله وبغير اسمه، وذبح لله لكن بغير اسمه، وذبح لغير الله لكن باسمه، **وينقسم إلى قسمين:** مشروع، وغير مشروع. **فالمشروع عَلَى ثلاثة:** واجب، كالذبح للهدي، ومستحب، كالذبح للضيف، ومباح، كالذبح للأكل، أو البيع. **وغير المشروع على قسمين:** شرك، كالذبح للقبور، أو الجن والشياطين، وذبح مبتدَعٌ، كالذبح فِي المولد، والإسراء والمعراج، أو المؤقت تقربًا، ولم يأتِ فيه نصٌّ، لا من كتابٍ ولا سنَّةٍ.

(٢) أي: من الأحكام والوعيد. واللام في: (لغير الله) للتعليل.

(٣) علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أمير المؤمنين، أبو الحسن -وكان يكنى (أبا تُراب) أيضًا- القرشي الهاشمي. زوج ابنة النبي ﷺ، وأول من أسلم من الصبيان، وكان من السابقين الأولين، شهد بدرًا وما بعدها.

(٤) تُطلَق (الكلمة) في اللغة عَلَى الجمل المفيدة، وفي الاصطلاح: على القول المفرد.

(٥) **ومعنى اللَّعن:** هو الطرد والإبعاد من رحمة الله سبحانه وتعالى.

(٦) برقم: (١٩٧٨)، (٤٣)، (٤٤).

(٧) ابْن عَبْدِ شَمْسِ بنِ سَلَمَةَ الأَحْمَسِيُّ البَجَلِيُّ الكُوْفِيُّ. رَأَى النَّبِيَّ ﷺ، وَغَزَا فِي خِلاَفَةِ أَبِي بَكْرٍ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَأَرْسَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. توفِّي سَنَةَ: ثَلاَثٍ وَثَمَانِيْنَ. "سير أعلام النبلاء" (٣/ ٤٨٦).

قَالَ: «مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَومٍ لَهُمْ صَنَمٌ لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ[(١)] حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ، قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ، قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا فَخَلَّوا سَبِيلَهُ[(٢)]، فَدَخَلَ النَّارَ. وَقَالُوا لِلْآخَرِ: قَرِّبْ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيئًا دُونَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الجَنَّةَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ[(٣)].

---

(١) أي: لا يمر عليه أحد، وكان ذلك فِي طريق المسلمين.

(٢) أي: تركُوهُ يَمُرُّ.

(٣) **صحيح موقوفًا على سلمان** رضي الله عنه **؛** أخرجه أحمد في "الزهد" صـ(٢٢). **قال الشيخ سليمان آل الشيخ** في "تيسير العزيز الحميد" (١٣٩): ذكره المصنف معزوًّا لأحمد، وقد طالعت "المسند" فما رأيته فيه. اهـ **وقال الشيخ الألباني** رحمه الله فِي "الضعيفة" (١٢) تحت رقم: (٥٨٢٩): **وفي هَذَا العزو أمور: أولًا: قوله: (يرفعه)**: خطأٌ واضحٌ، كما يتبين من تخريجنا هذا. **ثانيًا:** إطلاق العزو لأحمد فيه نظر؛ لأنه يوهم بإطلاقه أنه فِي مسنده، وليس فيه كما قَالَ الشيخ سليمان رحمه الله، ولو كَانَ فيه لأورده الهيثمي فِي "مجمع الزوائد"، وليس فيه أيضًا، وإنما هو فِي "الزهد" له، كما تقدم. **ثالثًا:** لم يتعد فِي إسناده طارق بن شهاب، فأوهم أنه من مسنده، وإنما هو من روايته عن سليمان موقوفًا، كما رأيت عند مخرجيه، ومن جميع طرقه. **هذا، وإني لأستنكر من هذا الحديث: دخول الرجل النار في ذباب؛ لأنَّ ظاهر سياقه**: أنه إنما فعل ذلك خوفًا من القتل الذي وقع لصاحبه، **كما أنَّني استنكرت قول الإمام محمد بن عبد الوهاب في المسألة الحادية عشر**: أن الذي دخل النار مسلم؛ لأنه لو كان كافرًا لم يقل: «دَخَلَ النَّارَ فِي ذُبَابٍ»! **فأقولــ: وجه الاستنكار**: أن هذا الرجل لا يخلو حاله من أمرين: **الأول:** أنه لَمَّا قدَّم الذباب للصنم إنما قدَّمه عبادةً له وتعظيمًا، فهو في هذه الحالة لا يكون مسلمًا، بل هو مشرك، **وهو ظاهر كلام الشارح الشيخ سليمان** رحمه الله في "التيسير" صـ(١٦١): في هذا بيان عظمة الشرك ولو في شيء قليل، وأنه يوجب النار، ألا ترى إلى هذا لَمَّا قرب لهذا الصنم أرذل الحيوان وأخسَّه -وهو الذباب- كان جزاؤه النار؟!؛ لإشراكه في عبادة الله؛ إذ الذبح على سبيل القربة والتعظيم عبادة، وهذا مطابق لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة:٧٢]. **والآخر:** أنه فعل ذلك خوفًا من القتل كما تقدَّم منِّي، وهو في هذه الحالة لا تجب له النار، فالحكم عليه بأنه مسلم دخل النار في ذباب يأباه قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[النحل:١٠٦] الآية، وقد نزلت في عمَّار بن ياسر حين عذبه المشركون؛ حتى يكفر به ﷺ، فوافقهم على ذلك مكرهًا، وجاء معتذرًا إلى النبي ﷺ، كما في "تفسير ابن كثير" وغيره. **ثُمَّ قَالَ** رحمه الله: **وبالجملة: فالحديث صحيح موقوفًا عَلَى سلمان** رضي الله عنه**، إلَّا أنه يظهر لي:** أنه من الإسرائيليَّات التي كَانَ تلقاها عن أسياده حينما كَانَ نصرانيًّا. اهـ

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾. **الثَّانِيَةُ**: تَفْسِيرُ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾. **الثَّالِثَةُ**: الْبَدَاءَةُ بِلَعْنَةِ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ. **الرَّابِعَةُ**: لَعْنُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيهِ، وَمِنْهُ: أَنْ تَلْعَنَ وَالِدَي الرَّجُلِ فَيَلْعَنَ وَالِدَيكَ(١). **الخَامِسَةُ**: لَعْنُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَهُوَ الرَّجُلُ يُحْدِثُ شَيئًا يَجِبُ فِيهِ حَقُّ اللهِ تَعَالَى، فَيَلْتَجِئُ إِلَى مَنْ يُجِيرُهُ مِنْ ذَلِكَ. **السَّادِسَةُ**: لَعْنُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ، وَهِيَ الْمَرَاسِيمُ الَّتِي تُفَرِّقُ بَيْنَ حَقِّكَ مِنَ الْأَرْضِ وَحَقِّ جَارِكَ، فَتُغَيِّرُهَا بِتَقْدِيمٍ أَوْ بِتَأْخِيرٍ. **السَّابِعَةُ**: الْفَرْقُ بَينَ لَعْنِ الْمُعَيَّنِ، وَلَعْنِ أَهْلِ الْمَعَاصِي عَلَى سَبِيلِ الْعُمُومِ. **الثَّامِنَةُ**: هَذِهِ الْقِصَّةُ الْعَظِيمَةُ، وَهِيَ قِصَّةُ الذُّبَابِ. **التَّاسِعَةُ**: كَونُهُ دَخَلَ النَّارَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الذُّبَابِ الَّذِي لَمْ يَقْصُدْهُ، بَلْ فَعَلَهُ تَخَلُّصًا مِنْ شَرِّهِمْ(٢). **الْعَاشِرَةُ**: مَعْرِفَةُ قَدْرِ الشِّرْكِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، كَيفَ صَبَرَ ذَلِكَ عَلَى الْقَتْلِ، وَلَمْ يُوَافِقْهُمْ عَلَى طِلْبَتِهِمْ، مَعَ كَونِهِمْ لَمْ يَطْلُبُوا إِلَّا الْعَمَلَ الظَّاهِرَ. **الحَادِيَةَ عَشْرَةَ**: أَنَّ الَّذِي دَخَلَ النَّارَ مُسْلِمٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ

---

(١) كافرَينِ كَانَا أو مسلمَين، فلا يجوز لعنهما أحياءً، أمَّا بعد الموت فلا بأس في لعنهما إذا كَانَا كافرين.

(٢) **قال العلامة العثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه المسألة ليست مُسلَّمة؛ فإنَّ قوله: (قَرِّب ولو ذبابًا) يقتضي أنه فعله قاصدًا التقرب، أمَّا لو فعله تخلصًا من شرهم فإنه لا يكفر؛ لعدم قصد التقرب، **ولهذا قال الفقهاء**: لو أُكرِهَ على طلاق امرأته فطلق تبعًا لقول المكرِهِ لم يقع الطلاق، بخلاف ما لو نوى الطلاق، فإن الطلاق يقع، وإن طلق دفعًا للإكراه لم يقع، وهذا حق؛ لقوله ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»، البخاري برقم: (١)، ومسلم برقم: (٥٤)، عن عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. **وظاهر القصة**: أنَّ الرجل ذَبَح بنية التقرب؛ لأنَّ الأصل أنَّ الفعل المبني على طلب يكون موافقًا لهذا الطلب، ونحن نرى خلاف ما يرى المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، أي: أنه لو فعله بقصد التخلص ولم ينوِ التقرب لهذا الصنم لا يكفر؛ لعموم قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾[النحل:١٠٦]. اهـ. **وقال العلَّامة صالح آل الشيخ** حَفِظَهُ اللَّهُ: ليس في الحديث أنَّه مُكرَهٌ؛ لأنَّه كان يمكنه أن يرجع إلى الجهة التي جاء منها. اهـ. **وقال العلَّامة حسن ابن عبد الرحمن التميمي** رَحِمَهُ اللَّهُ: **الظاهر**: أنَّه ليس متخلصًا، وإلَّا لم يدخل النار.

كَانَ كَافِرًا لَمْ يَقُلْ: «دَخَلَ النَّارَ فِي ذُبَابٍ». **الثَّانِيَة عَشرَة: فِيهِ شَاهِدٌ لِلْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ»**[(١)]. **الثَّالِثَة عَشرَة:** مَعْرِفَةُ أَنَّ عَمَلَ الْقَلْبِ هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ، حَتَّى عِنْدَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ[(٢)].



(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٤٨٨)، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.
(٢) وهَذِه المسألة مُشكِلةٌ مع المسألة التاسعة، لكن يُحتَمل أنَّهُ تساهَلَ في بِدْءِ الأمر، ثُمَّ زيَّنَ له الشيطان عَمَلَهُ، فرأى بَعَد ذلِك صوابَ فعله، وقد سبق بيان ذلك، والحمد لله.

١٠- بَابٌ: لَا يُذْبَحُ للهِ بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللهِ(١)

وَقَولِ الله تَعَالَى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ(٢) مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[التوبة:١٠٨].

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ(٣) رضي الله عنه، قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ(٤)، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فقَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ(٥) مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟»، قَالُوا: لَا، فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِهِمَا(٦).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ قَولِهِ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾[التوبة:١٠٨]. **الثَّانِيَةُ**: أَنَّ المَعْصِيَةَ قَدْ تُؤَثِّرُ فِي الْأَرْضِ، وَكَذَلِكَ الطَّاعَةُ(٧). **الثَّالِثَةُ**: رَدُّ المَسْأَلَةِ المُشْكِلَةِ إِلَى

---

(١) لكون المحل يُعصَى اللهُ عز وجل فيه، وأنَّه وسيلة من وسائل الشرك.

(٢) واختلف فِي المقصود بالمسجد المؤسَّس عَلَى التقوى، والحافظ ابن كثير عَلَى أن لا فرق فِي القولين، فمسجد قُبَاء هو أول مسجد أسس عَلَى التقوى، ومسجد النبي ﷺ هو من باب أولى كونًا، والله أعلم.

(٣) ثَابت بن الضَّحَّاك بن خَليفَة الأشهلي. ولد سنة: ثَلَاثٍ من الْهِجْرَة. سكن الشَّام، وانتقل إِلَى الْبَصْرَة، وَمَات سنة: خمسٍ وَأَرْبَعين. **وقيل**: أربعٍ وسِتِّين. روى عَنهُ أَبُو قلَابَة، وَعبد الله بن معقل.

(٤) بضم الباء، **وقيل**: بفتحها. **قَالَ البغوي**: موضع فِي أسفل مكة، دون يَلَمْلَمَ. **وقَالَ أبو السعادات**: هَضبَةٌ من وراء ينبع على ساحل البحر. "فتح المجيد" صـ(٢٦٥)، ط: (دار العاصمة).

(٥) **العيد**: هو اسم لكل ما يعود ويتكرر من الأزمنة، وكَانَ تابعًا لهديه عليه الصلاة والسلام.

(٦) **صحيح**: أخرجه أبو داود برقم: (٣٣١٣)، وصححه العلَّامة الألباني رحمه الله في "صحيح أبي داود" (٢/ ٣٢٨) والوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند" (١/ ١٥٧) برقم: (١٨٦).

(٧) وهكذا تؤثِّرُ فِي الزمن.

الْمَسْأَلَةِ الْبَيِّنَةِ؛ لِيَزُولَ الْإِشْكَالُ. **الرَّابِعَةُ:** اسْتِفْصَالُ[١] الْمُفْتِي إِذَا احْتَاجَ إِلَى ذَلِكَ. **الْخَامِسَةُ:** أَنَّ تَخْصِيصَ الْبُقْعَةِ بِالنَّذْرِ لَا بَأْسَ بِهِ إِذَا خَلَا مِنَ الْمَوَانِعِ. **السَّادِسَةُ:** الْمَنْعُ مِنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَوْ بَعْدَ زَوَالِهِ. **السَّابِعَةُ:** الْمَنْعُ مِنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ وَلَوْ بَعْدَ زَوَالِهِ. **الثَّامِنَةُ:** أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهُ الْوَفَاءُ بِمَا نَذَرَ فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ؛ لِأَنَّهُ نَذْرُ مَعْصِيَةٍ. **التَّاسِعَةُ:** الْحَذَرُ مِنْ مُشَابَهَةِ الْمُشْرِكِينَ فِي أَعْيَادِهِمْ وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ. **الْعَاشِرَةُ:** لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ. **الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ:** لَا نَذْرَ لِابْنِ آدَمَ فِيمَا لَا يَمْلِكُ.



(١) أي: طلب التفصيل والتفسير.

١١- بَابٌ: مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ[(١)] لِغَيرِ اللهِ

وَقَولِ الله تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[الإنسان:٧]، وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾[البقرة:٢٧٠]. وَفِي "الصَّحِيحِ" عَنْ عَائِشَةَ[(٢)] رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ»[(٣)].

---

(١) والنذر على ستة. قال العلامة العثيمين رحمه الله: أقسام النذر: الأول: ما يجب الوفاء به، وهو نذر الطاعة؛ لقوله ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ». الثاني: ما يحرم الوفاء به، وهو نذر المعصية؛ لقوله ﷺ: «وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ»، وقوله: «فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ الله». الثالث: ما يجري مجرى اليمين، وهو نذر المباح، فيُخيَّر بين فعله وكفارة اليمين، مثل لو نذر أن يلبَس هذا الثوب، فإن شاء لبسه وإن شاء لم يلبسه وكفَّر كفارة يمين. الرابع: نذر اللِّجاج والغضب، وسُمِّي بهذا الاسم؛ لأنَّ اللِّجاج والغضب يحملان عليه غالبًا، وليس بلازم أن يكون هناك لجاج وغضب، وهو الذي يقصد به معنى اليمين: الحث، أو المنع، أو التصديق، أو التكذيب، مثل لو قال: حصل اليوم كذا وكذا، فقال الآخر: لم يحصل، فقال: إن كان حاصلًا فعليَّ لله نذرٌ أن أصوم سنة، فالغرض من هذا النذر التكذيب، فإذا تبين أنه حاصل، فالنَّاذر مخيَّر بين أن يصوم سنة، وبين أن يُكَفِّر كفارة يمين؛ لأنَّه إن صام فقد وفَّى بنذره، وإن لم يصم حَنَثَ، والحانث في اليمين يُكَفِّر كَفَّارة يمين. الخامس: نذر المكروه، فيُكرَه الوفاء به، وعليه كفارة يمين. السادس: النذر المطلق، وهو الذي ذُكِر فيه صيغة النذر، مثل أن يقول: لله عليَّ نذر، فهذا كفارته كفارة يمين، كما قال النبي ﷺ: «كَفَّارَةُ النَّذْرِ إِذَا لَمْ يُسَمَّ كَفَّارَةُ يَمِينٍ». اهـ.

والنذر لا يأتي بخير ولا يدفع عن شر، قال العلَّامة العثيمين رحمه الله: واعْلَمْ: أنَّ النذر لا يأتي بخير ولو كان نذر طاعة، وإنما يستخرج به من البخيل، ولهذا نهى عنه النبيُّ ﷺ، وبعض العلماء يحرِّمُهُ، وإليه يميل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله؛ للنهي عنه.

(٢) وهي: بنت أبي بكر الصديق عبدِ الله بن أبي قُحَافَةَ، أُمُّ المؤمنين، وكانت أفقه نساء الأمة، كان مسروق إذا حدَّث عنها يقول: حدَّثتني الصديقةُ بنتُ الصديقِ، حبيبةُ حبيبِ الله، المبرَّأةُ من فوق سبعِ سماواتٍ. قال عروة بن الزبير رحمه الله: ما رأيت أحدًا أعلم بفقهٍ، ولا بطبٍّ، ولا بشِعرٍ من عائشة رضي الله عنها. توُفِّيت سنة: سبع وخمسين.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٧٠٠،٦٦٩٦).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: وُجُوبُ الْوَفَاءِ بِالنَّذْرِ. **الثَّانِيَةُ:** إِذَا ثَبَتَ كَونُهُ عِبَادَةً لله فَصَرْفُهُ إِلَى غَيرِهِ شِرْكٌ. **الثَّالِثَةُ:** أَنَّ نَذْرَ المَعْصِيَةِ لَا يَجُوزُ الْوَفَاءُ بِهِ.



١٢- بَابٌ: مِنَ الشِّرْكِ: الاِسْتِعَاذَةُ بِغَيرِ اللهِ[(١)]

وَقَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[الجن:٦]، [أي: ضعفًا وشدَّة].

وَعَنْ خَولَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ[(٢)] رضي الله عنها، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا[(٣)]، فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ[(٤)] التَّامَاتِ[(٥)] مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(٦)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الجِنِّ. **الثَّانِيَةُ:** كَونُهُ مِنَ الشِّرْكِ. **الثَّالِثَةُ:** الاِسْتِدْلَالُ عَلَى ذَلِكَ بِالحَدِيثِ؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ اسْتَدَلُّوا بِهِ عَلَى أَنَّ كَلِمَاتِ اللهِ غَيرَ مَخْلُوقَةٍ، **قَالُوا:** لِأَنَّ

---

(١) **قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: الاستعاذة:** الالتجاء والاعتصام والتحرُّز، **وحقيقتها:** الهربُ من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، ولهذا يُسمَّى المستعاذ به: (معاذًا) و(ملجأً) و(وزرًا)، فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه إلى ربِّه ومالِكِه، وفرَّ إليه وألقى نفسه بين يديه، واعتصم به واستجار به والتجأ إليه، وهذا تمثيلٌ وتفهيمٌ، وإلَّا فما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله والاعتصام به والإطِّراح بين يدي الرب والافتقار إليه والتذلُّل بين يديه أمرٌ لا تحيط به العبارة. هذا معنى كلام ابن القيم. **وقال ابن كثير: الاستعاذة:** هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شرِّ كلِّ ذي شر. والعياذ يكون لدفع الشر، واللِّياذ لطلب الخير. "التيسير" (١٧١).

(٢) **وَيُقَال:** خُوَيْلَة السُّلميَّة، امْرَأَة عُثْمَان بن مَظْعُون، وَهِي أمُّ شريك، وَهِي الَّتِي وهبت نَفسهَا للنَّبِي ﷺ فِي قَول بَعضهم، وَكَانَت صَالِحَةً. روى عَنْهَا سعد بن أبي وَقَّاص من حَدِيث التَّعَوُّذ عِنْد النُّزُول فِي السَّفر.

(٣) أي: مكَانًا أو موضعًا، سواء كان على سبيل الإقامة الدائمة أو الطارئة.

(٤) **كلمات الله عَلَى قسمين:** كونية وشرعية، **والمراد بها هنا:** كلاهما.

(٥) **وتمامها يكون بأمرين:** الصدق فِي الإخبار، والعدل فِي الأحكام.

(٦) برقم: (٢٧٠٨).

الإِسْتِعَاذَةَ بِالمَخْلُوقِ شِرْكٌ[(١)]. **الرَّابِعَةُ:** فَضِيلَةُ هَذَا الدُّعَاءِ مَعَ اخْتِصَارِهِ. **الخَامِسَةُ:** أَنَّ كَونَ الشَّيْءِ الَّذِي يَحْصُلُ بِهِ مَصْلَحَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ -مِنْ كَفِّ شَرٍّ، أَوْ جَلْبِ نَفْعٍ- لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الشِّرْكِ.



(١) **قال العَلَّامَةُ العثيمين** رَحِمَهُ اللهُ: **وجْهُ الاستشهاد:** أنَّ الاستعاذَةَ بكلماتِ الله لا تخرجُ عن كونها استعاذَةً باللهِ؛ لأنَّها صفةٌ من صِفَاتِهِ. اهـ "القول المفيد على كتاب التوحيد" (١/ ٢٥٧).

١٣- بَابٌ: مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ[(١)] بِغَيرِ اللهِ أَوْ يَدْعُوَ[(٢)] غَيرَهُ

وَقَولِ الله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[يونس:١٠٦-١٠٧]، وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ[(٣)] وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[العنكبوت:١٧]، وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾[الأحقاف:٥-٦]، وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾ [أي: المكروب المجهود] ﴿إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾[النمل:٦٢].

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ[(٤)] بِإِسْنَادِهِ، أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ

---

(١) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: الاستغاثة: طلب الغوث، وهو إزالة الشدة، كالاستنصار: طلب النصر، والاستعانة طلب العون. وثمّة فرقٌ بينها وبين الدعاء، وهو: أنَّ الاستغاثة لا تكون إلَّا من المكروب، كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾[القصص:١٥]، وقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[الأنفال:٩]، والدعاء أعمُّ من الاستغاثة؛ لأنَّه يكون من المكروب وغيره، فعلى هذا: عطفُ الدعاءِ على الاستغاثةِ من عطفِ العام على الخاص. "مجموع الفتاوى" (١/ ١٠٣).

(٢) المراد بالدعاء هنا: دعاء المسألة فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

(٣) الرزق: هو اسم جامع لكل ما فيه نفع للإنسان أو غيره.

(٤) ضعيف: أخرجه الطبراني كما في "مجمع الزوائد" (١٠/ ١٥٩) برقم: (١٧٢٧٦)، عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وضعَّفه الوادعي والحجوري في "اللُّمَع على إصلاح المجتمع" (٢١٣).

النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ ﷻ».

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: أَنَّ عَطْفَ الدُّعَاءِ عَلَى الِاسْتِغَاثَةِ مِنْ عَطْفِ الْعَامِّ عَلَى الخَاصِّ(١). **الثَّانِيَةُ**: تَفْسِيرُ قَولِهِ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾. **الثَّالِثَةُ**: أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ. **الرَّابِعَةُ**: أَنَّ أَصْلَحَ النَّاسِ لَوْ يَفْعَلُهُ إِرْضَاءً لِغَيرِهِ صَارَ مِنَ الظَّالِمِينَ. **الخَامِسَةُ**: تَفْسِيرُ الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا. **السَّادِسَةُ**: كَونُ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُ فِي الدُّنْيَا مَعَ كَونِهِ كُفْرًا. **السَّابِعَةُ**: تَفْسِيرُ الْآيَةِ الثَّالِثَةِ. **الثَّامِنَةُ**: أَنَّ طَلَبَ الرِّزْقِ لَا يَنْبَغِي إِلَّا مِنَ اللهِ، كَمَا أَنَّ الجَنَّةَ لَا تُطْلَبُ إِلَّا مِنْهُ. **التَّاسِعَةُ**: تَفْسِيرُ الْآيَةِ الرَّابِعَةِ. **الْعَاشِرَةُ**: أَنَّهُ لَا أَضَلَّ مِمَّنْ دَعَا غَيرَ اللهِ(٢). **الحَادِيَةَ عَشرَةَ**: أَنَّهُ غَافِلٌ عَنْ دُعَاءِ الدَّاعِي، لَا يَدْرِي عَنْهُ. **الثَّانِيَةَ عَشرَةَ**: أَنَّ تِلْكَ الدَّعْوَةَ سَبَبٌ لِبُغْضِ المَدْعُوِّ لِلدَّاعِي وَعَدَاوَتِهِ لَهُ. **الثَّالِثَةَ عَشرَةَ**: تَسْمِيَةُ تِلْكَ الدَّعْوَةِ عِبَادَةً لِلْمَدْعُوِّ لَهُ. **الرَّابِعَةَ عَشرَةَ**: كُفْرُ المَدْعُوِّ بِتِلْكَ الْعِبَادَةِ. **الخَامِسَةَ عَشرَةَ**: هِيَ سَبَبُ كَونِهِ أَضَلَّ النَّاسِ. **السَّادِسَةَ عَشرَةَ**: تَفْسِيرُ الْآيَةِ الخَامِسَةِ. **السَّابِعَةَ عَشرَةَ**: **الْأَمْرُ الْعَجِيبُ**، وَهُوَ إِقْرَارُ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ أَنَّهُ لَا يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِلَّا اللهُ، وَلِأَجْلِ هَذَا يَدْعُونَهُ فِي الشَّدَائِدِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ. **الثَّامِنَةَ عَشرَةَ**: حِمَايَةُ المُصْطَفَى ﷺ حِمَى التَّوحِيدِ، وَالتَّأَدُّبُ مَعَ اللهِ.



---

(١) **الاستغاثة عَلَى ثلاثة**: قسمان منفيان، وقسم مباح، **فالأول**: الاستغاثة بالميت مطلقًا. **والثاني**: الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله. **والثَّالِثُ**: الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدِرُ، وَهِيَ المباحةُ منها.

(٢) وهَذَا فِي قوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾، وَهُوَ استفهام استنكاري أبلغ من مجرد الإنكار، قاله العثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

١٤- بابُ قولِ الله تعالى:

﴿ أَيُشْرِكُونَ[(١)] مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾[الأعراف:١٩١-١٩٢]، وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ[(٢)] * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر:١٣-١٤].

وَفِي "الصَّحِيح" عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: شُجَّ[(٣)] النَّبِيُّ ﷺ يَومَ أُحُدٍ[(٤)]، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ[(٥)]، فقَالَ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟![(٦)]»، فَنَزَلَتْ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[آل عمران:١٢٨][(٧)].

---

(١) **الاستفهام على قسمين**: حقيقي، وهو المسمَّى بـ(طلب الإخبار)، كـ(أجاء زيدٌ؟) لمن لا يَعلَم مجيء زيد، وغير حقيقي، وهو نوعان: إنكار إبطالي، وهو ما اقتضى أنَّ ما بعده غير واقع، وأنَّ مدَّعيه كاذب، كقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾[الصافات:١٤٩]، وقوله: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾[الطور:١٥]، وإنكار توبيخي، وهو ما اقتضى أنَّ ما بعده واقع، ويكون فاعله ملومًا، كقوله تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾[الصافات:٩٥]، وقوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الشعراء:١٦٥]. **قال الصبَّان** في حاشيته على "شرح الأشموني" (٣/ ١٥١): **الإنكار على ثلاثة أوجه**: إنكار على مدعي وقوع الشيء، ويلزمه النفي، وإنكار على من أوقع الشيء، ويختصان بالهمزة، وإنكارُ وقوع الشيء، وهذا معنى النفي، وتختص به (هل) عن الهمزة. اهـ

(٢) وهو: اللُّفافة الرقيقة التي تكون عَلَى النواة، خلافًا للفتيل، فإنه سلك يكون فِي شق النواة. **وأما النقير**: فإنه النقرة التي تكون عَلَى ظهر النواة، **والمراد بها**: الغاية فِي الحقارة.

(٣) **الشَّجُّ**: هو الجرح فِي الرأس عامَّةً، أو الوجه خاصة.

(٤) و(أُحُد) من الجمادات التي تُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، خلافًا للفلاسفة، فإنَّهم ينكرون ذلِكَ.

(٥) بفتح الرَّاء وضمِّها، وَهِيَ التي تلي الثَّنِيَّة، وعددها أربعة. والكسر كَانَ فِي فلقة منها.

(٦) وهَذَا استفهام تعجب أريد به الإنكار.

(٧) أخرجه البخاري معلَّقًا بصيغة الجزم فِي (كتاب المغازي)، باب: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ...﴾، ووصله مسلم: (١٧٩١).

وَفِيهِ **عَنِ ابْنِ عُمَرَ** رضي الله عنهما(١)، أَنَّهُ سَمِعَ(٢) رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الْفَجْرِ(٣): **«اللَّهُمَّ الْعَنْ(٤) فُلَانًا وَفُلَانًا»** بَعْدَمَا يَقُولُ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ، فَأَنْزَلَ اللهَ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾...الْآيَةَ [آل عمران:١٢٨](٥). وَفِي رِوَايَةٍ: يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَسُهَيلِ بْنِ عَمْرٍو، وَالحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾(٦).

وَفِيهِ **عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ** رضي الله عنه(٧)، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ الله ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء:٢١٤]، صَعَدَ الصَّفَا فَقَالَ: **«يَا مَعْشَرَ قُرَيشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ(٨) لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ الله شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ(٩) عَبْدِ المُطَّلِبِ لَا أَغْنِي عَنْكَ مِنَ الله شَيئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةُ رَسُولِ الله لَا**

---

(١) وهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطَّاب العدوي القرشي المكي المدني. عرض نفسه للجهاد على رسول الله ﷺ وهو ابن أربع عشرة سنة. شهد الأحزاب، والحديبية. **قال جابر** رضي الله عنه: ما منَّا أحدٌ إلَّا مالت به الدنيا، إلَّا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وكان من أشد الناس إتباعًا للأثر. توفِّيَ رضي الله عنه سَنَةَ: ثَلَاثٍ وَسَبْعِيْنَ. "أسد الغابة" (٣/ ٣٣٦).

(٢) سمع لها معانٍ عدة، **منها**: الاستجابة.

(٣) وهَذَا فِي قنوت النازلة، وَهُوَ مشروعٌ. **وقوله**: (**في الركعة الأخيرة من الفجر**): هذا من باب ذكر البعض وإرادة الكل، **وإلَّا فالمشروع**: أنَّ القنوت يكون في الصلوات الخمسة كلها.

(٤) **اللعن**: بمعنى الطرد والإبعاد من رحمة الله، وتأتي بمعنى السب.

(٥) أخرجه البخاري: (٤٠٦٩) (٤٥٥٩) (٧٣٤٦).

(٦) **صحيح**: صَحَّحَهُ الألباني فِي "صحيح وضعيف سنن التِّرْمِذِيُّ" برقم: (٣٠٠٤).

(٧) هو عبد الرحمن بن صخر الدَّوسي اليماني، الإِمَامُ، الفَقِيْهُ، المُجْتَهِدُ، الحَافِظُ، سَيِّدُ الحُفَّاظِ الأَثْبَاتِ. كان صاحبَ صيام وقيام، ولِيَ إمرة المدينة مرَّات. **قال ابن حجر** رحمه الله: حافظ الصحابة، كنَّاه النبي ﷺ حين رآه يحمل هرَّةً. شهد خيبر بعد إسلامه مباشرة. توفي سنة: سبع وخمسين.

(٨) ولا يكون الشراء إلا بطاعة الله وتوحيده، ومتابعة نبيِّه عليه الصلاة والسلام.

(٩) يجوز الوجهان فِي (ابن): الفتح والضم.

أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيئًا، وَيَا فَاطِمَةُ[(١)] بْنَتُ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ[(٢)]، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيئًا»[(٣)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ الْآيَتَينِ. **الثَّانِيَةُ:** قِصَّةُ أُحُدٍ. **الثَّالِثَةُ:** قُنُوتُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَخَلْفَهُ سَادَاتُ الْأَوْلِيَاءِ يُؤَمِّنُونَ فِي الصَّلَاةِ. **الرَّابِعَةُ:** أَنَّ الْمَدْعُوَّ عَلَيْهِمْ كُفَّارٌ. **الْخَامِسَةُ:** أَنَّهُمْ فَعَلُوا أَشْيَاءَ مَا فَعَلَهَا غَالِبُ الْكُفَّارِ، **مِنْهَا:** شَجُّهُمْ نَبِيَّهُمْ وَحِرْصُهُمْ عَلَى قَتْلِهِ. **وَمِنْهَا:** التَّمْثِيلُ بِالْقَتْلَى، مَعَ أَنَّهُمْ بَنُو عَمِّهِمْ. **السَّادِسَةُ:** أَنْزَلَ اللهُ عَلَيهِ فِي ذَلِكَ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾. **السَّابِعَةُ:** قَولُهُ: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾، فَتَابَ عَلَيهِمْ فَآمَنُوا. **الثَّامِنَةُ:** الْقُنُوتُ فِي النَّوَازِلِ[(٤)]. **التَّاسِعَةُ:** تَسْمِيَةُ الْمَدْعُوِّ عَلَيهِمْ فِي الصَّلَاةِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ. **الْعَاشِرَةُ:** لَعْنُهُ الْمُعَيَّنَ فِي الْقُنُوتِ. **الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ:** قِصَّتُهُ ﷺ لَـمَّا أُنْزِلَ عَلَيهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾. **الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ:** جِدُّهُ ﷺ فِي هَذَا الْأَمْرِ، بِحَيثُ فَعَلَ مَا نُسِبَ بِسَبَبِهِ إِلَى الْجُنُونِ، وَكَذَلِكَ لَوْ يَفْعَلُهُ مُسْلِمٌ الْآنَ[(٥)]. **الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ:** قَولُهُ لِلْأَبْعَدِ وَالْأَقْرَبِ: «لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيئًا»، حَتَّى قَالَ: «يَا فَاطِمَةُ بْنَتُ مُحَمَّدٍ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيئًا»،

---

(١) فائدة: إذا كان المنادى مفردًا مبنيًّا على الضم ووُصِف بـ(ابن) أو (ابنة) لك فيه وجهان على الصحيح: الضم على الأصل، والفتح إتباعًا للحركة في (ابن).

(٢) وهَذَا يدل عَلَى مراتب دعوة النبي ﷺ الأربعة: ١- كونه نبيًّا. ٢- دعوته لأقربائه. ٣- دعوته للعرب. ٤- دعوته للأمة أجمع. والإنذار أعمُّ من الرسالة، وهو الإعلام بالمخيف، أي: العذاب.

(٣) أخرجه البخاري: (٢٧٥٣) (٤٧٧١)، ومسلم: (٢٠٦)، واللفظ للبخاري.

(٤) واحِدُهَا: (نازلة)، وهي الشِّدة تنزل بالناسِ، والعياذُ بالله.

(٥) وهَذَا يَدُلُّ على أنَّه عانى رَحِمَهُ اللهُ في زمَنِه من أهْلِ الشِّركِ والإلحاد، ومَعَ ذلِكَ لـم يمنعهُ من الدَّعوةِ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، حتى بلغت دعوتُهُ مشارِقَ الأرض ومغاربها، فينبغي على الدَّاعية أن لا يتقهقر إلى الوراءِ إذا أُصِيبَ بشيءٍ من الأذى في الدَّعوةِ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فبقدر الأذى يكون الأجر عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله المستعان.

فَإِذَا صَرَّحَ -وَهُوَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ- أَنَّهُ لَا يُغْنِي شَيْئًا عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَآمَنَ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ ﷺ لَا يَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ، ثُمَّ نَظَرَ فِيمَا وَقَعَ فِي قُلُوبِ خَوَاصِّ النَّاسِ الْيَومَ، تَبَيَّنَ لَهُ التَّوحِيدُ وَغُرْبَةُ الدِّينِ.



١٥- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ[(١)] عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّ[(٢)] وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾[سبأ:٢٣].

وَفِي "الصَّحِيحِ" عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَضَى**[(٣)] **اللهُ الْأَمْرَ فِي السَّماءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضعَانًا**[(٤)] **لِقَولِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ**[(٥)]**، يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ**[(٦)] -وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوقَ بَعْضٍ، وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ، فَحَرَّفَهَا وَبَدَّدَ بَينَ أَصَابِعِهِ- **فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ**[(٧)] **قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا**

---

(١) أي: أُزِيلَ الفزع عن قلوب الملائكة. و(فزع): تتعدَّى بـ(عن)، **وأصل الفزع**: مفاجأة الخوف.
فائدة: اعلم -رحمني الله وإيَّاك- أنَّ (حتى) إذا جاء بعدها (إذا) تكون ابتدائيَّة، بشرط أن يتقدمها كلام ظاهر أو مقدَّر، وقد جاءت (حتى) في القرآن الكريم في اثنين وأربعين موضعًا: ثمانية وثلاثون منها بعد كلام ظاهر، وأربع منها بعد كلام مقدَّر.

(٢) أي: قَالَ القولَ الحق، وَهُوَ مفعول مطلق.

(٣) **المراد بالقضاء هنا**: الأمر بالشيء والحكم، بأن يتكلَّم آمرًا ملائكته.

(٤) حال من (خضوع)، أي: خاضعين.

(٥) **الصفوان**: هو الحجر الأملس الصلب.

(٦) **استراق السمع مَرَّ على ثلاث مراحل**: **الأولى**: قبل بعثته عليه الصلاة والسلام، وكان ذلك بكثرة؛ لكثرة السحرة والكهنة. **الثانية**: بعد بعثته ونزول الوحي، وهذه المدَّة مُنِع الشياطين، فلم يتمكنوا من ذلك بشيء. **الثالثة**: بعد موته عليه الصلاة والسلام، وهذه المرحلة عاد فيها الجن إلى استراق السمع، لكن ليس بالكثرة التي كانوا عليها قبل بعثته عليه الصلاة والسلام، **ومعنى هذا**: أن كثرة الاستراق بكثرة السحرة والكهنة، والله المستعان.

(٧) وهو: نجم ثاقب قوي. **قال العلامة العثيمين رحمه الله**: **الشهاب**: جزءٌ منفصل من النجوم، ثاقب، قوي، ينفذ فيما يصطدم به. "القول المفيد" (١/ ٣١٤).

أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ(١)، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَومَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ»(٢).

وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ(٣) رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ، أَخَذَتِ السَّمَوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ، -أَوْ قَالَ: رَعْدَةٌ شَدِيدَةٌ- خَوْفًا مِنَ الله عز وجل، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ صَعِقُوا وَخَرُّوا للهِ سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ(٤)، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: قَالَ الحَقَّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَى حَيثُ أَمَرَهُ اللهُ عز وجل»(٥).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ الْآيَةِ. **الثَّانِيَةُ:** مَا فِيهَا مِنَ الحُجَّةِ عَلَى إِبْطَالِ الشِّرْكِ، خُصُوصًا مَا تَعَلَّقَ عَلَى الصَّالِحِينَ، وَهِيَ الْآيَةُ الَّتِي قِيلَ: (إِنَّهَا تَقْطَعُ عُرُوقَ شَجَرَةِ الشِّرْكِ مِنَ الْقَلْبِ). **الثَّالِثَةُ:** تَفْسِيرُ قَولِهِ: ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾. **الرَّابِعَةُ:** سَبَبُ سُؤَالِهِمْ عَنْ ذَلِكَ. **الخَامِسَةُ:** أَنَّ جِبْرَائِيلَ يُجِيبُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَولِهِ: (قَالَ كَذَا وَكَذَا). **السَّادِسَةُ:** ذِكْرُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرَائِيلُ. **السَّابِعَةُ:** أَنَّهُ يَقُولُ لِأَهْلِ السَّمَوَاتِ كُلِّهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَسْأَلُونَهُ. **الثَّامِنَةُ:** أَنَّ الْغَشْيَ يَعُمُّ أَهْلَ

---

(١) وهذا للدلالة على الكثرة، لا للتحديد.

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٤٧٠١) (٤٨٠٠).

(٣) وهو ابن خالد بن عبد الله الكلابي الأنصاري، نزيل الشام، صحابي مشهور. روى لَهُ البخاري تعليقًا ومسلم والأربعة موصولًا. تُوفِّي فِي حُدُود الْخمسين لِلْهِجْرَةِ. و(السِّمْعَان): بكسر السين وفتحه.

(٤) **لك فيه وجهان:** الرفع عَلَى الفاعلية والنصب عَلَى الخبرية لـ(يكون).

(٥) **ضعيف:** ضعَّفه الألباني رحمه الله فِي "تخريج السُّنَّة" لابن أبي عاصم (١/ ٢٢٧) برقم: (٥١٥).

السَّمَوَاتِ كُلِّهِمْ. **التَّاسِعَةُ:** ارْتِجَافُ السَّمَوَاتِ بِكَلَامِ اللهِ ﷻ. **الْعَاشِرَةُ:** أَنَّ جِبْرَائِيلَ هُوَ الَّذِي يَنْتَهِي بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ ﷻ. **الحَادِيَة عَشْرَةَ:** ذِكْرُ اسْتِرَاقِ الشَّيَاطِينِ. **الثَّانِيَة عَشْرَةَ:** صِفَةُ رُكُوبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا. **الثَّالِثَة عَشْرَةَ:** سَبَبُ إِرْسَالِ الشِّهَابِ. **الرَّابِعَة عَشْرَةَ:** أَنَّهُ تَارَةً يُدْرِكُهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَتَارَةً يُلْقِيهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ مِنَ الْإِنْسِ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ. **الخَامِسَة عَشْرَةَ:** كَونُ الْكَاهِنِ يَصْدُقُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ[١]. **السَّادِسَة عَشْرَةَ:** كَونُهُ يَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ. **السَّابِعَة عَشْرَةَ:** أَنَّهُ لَمْ يُصَدَّقْ كَذِبُهُ إِلَّا بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ. **الثَّامِنَة عَشْرَةَ:** قَبُولُ النُّفُوسِ لِلْبَاطِلِ، كَيفَ يَتَعَلَّقُونَ بِوَاحِدَةٍ وَلَا يَعْتَبِرُونَ بِمِائَةِ كَذْبَةٍ؟!. **التَّاسِعَة عَشْرَةَ:** كَوْنُهُمْ يَتَلَقَّى بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ تِلْكَ الْكَلِمَةَ، وَيَحْفَظُونَهَا وَيَسْتَدِلُّونَ بِهَا. **العِشْرُونَ:** إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ، خِلَافًا لِلْأَشْعَرِيَّةِ الْمُعَطِّلَةِ. **الحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ:** أَنَّ تِلْكَ الرَّجْفَةَ وَالْغَشْيَ خَوفٌ مِنَ اللهِ ﷻ. **الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ:** أَنَّهُمْ يَخِرُّونَ للهِ سُجَّدًا.



(١) وذلك لإخبار الجنِّ بعضَ مُستَسرَقاتِ السَّمع ا لمقدورةَ الغير خاصة بجبريلَ عليه السلام أو غيره من الملائكة.

١٦- بَابُ الشَّفَاعَةِ(١)

وَقَولِ الله ﷻ: ﴿وَأَنذِرْ(٢) بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم(٣) مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ(٤) وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[الأنعام:٥١]، وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر:٤٤]، وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ(٥)﴾ [البقرة:٢٥٥]، وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾[النجم:٢٦]، وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى

---

(١) قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "أصول الإيمان" (٢٧): الشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية، وشفاعة مثبَتَة، فالشفاعة المنفية: ما كانت تُطلَب من غير اللهَّ فيما لا يقدر عليه إلا اللهَّ، والدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[البقرة:٢٥٤]. والشفاعة المثبَتَة: هي التي تُطلَب من الله، والشافع مكرمٌ بالشفاعة، والمشفوع له: من رضي الله قولَهُ وعمَلَه بعد الإذن، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[البقرة:٢٥٥]. اهـ

فائدة: شفاعة النبي ﷺ عَلَى أربعة أقسام: ١- شفاعته لعمِّه أبي طالب. ٢- شفاعته لأهله من المؤمنين. ٣- الشفاعة العظمى. ٤- شفاعته لأهل الجَنَّة أن يدخلوها. وقد أوصلها بعضهم إلى سبعةٍ، وكلُّها تعود إلى هذه الأربعة. والشَّفَاعَةُ اصطلاحًا: هيَ التَّوَسُّطُ للغير بجلب منفعةٍ أو دَفع مَضرَّة.

(٢) الإنذار: هو الإعلام مع التخويف.

(٣) وجملة: ﴿لَيْسَ لَهُم﴾ حالية.

(٤) الوَلِيُّ -على وزن (فعيل)-: هو المؤمن التقي. وقال الجرجاني رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "التعريفات" (٢٥٤): الوَلِيُّ: (فعيل) بمعنى (الفاعل)، وهو: مَنْ تَوَالَتْ طاعتُهُ مِن غير أن يتخلَّلَها عصيان، أو بمعنى: (المفعول)، فهو: من يتوالى عليه إحسانُ الله وأفضاله. وقيل: هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن، المواظب على الطاعات، المجتنب عن المعاصي، المعرض عن الانهماك في اللَّذَّات والشهوات.

(٥) الإذن لغة: الإعلام. وشرعًا: فكُّ الحَجر، أي: الحَظر. وهو عَلَى قسمين: شرعي وكوني.

﴿ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [أي: عون] ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٢-٢٣].

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: نَفَى اللهُ عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيرِهِ مُلْكٌ أَوْ قِسْطٌ مِنْهُ، أَوْ يَكُونَ عَونًا لله، وَلَمْ يبْق إِلَّا الشَّفَاعَة، فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يومَ الْقِيَامَةِ، كَمَا نَفَاهَا الْقُرْآنُ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ -وَلَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا- ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»**[1]، وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: **«مَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»**[2]، فَتِلْكَ الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ بِإِذْنِ الله، وَلَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِالله. وَحَقِيقَتُهَا: أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ- هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الْإِخْلَاصِ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ؛ لِيُكْرِمَهُ وَيَنَالَ المَقَامَ المَحْمُودَ، **فَالشَّفَاعَةُ الَّتِي نَفَاهَا الْقُرْآنُ:** مَا كَانَ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ، فَتِلْكَ مَنْفِيَّةٌ مُطْلَقًا، وَلِهَذَا أَثْبَتَ الشَّفَاعَةَ بِإِذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ. انتهى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.[3]

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٥١٠) (٤٧١٢)، ومسلم برقم: (١٩٣) (١٩٤)، من حديث أنس بن مالك وأَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٩٩) من حديث أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) "مجموع الفتاوى" (٧/ ٧٧-٧٩) بتصرف من المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ الْآيَاتِ. **الثَّانِيَةُ:** صِفَةُ الشَّفَاعَةِ الْمَنْفِيَّةِ. **الثَّالِثَةُ:** صِفَةُ الشَّفَاعَةِ الْمُثْبَتَةِ[1]. **الرَّابِعَةُ:** ذِكْرُ الشَّفَاعَةِ الْكُبْرَى، وَهِيَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ. **الْخَامِسَةُ:** صِفَةُ مَا يَفْعَلُهُ ﷺ، وَأَنَّهُ لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا، بَلْ يَسْجُدُ، فَإِذَا أُذِنَ لَهُ شَفَعَ. **السَّادِسَةُ:** مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِهَا. **السَّابِعَةُ:** أَنَّهَا لَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ. **الثَّامِنَةُ:** بَيَانُ حَقِيقَتِهَا.



---

(١) وهي التي تطلب من الله. والشفاعة المثبتة لا تقبل إلَّا بشروط: ١- قدرة الشافع عَلَى الشفاعة. ٢- إسلام المشفوع له. ٣- الإذن للشافع. ٤- الرضا عن المشفوع.

١٧- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى[(١)] مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[القصص:٥٦].

وَفِي "الصَّحِيحِ" عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ[(٢)]، عَنْ أَبِيهِ[(٣)] رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ[(٤)] جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ لَهُ: **«يَا عَمِّ، قُلْ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، كَلِمَةً أُحَاجُّ[(٥)] لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ»**، فَقَالَا لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ[(٦)]؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَعَادَا، فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)،

---

(١) قال العلامة الفوزان حفظه الله في كتابه "إعانة المستفيد" (١/ ٢٥٨): **الهداية هدايتان**: هداية يملكها الرسول ﷺ، وهداية لا يملكها، **أما الهداية التي يملكها الرسول**: فهي هداية الإرشاد والدعوة والبيان، ويملكها كلُّ عالم يدعو إلى الخير. **وأما الهداية المنفيَّة**: فهي هداية القلوب، وإدخال الإيمان في القلوب، فهذه لا يملكها أحد إلَّا الله سبحانه وتعالى، فنحن علينا الدعوة، وهداية الإرشاد والإبلاغ، أما هداية القلوب فهذه بيد الله سبحانه وتعالى، لا أحد يستطيع أن يوجد الإيمان في قلب أحد إلَّا الله عز وجل.

(٢) هو: سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات، والفقهاء الكبار، من كبار التابعين، اتفقوا عَلَى أنَّ مرسَلاتِهِ أصحُّ المراسيل. **وقال ابن المديني**: لا أعلمُ فِي التابعين أوسعَ علمًا مِنْهُ. روى لَهُ الجماعة. مات بعد (٦٠) وقد ناهز (٨٠) سنة. اهـ من "التقريب".

(٣) هو: المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي، صحابي ابن صحابي، ممن بايع تحت الشجرة، بقي إلى خلافة عثمان رضي الله عنه. روى عنه: ابنه سعيد بن المسيب.

(٤) أي: ظَهَرَتْ عليه علامات الموتِ.

(٥) قال العلامة العثيمين رحمه الله في كتابه "القول المفيد" (١/ ٣٥٠-٣٥١): أي: أذكرها حُجةً لك عند الله، وليس أخاصم وأجادل لك بها عند الله، **وإن كان بعض أهل العلم قال: إنَّ معناها**: أجادل الله بها، **ولكن الذي يظهر لي أن المعنى**: أحاج لك بها عند الله، أي: أذكرها حجة لك كما جاء في بعض الروايات: **«أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ»**.

(٦) وهذه تسمَّى: (الحجة الملعونة)، وهي قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾[الزخرف:٢٢].

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[التوبة:١١٣]...الْآيَـة، وَأَنْزَلَ اللهُ فِي أَبِي طَالِبٍ[(١)]: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[القصص:٥٦][(٢)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ قَولِهِ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾. **الثَّانِيَةُ**: تَفْسِيرُ قَولِهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾. **الثَّالِثَةُ** -وَهِيَ الْمَسْأَلَةُ الْكُبْرَى-: تَفْسِيرُ قَولِهِ: «قُلْ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)»، بِخِلَافِ مَا عَلَيهِ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ. **الرَّابِعَةُ**: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ[(٣)] وَمَنْ مَعَهُ يَعْرِفُونَ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا قَالَ لِلرَّجُلِ: «قُلْ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)»، فَقَبَّحَ اللهُ مَنْ أَبُو جَهْلٍ أَعْلَمُ مِنْهُ بِأَصْلِ الْإِسْلَامِ. **الْخَامِسَةُ**: جِدُّهُ ﷺ وَمُبَالَغَتُهُ فِي إِسْلَامِ عَمِّهِ. **السَّادِسَةُ**: الرَّدُّ عَلَى مَنْ

---

(١) واسمه: عبد مناف. **ومن اللطائف**: أنَّه كان للنبي ﷺ أربعةُ أعمام: **١- حمزة** رضي الله عنه أسد الله. **٢- العبَّاس** رضي الله عنه. **٣- عبد مناف (أبو طالب)**. **٤- عبد العُزَّى (أبو لهب)**، فالأولان ماتا على الإسلام، والآخران على الكفر، ولعلَّ ذلك عائدٌ إلى الأسماء، أي: أنَّه لَـمَّا سُمِّي الأولان بأسماء المسلمين -(حمزة) و(العباس)- أثَّر ذلك في إسلامهما، ولَـمَّا سُمِّي الآخران بأسماءٍ تدل على عبادة الأوثان والشرك بالله ﷻ ماتا على ذلك، أي: على عبادة الأوثان وعلى الشرك بالله، والعياذ بالله؛ فينبغي على المسلم ألَّا يُسمِّي أولاده إلَّا بأسماء الأنبياء والصحابة والتابعين من بعدهم، وغير ذلك من أسماء الصالحين؛ لما في الأسماء من تأثير في مسمَّياتها.

(٢) أخرجه البخاري: (١٣٦٠)، ومسلم: (٢٤)، وأورده الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند من أسباب النزول" (١٧٨-١٧٩).

(٣) وهو: عمرو بن هشام.

زَعَمَ إِسْلَامَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَسْلَافِهِ. **السَّابِعَةُ:** كَونُهُ ﷺ اسْتَغْفَرَ لَهُ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، بَلْ نُهِيَ عَنْ ذَلِكَ. **الثَّامِنَةُ:** مَضَرَّةُ أَصْحَابِ السُّوءِ عَلَى الْإِنْسَانِ. **التَّاسِعَةُ:** مَضَرَّةُ تَعْظِيمِ الْأَسْلَافِ وَالْأَكَابِرِ. **الْعَاشِرَةُ:** اسْتِدْلَالُ الجَاهِلِيَّةِ بِذَلِكَ. **الحَادِيَة عَشرَةَ:** الشَّاهِدُ لِكَونِ الْأَعْمَالِ بِالخَوَاتِيمِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَهَا لَنَفَعَتْهُ. **الثَّانِيَة عَشرَةَ:** التَّأَمُّلُ فِي كِبَرِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ(١) فِي قُلُوبِ الضَّالِّينَ؛ لِأَنَّ فِي الْقِصَّةِ: أَنَّهُمْ لَمْ يُجَادِلُوهُ إِلَّا بِهَا، مَعَ مُبَالَغَتِهِ ﷺ وَتَكْرِيرِهِ، فَلِأَجْلِ عَظَمَتِهَا وَوُضُوحِهَا عِنْدَهُمْ اقْتَصَرُوا عَلَيهَا.



(١) وهي تعظِيم الأسلافِ والأكابِر.

١٨- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ[(١)] كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الْغُلُوُّ[(٢)] فِي الصَّالِحِينَ

وَقَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [لا تشددوا في دينكم؛ فتفتروا على الله] ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾[النساء:١٧١].

فِي "الصَّحِيحِ" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا * وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗا﴾[نوح:٢٣-٢٤]، قَالَ: هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَومِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ: أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا وَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِيَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ[(٣)].

---

(١) **السبب لغةً:** هو ما يُتَوَصَّل به إلى غيره.

(٢) **والمراد بالغلو:** مجاوزة الحد مدحًا أو ذمًّا، **وهو هنا:** جعل شيءٍ من حقوق الله للصالحين. والغلو أصل الشرك قديمًا وحديثًا، لاسيَّما في الصالحين؛ لقربهم من نفوس العامَّة؛ لما يرون فيهم من العبادات والصلاح في الظاهر؛ فيتدرجون معهم إلى أن يصل بهم الأمر إلى الرجاء والخوف منهم من دون الله ﷻ. **والناس في معاملة الصالحين على ثلاثة أقسام:** إفراط، وهو الغلو، وتفريط، وهو التضييع، ووسط، وهو إعطاء الشيء حقَّه.

(٣) رَوَاهُ البخاري مطوَّلًا برقم: (٤٩٢٠)، عن ابن جُرَيج، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما. **قال العلامة العثيمين رحمه الله:** وفي هذا التفسير إشكالٌ، حيث قال: هذه أسماءُ رجالٍ صالحين من قوم نوح، وظاهر القرآن أنها قبلَ نوح، قال تعالى: ﴿قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا * وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا * وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ﴾[نوح:٢٣]، **ظاهر الآية الكريمة:** أنَّ قوم نوح كانوا يعبدونها، ثم نهاهم نوح عن عبادتها وأمرهم بعبادة الله وحده، ولكنهم أبوا وقالوا: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ﴾، وهذا -أعني: القول بأنَّهم قبل نوح- قولُ محمَّد بن كعبٍ ومحمَّدِ بن قيسٍ، وهو الراجح؛ لموافقته ظاهر القرآن، ويحتمل -وهو بعيد- أنَّ هذا في أول رسالة نوح، وأنه استجاب له هؤلاء الرجال وآمنوا به، =

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ(١) رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ غَيرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: لَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيهِمُ الْأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ.

وَعَنْ عُمَرَ(٢) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تُطْرُونِي(٣) كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ». أَخْرَجَاهُ(٤).

= ثم بعد ذلك ماتوا قبل نوح، ثم عبدوهم، لكن هذا بعيد حتى من سياق الأثر عن ابن عباس، **فالمهم أن تفسير الآية أن يقال**: هذه أصنامٌ في قوم نوح كانوا رجالًا صالحين، فطال على قومهم الأمدُ، فعبدوهم.

(١) وهو الإمام المحقِّق الحافظ الأصوليُّ الفقيه أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي الشهير بـ(ابن القيم الجوزية)، نسبة إلى المدرسة التي أنشأها جدُّه محيي الدين يوسف بن عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (ت٦٥٦هـ)، وقد لازم شيخَ الإسلام ابنَ تيمية ملازمةً تامةً، واستفاد مِنْهُ كثيرًا، **ومن أشهر تلامذته**: عبدُ الرحمن بنُ أَحْمَد الشهير بـ(ابن رجب)، وإسماعيل بن عمر الشهير بـ(ابن كثير) رَحِمَهُ اللهُ. "السرايا والبعوث النبوية" (٤٣).

(٢) ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العُزَّى القرشي العدوي. كان إذا فجَّ طريقًا فجَّ الشيطانُ طريقًا آخر، وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كثيرًا ما يوافق رأيه الوحي. توفي سنة: ثلاثٍ وعشرين شهيدًا.

(٣) **الإطراء**: هو مجاوزةُ الحَدِّ في المدح والكذبُ فيه، أي: لا تمدحوني بالباطل، وهَذَا حاصل فِي النبي ﷺ عند الصوفيَّة (باكورة الرافضة)، **يقولُ البوصيري** فِي قصيدته فِي النبي ﷺ:

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الحَادِثِ الْعَمَمِ
وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللهِ جَاهُكَ بِي ... إِذِ الْكَرِيمُ تَجَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ
فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَتِي ... مُحَمَّدًا وَهْوَ أَوْفَى الخَلْقِ بِالذِّمَمِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي ... فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ: يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ

وذكر أخونا الشيخ أبو زرعة أحمد بن علي بن يوسف العامري حَفِظَهُ اللهُ أَنَّ الصوفيَّة فِي بلاده يَعتقدُون فِي عبدالقادر الجيلاني أَنَّه يَقُولُ للشيء: (كن)، فيكون، وأَنَّ عصا موسى كَانَت من عنده، حتَّى أنَّهم أضافوه وآخرَ منهم في الشهادتين، فيقولون: (لا إله إلَّا الله، محمد رسول الله، شيخ عبد القادر شيخ لله، أويس أحمد وليُّ الله)...إلى غير ذَلِكَ من الخرافات، والله المستعان.

(٤) عزو المصنف رَحِمَهُ اللهُ الحديث لـ"الصحيحين" وهمٌ منه، وإنما انفرد به البخاري في "صحيحه" برقم: (٣٤٤٥) دون مسلم.

وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ»(١). وَلِمُسْلِم عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ(٢)»، قَالَهَا ثَلَاثًا(٣).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: أَنَّ مَنْ فَهِمَ هَذَا الْبَابَ وَبَابَيْنِ بَعْدَهُ تَبَيَّنَ لَهُ غُرْبَةُ الْإِسْلَامِ، وَرَأَى مِنْ قُدْرَةِ الله وَتَقْلِيبِهِ لِلْقُلُوبِ الْعَجَبَ(٤). **الثَّانِيَةُ:** مَعْرِفَةُ أَوَّلِ شِرْكٍ حَدَثَ فِي الْأَرْضِ أَنَّهُ بِشُبْهَةِ الصَّالِحِينَ. **الثَّالِثَةُ:** أَوَّلُ شَيْءٍ غُيِّرَ بِهِ دِينُ الْأَنْبِيَاءِ، وَمَا سَبَبُ ذَلِكَ مَعَ مَعْرِفَةِ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُمْ. **الرَّابِعَةُ:** بِسَبَبِ قَبُولِ الْبِدَعِ(٥)، مَعَ كَوْنِ الشَّرَائِعِ وَالْفِطَرِ تَرُدُّهَا(٦). **الْخَامِسَةُ:** أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ كُلِّهُ مَزْجُ الحَقِّ بِالْبَاطِلِ، فَالْأَوَّلُ: مَحَبَّةُ الصَّالِحِينَ. وَالثَّانِي: فِعْلُ أُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ شَيئًا أَرَادُوا

---

(١) **صحيح**: صَحَّحَهُ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "الصحيحة" برقم: (٢٨٣)، والوادعي رَحِمَهُ اللهُ في "رياض الجَنَّة" (٢٥٣)، وهو جزءٌ من حديث ابْن عَبَّاسٍ، لا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، كما أشار إليه المصنف.

(٢) **قال ابن الأثير** رَحِمَهُ اللهُ في "النهاية" (٥/ ٧٤): هُمُ الْمُتَعَمِّقون المغالون فِي الْكَلَام، المتكلِّمون بأقْصَى حُلوقِهِم، مَأْخُوذٌ مِنَ (النِّطَع)، وَهُوَ الغارُ الأعْلى مِنَ الفَم، ثُمَّ استُعْمِل فِي كُلِّ تَعَمُّقٍ قَوْلًا وَفِعْلًا.

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٧٠).

(٤) **والعجب عَلَى قسمين**: عجب إنكار، وعجب استحسان. **والتعجُّبُ في المخلوق**: انفعالُ النَّفسِ بِمَا خَفِيَ سببُه أو خرج عن نظائره، **وأما في الله** عَزَّ وَجَلَّ: فهو خروج الشيء عن نظائره.

(٥) **البدع**: جمع (بدعة)، وهي: الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون، ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي. قاله الجرجاني.

(٦) وهذا الرد إنَّما يكون غالبًا في المآل، لا في الحال، فالباطل يظهر في بدء الأمر بصورة الحق، فلا ينكشف ما مُزِجَ فيه من الباطل إلَّا لأهل العلم الرَّبَّانيِّين، وذلك عائد إلى أنَّ نفس الإنسان مجبولة على حُبِّ التغيير والتجديد، دنيويًّا كان هذا أو أخرويًّا، فيذهب ويزلُّ بذلك النفوس الضعيفة المائلة إلى الأمور الدنيويَّة، فينتج إثرها أفعالٌ وأقوالٌ قبيحة ينكرها العامَّة قبل العلماء، ويصعب إثرها التراجع عما وقع فيه من مخالفة الحق، إلَّا من وفقه الله؛ فيزداد ظلمًا وعدوانًا على الحق وأهله، حتى يصير كالجاهل الذي لم يعرف الحقَّ قطُّ يومًا، والله المستعان.

بِهِ خَيرًا، فَظَنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهِ غَيرَهُ. **السَّادِسَةُ:** تَفْسِيرُ الْآيَةِ الَّتِي فِي سُورَةِ نُوحٍ. **السَّابِعَةُ:** جِبلَّةُ الْآدَمِيِّ فِي كَونِ الحَقِّ يَنْقُصُ فِي قَلْبِهِ وَالْبَاطِلِ يَزِيدُ. **الثَّامِنَةُ:** أَنَّ فِيهِ شَاهِدًا لِمَا نُقِلَ عَنِ السَّلَفِ: أَنَّ الْبِدَعَ سَبَبُ الْكُفْرِ. **التَّاسِعَةُ:** مَعْرِفَةُ الشَّيطَانِ بِمَا تَؤُولُ إِلَيهِ الْبِدْعَةُ، وَلَوْ حَسُنَ قَصْدُ الْفَاعِلِ. **الْعَاشِرَةُ:** مَعْرِفَةُ الْقَاعِدَةِ الْكُلِّيَّةِ، وَهِيَ النَّهْيُ عَنِ الْغُلُوِّ وَمَعْرِفَةُ مَا يَؤُولُ إِلَيهِ. **الحَادِيَةَ عَشْرَةَ:** مَضَرَّةُ الْعُكُوفِ عَلَى الْقَبْرِ لِأَجْلِ عَمَلٍ صَالِحٍ. **الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ:** مَعْرِفَةُ النَّهْيِ عَنِ التَّمَاثِيلِ، وَالحِكْمَةِ فِي إِزَالَتِهَا[(١)]. **الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ:** مَعْرِفَةُ شَأْنِ هَذِهِ الْقِصَّةِ، وَشِدَّةِ الحَاجَةِ إِلَيهَا، مَعَ الْغَفْلَةِ عَنْهَا. **الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ -وَهِيَ أَعْجَبُ وَأَعْجَبُ-:** قِرَاءَتُهُمْ إِيَّاهَا فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَالحَدِيثِ، وَمَعْرِفَتُهُمْ بِمَعْنَى الْكَلَامِ، وَكَونُ اللهُ حَالَ بَينَهُمْ وَبَينَ قُلُوبِهِمْ، حَتَّى اعْتَقَدُوا أَنَّ فِعْلَ قَومِ نُوحٍ هُوَ أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ، فَاعْتَقَدُوا أَنَّ مَا نَهَى اللهُ وَرَسُولُهُ عَنْهُ فَهُوَ الْكُفْرُ المُبِيحُ لِلدَّمِ وَالمَالِ. **الخَامِسَةَ عَشْرَةَ:** التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُمْ لَمْ يُرِيدُوا إِلَّا الشَّفَاعَةَ. **السَّادِسَةَ عَشْرَةَ:** ظَنُّهُمْ أَنَّ الْعُلَمَاءَ الَّذِينَ صَوَّرُوا الصُّوَرَ أَرَادُوا ذَلِكَ. **السَّابِعَةَ عَشْرَةَ:** الْبَيَانُ الْعَظِيمُ فِي قَولِهِ: **«لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ»**، فَصَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَى مَنْ بَلَّغَ الْبَلَاغَ المُبِينَ. **الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ:** نَصِيحَتُهُ إِيَّانَا بِهَلَاكِ المُتَنَطِّعِينَ. **التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ:** التَّصْرِيحُ بِأَنَّهَا لَمْ تُعْبَدْ حَتَّى نُسِيَ الْعِلْمُ، فَفِيهَا بَيَانُ مَعْرِفَةِ قَدْرِ وُجُودِهِ، وَمَضَرَّةِ فَقْدِهِ. **الْعِشْرُونَ:** أَنَّ سَبَبَ فَقْدِ الْعِلْمِ موتُ الْعُلَمَاءِ.



(١) كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك.

١٩- بَابُ مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، فَكَيفَ إِذَا عَبَدَهُ عِنْدَ قَبْرِ غَيرِهِ؟!

فِي "الصَّحِيحِ" عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ(١) ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الحَبَشَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ، فَقَالَ: «**أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ بَنَوا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَومَ الْقِيَامَةِ**»(٢). فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ: فِتْنَةِ الْقُبورِ، وَفِتْنَةِ التَّمَاثِيلِ. وَلَهُمَا عَنْهَا، قَالَتْ: لَـمَّا نُزِلَ(٣) بِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَفِقَ(٤) يَطْرَحُ خَمِيصَةً(٥) لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ(٦) بِهَا كَشَفَهَا، فَقَالَ -وَهُوَ كَذَلِكَ-: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ(٧) مَسَاجِدَ**»، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَولَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا(٨).

---

(١) هِندُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ بنِ الْمُغِيْرَةِ بنِ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُوْمِ بنِ يَقَظَةَ بنِ مُرَّةَ المَخْزُوْمِيَّةُ، السَّيِّدَةُ المُحَجَّبَةُ الطَّاهِرَةُ، بِنْتُ عَمِّ خَالِدِ بنِ الوَلِيْدِ سَيْفِ الله، وَبِنْتُ عَمِّ أَبِي جَهْلِ بنِ هِشَامٍ. مِنَ المُهَاجِرَاتِ الأُوَلِ. دَخَلَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي سَنَةِ: أَرْبَعٍ مِنَ الهِجْرَةِ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ وَأَشْرَفِهِنَّ نَسَبًا، وَكَانَتْ آخِرَ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِيْنَ، وَلَهَا أَوْلاَدٌ صَحَابِيُّوْنَ: عُمَرُ، وَسَلَمَةُ، وَزَيْنَبُ، وَلَهَا جُمْلَةُ أَحَادِيْث، وَكَانَتْ تُعَدُّ مِنْ فُقَهَاءِ الصَّحَابِيَّاتِ. توفيت رضي الله عنها سَنَةَ: إِحْدَى وَسِتِّيْنَ.

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٤٣٤)، ومسلم برقم: (٥٢٨).

(٣) بضمِّ النون وكسر الزاي، أي: نَزَلَ به ملك الموت والملائكة عليهم السلام.

(٤) وهذه الكلمة من أفعال الشروع، ومعناها: (جَعَلَ).

(٥) بفتح الخاء المعجمة والصاد المهملة: كساءٌ له أعلام.

(٦) أي: أصابه الغَمُّ.

(٧) وهذا باعتبار المجموع، أي: اليهود والنصارى، وإلَّا فليس للنصارى إلَّا نبي واحد.

(٨) هَذَا إذا كَانَ قبور الأنبياء، فكيف من يعبد الله عند قبر غيرِهِمْ؟! وهَذَا إذا سلَّمنا لهم جدلًا، وإلَّا فهُمْ يعبدون القبورَ ويعتقدون فيها ما لا يحق إلَّا لله. قَالَ شيخ الإسلام رحمه الله -كما في "حاشية كتاب التوحيد" (١٥٥)-: فهَؤُلَاءِ جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور وفتنة التَّماثيل. اهـ ومعنى الاتخاذ يشمل =

أَخْرَجَاهُ(١). وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه(٢)، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ(٣) وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ(٤)؛ فَإِنَّ اللهَ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»(٥).

فَقَدْ نَهَى عَنْهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ -وَهُوَ فِي السِّيَاقِ- مَنْ فَعَلَهُ، وَالصَّلَاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ، وَهُوَ مَعْنَى قولها: (**خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا**)؛ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا لِيَبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَكُلُّ مَوضِعٍ قُصِدَتِ الصَّلَاةُ فِيهِ فَقَدِ اتُّخِذَ مَسْجِدًا، بَلْ كُلُّ مَوضِعٍ يُصَلَّى فِيهِ يُسَمَّى: (مَسْجِدًا)، كَمَا قَالَ ﷺ: «**جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا**»(٦).

وَلِأَحْمَدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ**».(٧) وَرَوَاهُ

= **ثلاثة معان: الأول:** الصلاة على القبور، أي: السجود عليها. **الثاني:** السجود إليها واستقبالها بالصلاة والدعاء. **الثالث:** بناء المساجد عليها وقصد الصلاة فيها.

(١) البخاري: (٤٣٥)، ومسلم: (٥٣١)، عن عائشة وابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما. واقتصر المصنف بذكر أحدهما للاختصار.

(٢) الإِمَامُ أَبُو عَبْدِ الله البَجَلِيُّ العَلَقِيُّ الأَحْمُسِيُّ، صَاحِبُ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَهُ عِدَّةُ أَحَادِيْثَ. نَزَلَ الكُوْفَةَ وَالبَصْرَةَ، وَبَقِيَ إِلَى حُدُوْدِ سنةِ سَبْعِيْنَ. "التاريخ الكبير" للبخاري (٢/ ٢٢١).

(٣) أي: خمس ليالٍ.

(٤) **الخلَّةُ:** غايةُ المحبة، أي: المحبة الشديدة.

(٥) أخرجه مسلم برقم: (٥٣٢).

(٦) رَوَاهُ البخاري برقم: (٣٣٥)، ومسلم برقم: (٥٢١)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، واللَّفظ للبخاري.

(٧) **حسن:** حَسَّنَهُ الألباني رحمه الله فِي "تحذير السَّاجد" (١٩)، والوادعي رحمه الله فِي "الصحيح المسند" (١/ ٦٣٩-٦٤٠).

أَبُو حَاتِمٍ وابْنُ حِبَّانَ فِي "صَحِيحِهِ".

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: مَا ذَكَرَ الرَّسُولُ فِيمَنْ بَنَى مَسْجِدًا يُعْبَدُ اللهَ فِيهِ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، وَلَوْ صَحَّتْ نِيَّةُ الْفَاعِلِ. **الثَّانِيَةُ:** النَّهْيُ عَنِ التَّمَاثِيلِ، وَغلظُ الْأَمْرِ فِي ذَلِكَ. **الثَّالِثَةُ:** الْعِبْرَةُ فِي مُبَالَغَتِهِ ﷺ فِي ذَلِكَ، كَيفَ بَيَّنَ لَهُمْ هَذَا أَوَّلًا، ثُمَّ قَبْلَ مَوتِهِ بِخَمْسٍ قَالَ مَا قَالَ، ثُمَّ لَمَّا كَانَ فِي السِّيَاقِ لَمْ يَكْتَفِ بِمَا تَقَدَّمَ. **الرَّابِعَةُ:** نَهْيُهُ عَنْ فِعْلِهِ عِنْدَ قَبْرِهِ قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ الْقَبْرُ. **الْخَامِسَةُ:** أَنَّهُ مِنْ سُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي قُبُورِ أَنْبِيَائِهِمْ. **السَّادِسَةُ:** لَعْنُهُ إِيَّاهُمْ عَلَى ذَلِكَ. **السَّابِعَةُ:** أَنَّ مُرَادَهُ ﷺ تَحْذِيرُهُ إِيَّانَا عَنْ قَبْرِهِ. **الثَّامِنَةُ:** الْعِلَّةُ فِي عَدَمِ إِبْرَازِ قَبْرِهِ. **التَّاسِعَةُ:** فِي مَعْنَى اتِّخَاذِهَا مَسْجِدًا. **الْعَاشِرَةُ:** أَنَّهُ قَرَنَ بَينَ مَنِ اتَّخَذَهَا مَسْجِدًا وَبَينَ مَنْ تَقُومُ عَلَيهِمُ السَّاعَةُ، فَذَكَرَ الذَّرِيعَةَ إِلَى الشِّرْكِ قَبْلَ وُقُوعِهِ مَعَ خَاتِمَتِهِ. **الْحَادِيَة عَشرَةَ:** ذِكْرُهُ فِي خُطْبَتِهِ قَبْلَ مَوتِهِ بِخَمْسٍ الرَّدَّ عَلَى الطَّائِفَتَينِ اللَّتَينِ هُمَا شِرَارُ أَهْلِ الْبِدَعِ، بَلْ أَخْرَجَهُمْ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الثِّنْتَينِ وَالسَّبْعِينَ فِرْقَة، وَهُمُ الرَّافِضَةُ وَالْجَهْمِيَّةُ. وَبِسَبَبِ الرَّافِضَةِ حَدَثَ الشِّرْكُ وَعِبَادَةُ الْقُبُورِ، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ بَنَى عَلَيهَا الْمَسَاجِدَ. **الثَّانِيَة عَشرَةَ:** مَا بُلِيَ بِهِ ﷺ مِنْ شِدَّةِ النَّزْعِ. **الثَّالِثَة عَشرَةَ:** مَا أُكْرِمَ بِهِ مِنَ الخلَّةِ. **الرَّابِعة عَشرَةَ:** التَّصْرِيحُ بِأَنَّهَا أَعْلَى مِنَ الْمَحَبَّةِ. **الْخَامِسَة عَشرَةَ:** التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الصِّدِّيقَ أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ. **السَّادِسَة عَشرَةَ:** الْإِشَارَةُ إِلَى خِلَافَتِهِ.



٢٠- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ

رَوَى مَالِكٌ فِي "الْمُوَطَّأِ" أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ(١)، اشْتَدَّ غَضَبُ(٢) اللهِ عَلَى قَومٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»(٣).

وَلِابْنِ جَرِيرٍ(٤) بِسَنَدِهِ، عَنْ سُفْيَانَ(٥)، عَنْ مَنْصُورٍ(٦)، عَنْ مُجَاهِدٍ(٧): ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾[النجم:١٩]: قَالَ: كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيقَ(٨) فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ(٩). وَكَذَا قَالَ أَبُو الجَوزَاءِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «كَانَ يَلُتُّ السَّوِيقَ لِلْحَاجِّ»(١٠).

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في "نونيته" (٢٥٢):

فَأَجَـــابَ رَبُّ الْعَـــالَمِينَ دُعَـــاءَهُ　　وَأَحَاطَـــهُ بِثَلَاثَـــةِ الجُـــدْرَانِ

(٢) وهو من صفاتِ الله الفِعليَّةِ التَّابِعَةِ لمشيئتِهِ سبحانَه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى:١١]. والغَضَبُ في المخلوقِ: غَلَيَانُ دَمِ القلبِ طلبًا للانتقام.

(٣) صحيح: صَحَّحَهُ الألباني في "المشكاة" برقم: (٦٢)، عن عطاء بن يسار رحمه الله مرسَلًا.

(٤) هو: الإمام الحافظ محمَّد بن جرير بن يزيد الطبري، صاحب "التفسير" و"التاريخ". ولد سنة: (٢٢٠هـ)، ومات ليومين بقيا من شوَّال سنة: (٣١٠هـ). "الوفيات والأحداث" (٧٣).

(٥) هو: سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبدالله الثوري الكوفي، ثقةٌ حافظٌ فقيهٌ إمامٌ حُجَّةٌ عابدٌ. مات سنة: (١٦١هـ)، وله (٦٤) سنة. "معرفة القرَّاء" (٦٧).

(٦) وهو: ابن المعتمر السلمي، أبو عتاب، ثقةٌ ثَبْتٌ فقيهٌ. مات سنة: (١٣٢هـ). "الكاشف" (٢/ ٢٩٧).

(٧) وهو: ابن جبر، أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكِّي، ثقةٌ إمامٌ في التفسير والعلم، أخذ التفسير عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما وغيره. مات وَهُوَ ساجد سنة: (١٠٢هـ)، وقيل: (١٠٤هـ). "المعارف" (١/ ٤٤٤).

(٨) وهو: طعامٌ يُتَّخَذ من مَدقُوقِ الحِنطَة والشَّعِير.

(٩) صحيح: أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (٢٢/ ٤٧-٤٨)، وأصله في "البخاري" برقم: (٤٨٥٩) عن مجاهد، عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما بلفظ: «كَانَ اللَّاتُ رَجُلًا يَلُتُّ سَوِيقَ الحَاجِّ».

(١٠) أخرجه البخاري: (٤٨٥٩)، بلفظ: «كَانَ اللَّاتُ رَجُلًا يَلُتُّ سَوِيقَ الحَاجِّ».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجِ». رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ[(١)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ الْأَوْثَانِ. الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ الْعِبَادَةِ. الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَسْتَعِذْ إِلَّا مِمَّا يُخَافُ وُقُوعُهُ. الرَّابِعَةُ: قَرْنُهُ بِهَذَا اتِّخَاذَ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ مَسَاجِدَ. الْخَامِسَةُ: ذِكْرُ شِدَّةِ الْغَضَبِ مِنَ الله. السَّادِسَةُ -وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا-: مَعْرِفَةُ صِفَةِ عِبَادَةِ اللَّاتِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَكْبَرِ الْأَوثَانِ. السَّابِعَةُ: مَعْرِفَةُ أَنَّهُ قَبْرُ رَجُلٍ صَالِحٍ. الثَّامِنَةُ: أَنَّهُ اسْمُ صَاحِبِ الْقَبْرِ، وَذِكْرُ مَعْنَى التَّسْمِيَةِ. التَّاسِعَةُ: لَعْنُهُ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ. الْعَاشِرَةُ: لَعْنُهُ مَنْ أَسْرَجَهَا.



(١) ضعيف: أخرجه أبو داود: (٣٢٣٦)، والترْمِذِي: (٣٢٠)، وضعفه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "الضعيفة" (٢٢٥). قلت: وهَذا حِمايةٌ وصونًا للأعراضِ؛ حتَّى لا يَحصُلَ لها فتنةٌ، ومن هنا نعلم: أنَّ المرأةَ لا عبادَةَ لها أفضل من بقائِهَا وقرارِهَا في بيتها.

٢١- بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ المُصْطفى(١) ﷺ جَنَابَ التَّوحِيدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوصِلُ إِلى الشِّرْكِ

وَقَولِ الله تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [أي: ما شَقَّ عليكم وآذاكم وجَهَدَكُم] ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم(٢) بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[التوبة:١٢٨-١٢٩].

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا(٣)، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا(٤)، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي(٥) حَيثُ مَا كُنْتُمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ(٦).

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الحُسَينِ رحمه الله(٧)، أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَت عِنْدَ

---

(١) **قوله: (المصطفى)**: أي: المختار، وهو اسمُ مفعولٍ مأخوذ من الأفعال، وليس اسمًا للنبي ﷺ. **والمقصود بالحماية هنا**: الحماية الخاصة.

(٢) أي: على هدايتكم إلى منافعكم الدينيَّة والدنيوية.

(٣) **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله في "اقتضاء الصراط المستقيم" (٢/ ١٧٢): أي: لا تُعَطِّلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحريها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبَّه بهم [من الرافضة والصوفية].

(٤) **قال ابن القيم** رحمه الله: **العيد**: ما يُعتَاد مجيئُهُ وقصدُهُ من مكَانٍ وزمان. "إغاثة اللهفان" (١/ ١٩٠).

(٥) أي: يُبلِّغنيهَا الله عز وجل عن طريق الملائكة.

(٦) **حسن**: أخرجه أَحْمَدُ: (٢/ ٣٦٧)، وَأَبُو دَاوُدَ: (٢٠٤٢)، وَحسَّنَهُ الألباني رحمه الله في "تحذير الساجد" (١١٧)، و"المشكاة": (٩٢٦).

(٧) ابن عَليِّ بن أبي طَالب رضي الله عنهم، أَبُو الحَسَن -**وقيل**: أَبُو مُحَمَّد- الملقب بـ(زين العابدين). روى عَن أَبِيه وَعَمِّه وَجمْع من الصحابة. حضر مصرع وَالِدِه الشَّهيد على يد الرافضة بـ(كربلاء). قَدِمَ إِلَى دمشق، ومسجده بهَا مَعْرُوفٌ بـ(الجامع). وُلِدَ سَنَةَ: ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، وتوفِّي سنةَ: أَربع وَتِسْعين لِلْهِجْرَة.

قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيدْعُو، فَنَهَاهُ وَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي، عَنْ جَدِّي، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: **«لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا تَتَّخِذُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ وَتَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَ كُنْتُمْ»**(١). رَوَاهُ فِي "الْمُخْتَارَةِ".

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ بَرَاءَة. **الثَّانِيَةُ:** إِبْعَادُهُ أُمَّتَهُ عَنْ هَذَا الحِمَى غَايَةَ الْبُعْدِ. **الثَّالِثَةُ:** ذِكْرُ حِرْصِهِ عَلَيْنَا وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ. **الرَّابِعَةُ:** نَهْيُهُ عَنْ زِيَارَةِ قَبْرِهِ عَلَى وَجْهٍ مَخْصُوصٍ، مَعَ أَنَّ زِيَارَتَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ. **الخَامِسَةُ:** نَهْيُهُ عَنِ الْإِكْثَارِ مِنَ الزِّيَارَةِ. **السَّادِسَةُ:** حَثُّهُ عَلَى النَّافِلَةِ فِي الْبَيتِ. **السَّابِعَةُ:** أَنَّهُ مُتَقَرِّرٌ عِنْدَهُمْ: أَنَّهُ لَا يُصَلَّى فِي المَقْبَرَةِ. **الثَّامِنَةُ:** تَعْلِيلُهُ ذَلِكَ بِأَنَّ صَلَاةَ الرَّجُلِ وَسَلَامَهُ عَلَيهِ يَبْلُغُهُ وَإِنْ بَعُدَ؛ فَلَا حَاجَةَ إِلَى مَا يَتَوَهَّمُهُ مَنْ أَرَادَ الْقُرْبَ. **التَّاسِعَةُ:** كَونُهُ ﷺ فِي الْبَرْزَخِ(٢) تُعْرَضُ عَلَيهِ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ فِي الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيهِ.



---

(١) **صحيح:** أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٢/ ٣٧٥)، وَصَحَّحَهُ الألباني في "تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد" (٩/ ٩٥) بلفظ: **«وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ»** بدلًا عن **«أَيْنَ كُنْتُمْ»**.

(٢) **البرزخ:** هو الحاجز بين الشيئين، وسُمِّي القبر (برزخًا)؛ لكونه منزلةً حاجزةً بين الدنيا والساعة.

٢٢- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَعْبُدُ الأَوْثَانَ(١)

وَقَولِ الله تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [أي: أُعطُوا حظًّا من التوراة والإنجيل] ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ(٢) وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾[النساء:٥١]، وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[المائدة:٦٠]، وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[الكهف:٢١].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ(٣)، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ(٤) لَدَخَلْتُمُوهُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى(٥)؟......................................

---

(١) الأوثان: جمع (وثن)، وهو: كُلُّ ما عُبِدَ من دون الله من شَجَرٍ أو حَجَرٍ، سواء نُحِتَ أو لم يُنحَتْ، وهو أعم من الصنم. وقيل: كلُّ ما كَانَ منحوتًا عَلَى غيرَ صورة البشر، أي: عكس الصنم. وإذا اجتمعا -أي: الوثن والصنم- كان الصَّنم ما كان منحوتًا، والوثن ما لم يكن منحوتًا.

(٢) هو: كُلُّ ما عُبِدَ من دون الله. والفرق بين الجبت والطاغوت: أنَّ الطاغوت يكون فِي الأعيان، والجبت يكون فِي الأقوال والأفعال، كالسِّحر، والكهانة، ونحو ذلك.

(٣) هَذَا مثل يُضرَب عند العرب للشيئين يستويان ولا يتفاوتان، أي: لتفعلُنَّ فعلَهم، ولتتبعُنَّ طرائقَهم فِي كُلِّ ما فعلوه، وتشبهونهم كما تُشبِهُ قُذَّةُ السَّهْمِ القُذَّةَ الأخرى، وجاء بلفظ: «شِبْرًا بِشِبْرٍ». قال النووي رحمه الله: وَالْمُرَادُ بِالشِّبْرِ وَالذِّرَاعِ وَجُحْرِ الضَّبِّ: التَّمْثِيلُ بِشِدَّةِ الْمُوَافَقَةِ لَهُمْ، وَالْمُرَادُ: الْمُوَافَقَةُ فِي الْمَعَاصِي وَالْمُخَالَفَاتِ، لَا فِي الْكُفْرِ، وَفِي هَذَا مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ لِرَسُولِ الله ﷺ؛ فَقَدْ وَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ.

(٤) الضَّبُّ -بفتح الضاد-: حَيَوانٌ من جِنسِ الزَّوَاحِفِ من رُتبَةِ العظاء، غَلِيظُ الجسم خَشِنُهُ، وله ذَنَبٌ عَرِيضٌ حرش أَعْقَدُ، يجوز أكله. "معجم لغة الفقهاء" (٢٨٢).

(٥) بالنصب والرفع.

قَالَ: «فَمَنْ؟!(١)». أَخْرَجَاهُ(٢).

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه(٣)، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ زَوَى(٤) لِيَ الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ(٥)، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ(٦) عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا(٧)، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»(٨). وَرَوَاهُ الْبَرْقَانِيُّ فِي "صَحِيحِهِ"، وَزَادَ: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ(٩)، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيهِمُ السَّيفُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ، وَلَا

---

(١) وهو استفهام تعجب إنكاري.

(٢) أخرجه البخاري: (٣٤٥٦)، ومسلم: (٢٦٦٩)، دون قوله: «حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ».

(٣) أَبُو عَبْدِ الله -**وَيُقَالُ**: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ- مَوْلَى رَسُوْلِ الله ﷺ، سُبِيَ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ، فَاشْتَرَاهُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَعْتَقَهُ، فَلَزِمَ النَّبِيَّ ﷺ وَصَحِبَهُ وَحَفِظَ عَنْهُ كَثِيْرًا مِنَ العِلْمِ، وَطَالَ عُمُرُهُ، وَاشْتُهِرَ ذِكْرُهُ. مَاتَ بِحِمْص سَنَةَ: أَرْبَعٍ وَخَمْسِيْنَ. "سير أعلام النبلاء" (٣/ ١٥).

(٤) أي: جَمَعَ وضَمَّ.

(٥) **الأحمر**: الذهب. **والأبيض**: الفضة، فالذَّهَبُ عند قيصَرَ، والفضَّةُ عند كسرى (إيران)، وَهَذَا في الغالِب، وإلَّا هناك الكثير من الدُّوَل تملكهما.

(٦) **السَّنَة**: الجدْبُ الَّذِي يكون به الهلاك العام.

(٧) وهذا ما نعانيه اليوم، **والسبب في ذلك**: كثرة الجماعات والفرق في البلاد الإسلامية، فما أن تفشل فرقةٌ وتذهب إلَّا وتأتي أخرى مكانها، فالواجب على المسلمين محاربتها والتحذير منها.

(٨) أخرجه مسلم: (٢٨٨٩).

(٩) **قال عمر** رضي الله عنه -كما عند الدارمي بسند صحيح-: «**هَلْ تَدْرِي مَا يَهْدِمُ الْإِسْلَامَ؟ زَلَّةُ عَالِمٍ، وَجِدَالُ مُنَافِقٍ بِالْقُرْآنِ، وَأَئِمَّةٌ مُضِلُّونَ**». **وقال العثيمين** رحمه الله في شرحه لحديث الباب: **الأئمة المضلُّون**: أئمة الشر، وصدق النبي ﷺ إنَّ أعظم ما يخاف على الأمة الأئمة المضلُّون، كرؤساء الجهمية، والمعتزلة =

تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ(١) مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ(٢) كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ(٣) بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنْصُورَةٌ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ(٤)، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»(٥).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ. **الثَّانِيَةُ:** تَفْسِيرُ آيَةِ المَائِدَةِ. **الثَّالِثَةُ:** تَفْسِيرُ آيَةِ الْكَهْفِ. **الرَّابِعَةُ** -وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا-: مَا مَعْنَى الْإِيْمَانِ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ، وَهَلْ هُوَ اعْتِقَادُ قَلْبٍ، أَوْ هُوَ مُوَافَقَةُ أَصْحَابِهَا مَعَ بُغْضِهَا وَمَعْرِفَةِ بُطْلَانِهَا؟. **الخَامِسَةُ:** قَوْلُهُمْ: إِنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ كُفْرَهُمْ أَهْدَى سَبِيلًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. **السَّادِسَةُ** -وَهِيَ المَقْصُودُ بِالتَّرْجَمَةِ-: أَنَّ هَذَا لَابُدَّ أَنْ يُوجَدَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، كَمَا تَقَرَّرَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه. **السَّابِعَةُ:** التَّصْرِيحُ(٦) بِوُقُوعِهَا، أَعْنِي: عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي جُمُوعٍ كَثِيرَةٍ. **الثَّامِنَةُ:** **الْعَجَبُ الْعُجَابُ:** خُرُوجُ مَنْ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ

= [(أرباب الخوارج)] وغيرهم الذين تفرقت الأمة بسببهم. **والمراد بقوله: (الأئمة المضلين):** الذين يقودون الناس باسم الشرع، والذين يأخذون الناس بالقهر والسلطان، فيشمل الحُكَّام الفاسدين، والعلماء المُضِلِّين الذين يدَّعون أن ما هم عليه شرعُ الله، وهم أشدُّ الناس عداوةً له.

(١) أي: قبيلة.

(٢) أي: الَّذِينَ لهم شوكة وصولة وجولة، وإلا ذكر أخونا الشيخ أبو زرعة العامري نفعنا الله بعلمه أنَّه ظهر فقط فِي بلاده أكثرُ من ثلاثين مِمَّن ادَّعى النبوَّةَ، إلا أنهم كُبِدُوا.

(٣) أي: مطلقًا ذكرًا كَانَ أو أنثى.

(٤) **قسَّم النبيُّ ﷺ الناس فِي هَذَا الحديث إلى ثلاثة أقسام:** منصورةٌ عَلَى الحق، ومخذَّلةٌ، ومخالِفة.

(٥) **صحيح:** صَحَّحَهُ الألباني فِي "الصحيحة" (٤/ ١١١) **وقال:** صحيحٌ على شرط مسلم. و"المشكاة" برقم: (٥٣٩٤) بألفاظٍ مختلفة متقاربة، عن ثوبان رضي الله عنه.

(٦) عَكسُ التعريض، وهو: ما يَفهَم به السامعُ مرادَهُ من غير تصريح.

مِثْل الْمُخْتَارِ[(١)]، مَعَ تكَلُّمِهِ بِالشَّهَادَتَينِ، وَتَصْرِيحِهِ بِأَنَّهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ، **وَفِيهِ**: أَنَّ مُحَمَّدًا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَمَعَ هَذَا يُصَدَّقُ فِي هَذَا كُلِّهِ مَعَ التَّضَادِّ الْوَاضِحِ، وَقَدْ خَرَجَ الْمُخْتَارُ فِي آخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ، وَتَبِعَهُ فِئَامٌ كَثِيرَةٌ. **التَّاسِعَةُ:** الْبِشَارَةُ بِأَنَّ الحَقَّ لَا يَزُولُ بِالْكُلِّيَّةِ كَمَا زَالَ فِيمَا مَضَى، بَلْ لَا تَزَالُ عَلَيهِ طَائِفَةٌ. **الْعَاشِرَةُ: الْآيَةُ الْعُظْمَى**: أَنَّهُمْ -مَعَ قِلَّتِهِمْ- لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ. **الحَادِيَة عَشرَةَ:** أَنَّ ذَلِكَ الشَّرْطَ إِلَى [قُرْبِ] قِيَامِ السَّاعَةِ. **الثَّانِيَة عَشرَةَ: مَا فِيهِنَّ مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ: مِنْهَا: إِخْبَارُهُ** بِأَنَّ اللهَ زَوَى لَهُ الْأَرْضَ، فَرَأَى الْمَشَارِقَ وَالمَغَارِبَ، وَأَخْبَرَ بِمَعْنَى ذَلِكَ، فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ، بِخِلَافِ الجَنُوبِ وَالشَّمَالِ. **وَإِخْبَارُهُ** بِأَنَّهُ أُعْطِيَ الْكَنْزَينِ. **وَإِخْبَارُهُ** بِإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ لِأُمَّتِهِ فِي الِاثْنَتَينِ. **وَإِخْبَارُهُ** بِأَنَّهُ مُنِعَ الثَّالِثَةَ. **وَإِخْبَارُهُ** بِوُقُوعِ السَّيفِ، وَأَنَّهُ لَا يُرْفَعُ إِذَا وَقَعَ. **وَإِخْبَارُهُ** بِإِهْلَاكِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَسَبْيِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا[(٢)]، وَخَوفِهِ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ. **وَإِخْبَارُهُ** بِظُهُورِ الْمُتَنَبِّئِينَ [-أي: مُدَّعِي النُّبوَّة-] فِي

(١) المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، الضَّالُّ المُضِلُّ، الكذَّاب الأشرُّ. كَانَ نَائِبًا عَلَى العِرَاقِ، وَكَانَ يَزْعُمُ أنَّه نَبِيٌّ، وأنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَأْتِيهِ بِالْوَحْيِ.

قَالَ رِفَاعَةُ بْنُ شدَّاد رَحِمَهُ اللَّهُ: كنت أَلْصَقَ شيءٍ بِالْمُخْتَارِ الكذَّاب، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: دَخَلْتَ وَقَدْ قَامَ جِبْرِيلُ قَبْلُ مِنْ هَذَا الْكُرْسِيِّ. وَقَدْ قِيلَ لِابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -وَكَانَ زَوْجَ أُخْتِ المختار صفية، وكانت من الصالحات العابدات-: إنَّ المختار يزعم أنَّ الوحي يأتيه، قال: صَدَقَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾[الأنعام:١٢١]. ولد عام الهجرة وليست له صحبة، وقُتِلَ على يد مصعب بن الزبير بالكوفة سنة: سبعٍ وستِّين. "البداية والنهاية" (٦/ ٢٦٥)، و"سير أعلام النبلاء" (٣/ ٥٣٩).

(٢) ولقد ظَهَرَ هَذَا فِي بعضِ الْبُلْدَانِ، كالعراقِ وليبيا وغيرهما من البلاد الإسلاميَّة، حتَّى أنَّ بعض الظَّلمة يَدْخُلُ على أهلِ بيتٍ بقوَّةٍ وسلاحٍ -وذلك بعد سقوطِ حكوماتهم- فيأخُذُ المال والنِّساءَ على مرأى ومَسمَع من الناس، والله المستعان؛ فلابد من الصبر على الأمراء وإن جاروا؛ حقنًا للدِّماء والأعراض، فحاكم جائر ظلوم يحمي البلاد بقدر المستطاع خير من فتنة تدوم.

هَذِهِ الْأُمَّةِ. **وَإِخْبَارُهُ** بِبَقَاءِ الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ(١)، وَكُلُّ هَذَا وَقَعَ كَمَا قَالَ وَأَخْبَرَ، مَعَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا مِنْ أَبْعَدِ مَا يَكُونُ فِي الْعُقُولِ. **الثَّالِثَة عَشرَةَ:** حَصْرُ الخَوفِ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ. **الرَّابِعَة عَشرَةَ:** التَّنْبِيهُ عَلَى مَعْنَى عِبَادَةِ الْأَوثَانِ.



(١) وهُم أَهْلُ الحديث، ويدخُلُ في ذلِكَ الفقهاء والزُّهَّاد والمجاهدون، وكلُّ من كان على ما كان عليه النَّبي ﷺ وأصحابُهُ مِنْ بَعدِهِ والتَّابعون.

٢٣- بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ(١)

وَقَولِ الله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ [أي: اخْتَارَ السِّحْرَ] ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ [أي: فِي الجَنَّةِ مِنْ نَصِيبٍ] ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ [أي: بَاعُوا بِهِ حَظَّ أَنْفُسِهِمْ] ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٠٢]، وَقَولِهِ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾[النساء:٥١].

قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: الجِبْتُ: السِّحْرُ. وَالطَّاغُوتُ: الشَّيطَانُ(٢).

---

(١) قال الإمام السعدي رحمه الله: **وجه إدخال السحر في أبواب التوحيد**: أنَّ كثيرًا من أقسامه لا يتأتَّى إلَّا بالشرك والتَّوسُّل بالأرواح الشيطانية إلى مقاصد السَّاحر؛ فلا يتم للعبد توحيدٌ حتى يدع السحر كلَّه قليلَهُ وكثيرَه، ولهذا قرنه الشارع بالشرك، **فالسحر يدخل في الشرك من جهتين**: من جهة ما فيه من استخدام الشياطين ومن التعلُّق بهم -وربَّما تقرَّبَ إليهم بما يُحِبُّون؛ ليقوموا بخدمته ومطلوبه- ومن جهة ما فيه من دعوى علم الغيب، ودعوى مشاركة الله في علمه وسلوكِ الطُّرُقِ المفضية إلى ذلك، وذلك من شُعَبِ الشِّرك والكفر. اهـ "القول السديد" (٩٧).

والسحر لغة: عبارة عمَّا خفي ولطف سببه؛ لأنَّ أعمال الساحر تقع خُفْيَةً. **وفي الشرع: ينقسم إلى قسمين**: ١- **عُقَدٌ ورُقًى**، أي: قراءات وطلاسم يَتَوصَّل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور بإذن الله. ٢- **أدويةٌ وعقاقيرُ تُؤَثِّرُ عَلَى بَدَنِ المسحور وعَقْلِهِ وإرادتِهِ ومَيْلِهِ**، فتجده ينصرف ويميل، وَهُوَ ما يُسمَّى عندهم بـ(الصرف والعطف)، فالأول شرك، والثاني عدوان وفسوق. "القول المفيد" (١/ ٤٨٩) للعلَّامة العثيمين رحمه الله.

تنبيه: تَعَلُّم السِّحر مُحَرَّمٌ لأيِّ علةٍ كَانَت، **وأمَّا السَّاحر: فالصحيح أنَّ فيه تفصيلًا**: فما كَانَ عن طريق الأدوية والعقاقير كَانَ فاسِقًا، وما كَانَ عن طريق الشياطين كَانَ كافرًا كفرًا أكبر. وتسمية الأدوية والعقاقير -وهكذا النميمة- (سحرًا) إنَّما هو أغلبيٌّ، والسحر حقيقي لا تخيُّل، كما ذَهَبَ إليه الأحنافُ والمعتزلة والفلاسفة أنَّه مجرَّد تخييل، وقد دلَّ على حقيقته الشارعُ، وكذا العقل السليم، **ومن أدلة حقيقته**: أنَّه يُتعَلَّم، فتعلُّمه وتعليمه فرعٌ عن حقيقته.

(٢) **صحيح**: صَحَّحَهُ الألباني فِي "مختصر صحيح البخاري" (٣/ ١٥٦)، وقوَّى إسنادَه الحافظُ في "الفتح" (٨/ ٢٥٢)، عن حسان، عن عمر رضي الله عنه.

وَقَالَ جَابِرٌ رضي الله عنه: **الطَّوَاغِيتُ**: كُهَّانٌ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيهِمُ الشَّيطَانُ، فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا(٢) السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ(٣)، وَالتَّوَلِّي(٤) يَومَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ(٥) الْغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ**». أَخْرَجَاهُ(٦).

وَعَنْ جُنْدُبٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: **حَدُّ السَّاحِرِ**: ضَرْبُهُ بِالسَّيفِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ(٧)، وَقَالَ: الصَّحِيحُ أَنَّهُ مَوقُوفٌ.

وَفِي "صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ" عَنْ بَجَالَةَ بْنِ عَبْدَةَ، قَالَ: كَتَبَ إِلَينَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه: أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ. قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ(٨).

---

(١) **حسن**: علَّقه البخاري بصيغة الجزم في "صحيحه"، ووصله ابن أبي حاتم كما في "تعليق التعليق"، وفي سنده إسحاق بن الضيف الباهلي، صدوقٌ يُخطِئ كما في "التقريب"، وباقي رجاله ثقات، وقد حسَّن الأثر العلامة الوادعي رحمه الله في تحقيقه لـ"تفسير ابن كثير" (٢/ ٤٠٢).

(٢) فيه النهي عن القرب، وَهُوَ أبلغ ما يكون فِي النَّهي.

(٣) ذكر الأكل هنا من باب الغالب، وإلَّا يدخل في ذلك غيره، كالملبس، والمسكن، والمركب، ونحو ذلك؛ لأنَّ المراد بذلك الانتفاع، وهذا من باب مفهوم الموافقة.

(٤) **التولي**: هو الإدبار والهروب عند التلاحم.

(٥) أي: المحفوظات من الزنا، أو أيِّ اتصالٍ جنسي، وهُنَّ الحرائر العفيفات.

(٦) البخاري برقم: (٢٧٦٦)، ومسلم برقم: (٨٩)، عن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه.

(٧) **ضعيف**: أخرجه الطبراني برقم: (١٦٦٦)، والترمذي برقم: (١٤٦٠)، وضعَّفه الألباني فِي "الضعيفة" برقم: (١٤٤٦)، والوادعي في تحقيقه لـ"تفسير ابن كثير" (١/ ٢٦٦).

(٨) **صحيح**: الحديث بِهَذَا النَّصِّ رَوَاهُ ابن أبي شيبة فِي "مصنفه" برقم: (٢٨٩٨٢)، وَصَحَّحَهُ الألباني فِي "صحيح وضعيف سنن أبي داود" من غير لفظة: «سَاحِرَة»، وأمَّا رواية البخاري فليس فيها البتة ما أسند لَهُ المصنف فِي الباب، والله أعلم.

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ رضي الله عنها[(١)]: أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا، فَقُتِلَتْ[(٢)]. وَكَذَلِكَ صَحَّ عَنْ جُنْدُبٍ مَوْقُوفًا[(٣)]. قَالَ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم[(٤)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الْبَقَرَةِ. **الثَّانِيَةُ:** تَفْسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ. **الثَّالِثَةُ:** تَفْسِيرُ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا. **الرَّابِعَةُ:** أَنَّ الطَّاغُوتَ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْجِنِّ، وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْإِنْسِ. **الْخَامِسَةُ:** مَعْرِفَةُ السَّبْعِ الْمُوبِقَاتِ الْمَخْصُوصَاتِ بِالنَّهْيِ. **السَّادِسَةُ:** أَنَّ السَّاحِرَ يَكْفُرُ. **السَّابِعَةُ:** أَنَّهُ يُقْتَلُ وَلَا يُسْتَتَابُ[(٥)]. **الثَّامِنَةُ:** وُجُودُ

---

(١) وهِيَ أُمُّ الْمُؤمنِينَ ابنة عمر بن الْخطاب رضي الله عنها، زوج النبيِّ صلى الله عليه وسلم، تزَوجهَا سنة: ثَلَاثٍ من الْهِجْرَة. كانت كثيرة الصيام والقيام. توفِّيت سنة: خمسٍ وَأَرْبَعين لِلْهِجْرَةِ.

(٢) **صحيح:** أخرجه مالك في "الْمُوَطَّأ" (٢/ ٨٧١)، عن محمد بن عبد الرحمن بلاغًا، ووصله عبد الرزاق في "مصنفه" (١٠/ ١٨٠). **قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ** عند تفسير قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾[البقرة:١٠٢] الآية: وَهَكَذَا صَحَّ أَنَّ حَفْصَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ سَحَرَتْهَا جَارِيَةٌ لَهَا، فَأَمَرَتْ بِهَا فَقُتِلَتْ. اهـ

قلتُ: هَذَا إذا وَصَلَ وبَلَغَ سحرُه حَدَّ الكُفر، وإلا فلا يقتل، وَهُوَ قول الشافعي، ورواية عن أَحْمَدَ، وهَذَا عندهم بعد الاستتابة، وبه قَالَ العثيمين، وَهُوَ ترجيح الشنقيطي رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

(٣) **صحيح:** أخرجه الحاكم في "مستدركه" (٤/ ٣٦١)، **قال العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ** في "الضعيفة" (١٤٤٦): وهذا إسناد موقوف صحيح إلى الحسن، وقد توبع. اهـ

(٤) وهم جندب، وحفصة، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم، والأصل في قتلة السحرة من الصحابة ثمانية، ويعتبر هَذَا إجماعًا منهم، وجاء عن عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قتل ساحرًا، وهكذا جمع من السلف. وأكثر ما يكون السحرة في الرافضة والصوفية، فهاتان الطائفتان مأوى السحرة، ولقد رأيتُ في بعض الزِّياراتِ الشركية بإفريقيا ثُعبانًا على رأسه عمامة قد لَبسَها كما يَلبَسها القبورية، يسلِّم على غلاتهم، وذلك بقيامه على ذَيلِهِ أمام كلِّ واحِدٍ منهم، فرجمتُه بحجارةٍ -وكنتُ صَغيرًا دونَ العاشِرة- فمنعتُ عن ذلِكَ بِحُجَّة أنَّه وليٌّ حضر للزيارة، والله المستعان.

(٥) **وهذا ظاهر المنقول عن الصحابة**، لكن من التُمِسَ منه قبولُ الحق فلا مانع من الاستتابة، لاسيما إذا فشا الجهل في الناس، كما هو الحال في هذه الأزمنة، وهذا لا يكون إلَّا للحاكم.

هَذَا فِي الْمُسْلِمِينَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ، فَكَيفَ بَعْدَهُ؟!



٢٤- بَابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ(١)

قَالَ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ: حَدَّثنا مُحَمَّدُ بْنُ جعفرٍ، حَدَّثَنَا عوفٌ، عَنْ حَيَّانَ بْنِ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا قَطَنُ بْنُ قَبِيصَةَ، **عَنْ أَبِيهِ**(٢)، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْعِيَافَةَ**(٣)،

---

(١) **اعْلَمْ**: **أَنَّ السِّحْرَ يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ**: عَلَى كُلِّ شَيْءٍ خَفِيَ سَبَبُهُ وَلَطُفَ وَدَقَّ، وَلِذَلِكَ تَقُولُ الْعَرَبُ فِي الشَّيْءِ الشَّدِيدِ الخَفَاءِ: (أَخْفَى مِنَ السِّحْرِ). **واصطلاحًا**: مَا يَحْدُثُ بِخَوَارِقِ العَادَاتِ والأُمُورِ المُسْتَنْكَرَةِ. وقيل غير ذلك. **وَيَنْقَسِمُ إِلَى ثَمَانِيَةِ أَقْسَام، نَذْكُرُ مِنْهَا سَبْعَةً لِلأَهَمِّيَّةِ**: **النَّوعُ الْأَوَّلُ**: **سِحْرُ الْكِلْدَانِيِّينَ وَالْكَسْدَائِيِّينَ عُبَّادِ الْكَوَاكِبِ**، الزَّاعِمِينَ أَنَّهَا هِيَ المُدَبِّرَةُ لِهَذَا الْعَالَمِ، وَمِنْهَا تَصْدُرُ الخَيْرَاتُ وَالشُّرُورُ، وَالسَّعَادَةُ وَالنُّحُوسَةُ. **النَّوْعُ الثَّانِي مِنَ السِّحْرِ**: **سِحْرُ أَصْحَابِ الْأَوْهَامِ وَالنُّفُوسِ الْقَوِيَّةِ**، وهذا النوع مبنيٌّ على التَّخَيُّلِ، كالسُّقُوطِ ورُؤيَةِ المُفْزِعَاتِ، وَلهذا أَجْمَعَتِ الْأَطِبَّاءُ عَلَى نَهْيِ المَرْعُوفِ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْأَشْيَاءِ الحُمْرِ، وَالمَصْرُوعِ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْأَشْيَاءِ الْقَوِيَّةِ اللَّمَعَانِ وَالدَّوَرَانِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ النُّفُوسَ خُلِقَتْ مُطِيعَةً لِلْأَوْهَام. **النَّوْعُ الثَّالِثُ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ**: **الِاسْتِعَانَةُ بِالْأَرْوَاحِ الْأَرْضِيَّةِ**، يَعْنِي: تَسْخِيرَ الجِنِّ وَاسْتِخْدَامَهُمْ. **النَّوْعُ الرَّابِعُ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ**: **هُوَ التَّخَيُّلَاتُ وَالْأَخْذُ بِالْعُيُونِ**، وَمَبْنَى هَذَا النَّوْعِ مِنْهُ عَلَى أَنَّ الْقُوَّةَ الْبَاصِرَةَ قَدْ تَرَى الشَّيْءَ عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي الحَقِيقَةِ؛ لِبَعْضِ الْأَسْبَابِ الْعَارِضَةِ. **النَّوْعُ الخامس مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ**: **الِاسْتِعَانَةُ بِخَوَاصِّ الْأَدْوِيَةِ**، مِثْل أَنْ يُجْعَلَ فِي الطَّعَام أو الشراب بَعْضَ الْأَدْوِيَةِ المُبَلِّدَةِ المُزِيلَةِ لِلعَقْلِ وَالدُّخَنَ المُسْكِرَةَ، نَحْوَ: دِمَاغِ الحِمَارِ، إِذَا تَنَاوَلَهُ الْإِنْسَانُ تَبَلَّدَ عَقْلُهُ، وَقَلَّتْ فِطْنَتُهُ. **النَّوْعُ السَّادِسُ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ**: **تَعْلِيقُ الْقَلْبِ**، وَهُوَ أَنْ يَدَّعِيَ السَّاحِرُ أَنَّهُ قَدْ عَرَفَ الِاسْمَ الْأَعْظَمَ، وَأَنَّ الجِنَّ يُطِيعُونَ وَيَنْقَادُونَ لَهُ فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ، فَإِذَا اتَّفَقَ أَنْ كَانَ السَّامِعُ لِذَلِكَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ قَلِيلَ التَّمْيِيزِ اعْتقد أَنَّه حَقٌّ، وَتَعَلَّق قلبُهُ بذلك، وَحَصَلَ فِي نَفْسِهِ نَوْعٌ مِنَ الرُّعْبِ وَالمَخَافَةِ، فتضْعُفُ الْقُوَى الحَسَّاسَةُ، فَيَتَمَكَّنُ السَّاحِرُ مِنْ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ، ويَكْثُرُ هَذَا عِنْدَ المُتَصَوِّفَةِ. **ومن هذا الباب**: تخويفُ الأُمِّ ولدَها إذا امتنع عن النَّوْم. **النَّوْعُ السَّابِعُ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ**: **السَّعْيُ بِالنَّمِيمَةِ وَالتَّضْرِيبُ مِنْ وُجُوهٍ لَطِيفَةٍ خَفِيَّةٍ، وَالتَّضْرِيبُ بَيْنَ الْقَوْمِ**: إِغْرَاءُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَهذَا شَائِعٌ فِي النَّاسِ. اهـ بتصرف "الجموع البهيَّة" (١/ ٢٨٧)، و"أضواء البيان" (٤/ ٤١).

(٢) هو: قبيصة بن مخارق بن عبد الله الهلالي البجلي، أبو بشر البصري، والد قَطَن بن قبيصة، من قيس عيلان، له صحبة، روى عنه كنانة بن نعيم، وابنه قطن بن قبيصة، وأبو عثمان النهدي.

(٣) مأخوذة من عيافة الشيء، يقَالُ: (عاف، يعيف، عيفًا) إذا زجره، أي: زَجَرَ الطَّيرَ للتَّشَاؤُم. **قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ** في كتابه "النهاية" (٣/ ٣٣٠): **العِيَافَةُ**: زَجْرُ الطَّيرِ والتَّفَاؤُل بأَسْمائِها وأَصْوَاتها ومَمَرِّها، وَهُوَ مِنْ عَادَة العَرب كَثِيرًا، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ، يُقالُ: (عَافَ، يَعِيفُ، عَيْفًا) إِذَا زَجَر وَحَدَس وظنَّ. وَبَنُو أَسَد يُذكَرون بالعِيَافَةِ ويُوصَفُون بِهَا.

وَالطَّرْقَ، وَالطِّيَرَةَ[١] مِنَ الجِبْتِ»[٢]. **قَالَ عوفٌ**[٣]: **الْعِيَافَةُ**: زَجْرُ الطَّيرِ. **وَالطَّرْقُ**: الخَطُّ يُخَطُّ بِالْأَرْضِ[٤]. **وَالجِبْتُ**: قَالَ الحَسَنُ: رَنَّةُ الشَّيطَانِ. إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ[٥]. وَلِأَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ وَابْنِ حِبَّانَ فِي "صَحِيحِهِ" الْمُسْنَدُ مِنْهُ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنِ اقْتَبَسَ**[٦] **شُعْبَةً**[٧] **مِنَ النُّجُومِ**[٨] **فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ»**[٩]. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ[١٠].

وَلِلنَّسَائِيِّ **مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ** رضي الله عنه: **«مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً**[١١] **ثُمَّ نَفَثَ**[١٢] **فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيئًا وُكِّلَ إِلَيهِ»**[١٣].

---

(١) وهي: التَّشاؤُم بمعلوم، مرئيًّا كان أو مسموعًا، زمانًا كان أو مكانًا. وهذا التعريف أشمل من غيره.

(٢) **ضعيف:** أخرجه أَحْمَدُ برقم: (٢٠٦٠٣)، وضعفه الألباني رحمه الله في "غاية المرام" (١٨٤).

(٣) عوف بن أبي جَمِيلَةَ العبدي البصري، المعروف بـ(عوف الأعرابي)، ثقة، مات سنة: (٤٦).

(٤) ويُسمَّى بـ(الرِّمال). **قال الحربي: الخَطُّ**: هو أن يَخُطَّ ثَلَاثَةَ خُطُوطٍ، ثُمَّ يَضْرِبَ عَلَيْهِنَّ بِشَعِيرٍ أَوْ نَوًى، وَيَقُول: يَكُونُ كَذَا وَكَذَا، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْكِهَانَةِ. **قال ابن الأثير: الخَطُّ المُشار إِلَيْهِ**: عِلْم مَعْرُوفٌ، وَلِلنَّاسِ فِيهِ تصانيفُ كَثِيرَةٌ، وَهُوَ مَعْمُولٌ بِهِ إِلَى الآن، وَلَهُمْ فِيهِ أَوْضَاعٌ وَاصْطِلَاحٌ وأسامٍ وعَملٌ كَثِيرٌ، ويَسْتَخرجون بِهِ الضمير وغيرَه، وكثيرًا ما يصيبون فيه. "النهاية" (٢/ ٤٨).

(٥) **ضعيف:** أخرجه أحمد (٥/ ٦٥)، وأبو داود: (٣٩٠٧)، وضعفه الألباني في "غاية المرام" (١٨٤).

(٦) ويقَالُ: (قبس)، أي: تعلَّم.

(٧) **قال الشيخ سليمان آل الشيخ** رحمه الله: **والشعبة**: الطائفةُ من الشيء والقطعة منه، **ومنه الحديث: «الحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»**، أي: جزء منه. "التيسير" (١/ ٣٤٢).

(٨) أي: من علم النجوم.

(٩) أي: كلما زاد من علم النجوم زاد لَهُ من الإثم مثل إثم الساحر، أو زاد اقتباس شعب السحر ما زاد اقتباس علم النجوم، والقولان متلازمان. "تيسير العزيز الحميد" (٢٩٦).

(١٠) **صحيح:** صَحَّحَهُ الألباني رحمه الله فِي "صحيح وضعيف سنن أبي داود" برقم: (٣٩٠٥).

(١١) **العقدة**: ما تَعقِدُه السَّحرة، ويقَالُ: (عزيمة).

(١٢) **النفث**: النفخ مع الريق، وهو دون التفل.

(١٣) **ضعيف:** ضعَّفه الألباني رحمه الله فِي "صحيح وضعيف سنن النَّسَائِيِّ" برقم: (٤٠٧٩).

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ[(١)]؟ هِيَ النَّمِيمَةُ[(٢)]: الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(٣)]. وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ[(٤)] لَسِحْرًا»[(٥)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: أَنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الْجِبْتِ. الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ الْعِيَافَةِ وَالطَّرْقِ. الثَّالِثَةُ: أَنَّ عِلْمَ النُّجُومِ نَوعٌ مِنَ السِّحْرِ. الرَّابِعَةُ: أَنَّ الْعَقْدَ مَعَ النَّفْثِ مِنْ ذَلِكَ. الْخَامِسَةُ: أَنَّ النَّمِيمَةَ مِنْ ذَلِكَ. السَّادِسَةُ: أَنَّ مِنْ ذَلِكَ بَعْضَ الْفَصَاحَةِ.



---

(١) على وزن (فَعْل)، بفتحٍ فسكونٍ، بمعنى: (القطع)، خلافًا لـ(العِضَة) على وزنِ (فِعَل) بكسرٍ ففتحٍ بمعنى (التفريق)، وتأتي بمعنى (الكذب والبهتان)، وقيل: الفاحش الغليظ التحريم.

(٢) على وزنِ (فعيلة)، وَهِيَ: نقل الكلام بين الناس عَلَى وجه الإفساد. قَالَ يحيى بن أبي كَثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يفسد النَّمام والكذاب فِي ساعة ما لا يفسده السَّاحر فِي سنة. "التيسير" (١/ ٣٤٤).

(٣) رواه مسلم برقم: (٢٦٠٦)، وأحمد برقم: (٤١٦٠) بلفظ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ».

(٤) المراد بالبيان هنا: الفصاحة والبلاغة. والفصاحة لغةً: الإبانَةُ والظُّهور. واصطلاحًا: خلوص الكلام من تنافُر الحروف والغرابةِ ومخالفةِ القياس.

(٥) البخاري برقم: (٥١٤٦)، (٥٧٦٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما، ومسلم برقم: (٨٦٩)، عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما، وقد وهم المصنف في عزوه لابن عمر عند مسلم.

٢٥- بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ(١) وَنَحْوِهِمْ(٢)

رَوَى مُسْلِمٌ فِي "صَحِيحِهِ" عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، لَمْ تُقْبَلْ(٣) لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَومًا»(٤). وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ(٥).

وَلِلْأَرْبَعَةِ(٦) وَالحَاكِمِ -وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا- عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى محمَّدٍ ﷺ». وَلِأَبِي يَعْلَى بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه مِثْلُهُ مَوقُوفًا(٧).

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا(٨) مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ(٩)، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ». رَوَاهُ البَزَّار بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ(١٠). وَرَوَاهُ

---

(١) **الكاهن**: هو من يأخذ من مسترق السمع.

(٢) ذكر هَذَا الباب بعد باب السِّحر؛ لوجود التناسب بينهما.

(٣) **قال ابن القيم** رحمه الله في كتابه "المنار المنيف" (١/ ٣٢): **القبول عَلَى ثلاثة أقسام**: قبولُ رضًا ومحبَّةٍ واعتدادٍ ومباهاةٍ وثناءٍ عَلَى صاحبه فِي الملأ الأعلى، وقبولُ جزاءٍ وثوابٍ، وقبول إسقاطٍ للعقاب وإن لم يترتب عليه جزاء وثواب. اهـ بتصرف.

(٤) رواه مسلم: (٢٢٣٠) دون لفظة **«فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ»**، وَهِيَ عند أَحْمَدَ برقم: (١٦٦٣٨).

(٥) **صحيح**: صَحَّحَهُ الألباني رحمه الله فِي "صحيح الترغيب والترهيب" برقم: (٣٠٤٧).

(٦) **صحيح**: صححه العراقي فِي "أماليه"، والشيخ سليمان آل الشيخ فِي "تيسير العزيز الحميد"، وقد وهم المصنف فِي عزوه إِلَى أئمة السنن، وإنما أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٩).

(٧) **صحيح**: صَحَّحَهُ الألباني فِي "صحيح الترغيب والترهيب" برقم: (٣٠٤٨).

(٨) أي: ليس عَلَى هَدْيِنَا وطريقتِنَا.

(٩) أي: أمر من يَتطيَّر له.

(١٠) **صحيح**: رَوَاهُ البزَّار برقم: (٣٥٧٨)، وَصَحَّحَهُ الألباني فِي "الصحيحة" برقم: (٢١٩٥).

الطَّبَرَانِيُّ فِي "الْأَوْسَطِ" بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا دُونَ قَوْلِهِ: «وَمَنْ أَتَى عَرَّافًا...» إِلَى آخِرِهِ[١].

قَالَ الْبَغَوِيُّ[٢]: الْعَرَّافُ: الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى الْمَسْرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَقِيلَ: هُوَ الْكَاهِنُ. وَالْكَاهِنُ: هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ. وَقِيلَ: الَّذِي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ.

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ: الْعَرَّافُ: اسْمٌ لِلْكَاهِنِ وَالْمُنَجِّمِ وَالرَّمَّالِ، وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي قَومٍ يَكْتُبُونَ أَبَا جَادٍ[٣] وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ: مَا أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلَاقٍ[٤].

---

(١) **صحيح:** رواه الطبراني في "الأوسط" برقم: (٤٢٦٢)، وصَحَّحَهُ الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" (٣/ ١٧٠) ط: (دار المعارف) بشواهده.

(٢) هُوَ الشَّيْخُ الإِمَامُ العَلَّامَةُ القُدْوَةُ الحَافِظُ شَيْخُ الإِسْلَامِ، مُحْيِي السُّنَّة، أَبُو مُحَمَّدٍ الحُسَيْن بن مَسْعُوْدِ بن مُحَمَّدِ بنِ الفَرَّاء البَغَوِيُّ الشَّافِعِيُّ المُفَسِّرُ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، كَـ"شرح السُّنَّة" وَ"مَعَالِمِ التَّنْزِيل" وَ"المَصَابِيح"، وَكِتَاب "التَّهْذِيب" فِي المَذْهَب، وَ"الجمع بَيْنَ الصَّحِيْحَيْنِ"، وَ"الأَرْبَعِيْنَ حَدِيْثًا"، وَأَشيَاء. مَاتَ فِي شوَّال سَنَةَ: (٥١٦هـ). "سير أعلام النبلاء" (١٩/ ٤٤٠).

(٣) وهي: (أَبْجَد، هَوَّز، حُطِي، كَلَمنْ، سَعْفَصْ، قَرَشَتْ، ثَخَذْ، ضِظَغْ)، وهي على قسمين: جائزٌ ومحرَّمٌ، **فالجائزُ:** ما كان لحسابِ الجُمَلِ وغيره، وما زال العلماءُ يستعملونَ هَذَا النَّوع قديمًا وحديثًا، كما قال الإمام العلم الجزريُّ رَحِمَهُ اللهُ:

أَبْيَاتُهَـــا قَـــافٌ وَزَايٌ فِي الْعَـــدَدْ ... مَـنْ يُحْسِـنِ التَّجْوِيـدَ يَظْفَـرْ بِالرَّشَـدْ

أراد بالقاف: (مائة)، **وبالزاي:** (سبعَة). **والمحرَّم:** ما كان مربوطًا بسير النُّجوم، وهذا مرادُ ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٤) **صحيح:** أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" (١١/ ٢٦)، والبيهقي في "الكبرى" (٨/ ١٣٩)، وابن أبي شيبة (٨/ ٤١٤) من طريق عبد الله ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: أَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ تَصْدِيقُ الْكَاهِنِ مَعَ الْإِيْمَانِ بِالْقُرْآنِ. **الثَّانِيَةُ**: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُ كُفْرٌ. **الثَّالِثَةُ**: ذِكْرُ مَنْ تُكُهِّنَ لَهُ. **الرَّابِعَةُ**: ذِكْرُ مَنْ تُطُيِّرَ لَهُ. **الخَامِسَةُ**: ذِكْرُ مَنْ سُحِرَ لَهُ. **السَّادِسَةُ**: ذِكْرُ مَنْ تَعَلَّمَ (أَبَا جَادٍ) الْمُحرَّم. **السَّابِعَةُ**: ذِكْرُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْكَاهِنِ وَالْعَرَّافِ.



٢٦- بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ[(١)]

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ[(٢)]؟ فَقَالَ: «**هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيطَانِ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، وَأَبُو دَاوُدَ[(٣)]، **وَقَالَ:** سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا، فَقَالَ: ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ[(٤)] هَذَا كُلَّهُ[(٥)].

---

(١) **قال العلامة العثيمين** رَحِمَهُ اللهُ في كتابه "القول المفيد" (١/ ٥٥٣-٥٥٤): **النُّشْرَةُ لغةً:** بضَمِّ النون على وزن (فُعْلَةٌ) من النشر، وهو التفريق. وسُمِّيت بِهَذَا الاسم؛ لأنَّه يُنشَر بها عنه ما خامره من الدَّاء، أي: يكشف وينزل عنه. **واصطلاحًا:** حَلُّ السِّحر عن المسحور، وَهِيَ عَلَى نوعين: **الأول:** أن تكون باستخدام الشياطين، فإن كَانَ لا يصل إلى حاجته منهم إلا بالشِّرْك كَانَت شركًا، وإن كَانَ يتوصل لذلك بمعصية دون الشِّرْك كَانَ لها حكم تلك المعصية. **الثاني:** أن تكون بالرقى والتعوُّذات الشرعية والأدوية المباحة، فهَذَا جائز. اهـ بتصرف.

(٢) (أل) هنا: للعهد الذهني.

(٣) **صحيح:** أخرجه أحمد في "المسند" (٣/ ٢٩٤)، وعنه أبو داود في "السنن" برقم: (٣٨٦٨)، وحسَّنه الحافظ ابن حجر في "الفتح" (١٠/ ٢٣٣)، وصححه الألباني في "الصحيحة" برقم: (٢٧٦٠).

(٤) **والمراد بالكراهة هنا:** التحريم.

(٥) **صحيح:** رواه أحمد (٣/ ٢٩٤)، ومن طريقه أبو داود برقم: (٣٨٦٨)، عن عبد الرزاق، عن عقيل بن مِعقَل ابن منبه، عن عمِّه وهب بن منبه، عن جابر به، ورجاله ثقات، وله شاهد من مراسيل الحسن عند أبي داود في "مراسيله" برقم: (٤٥٣)، وزاد الحاكم (٤/ ٤١٨) والبزار برقم: (٣٠٣٤) عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ووهب هذا له سماعٌ من جابر كما أثبته مسلم رَحِمَهُ اللهُ، وقد حسَّنه الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (١٠/ ٢٣٣)، وصَحَّحَهُ الألباني في "الصحيحة" برقم: (٢٧٦٠)، إلَّا أنَّ العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللهُ أورد هذا الحديث في كتابه "أحاديث معلة ظاهرها الصحة" برقم: (٨٨)؛ لأجل وهب بن منبه، وقال أنَّ وهبًا لم يلق جابرًا، إلَّا أنه رَحِمَهُ اللهُ لم يُصب في ذلك، وقد نقل المِزِّيُّ -كما في "تحفة التحصيل" للعراقي- أحاديثَ صرَّح فيها وهب سماعَه من جابر، **ومنها:** ما جاء في "التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان" للعلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ: قال الإمام محمد بن حبان بن أحمد بن حبان أبو حاتم الدارمي: أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّارُ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عقيل بْنِ مَعْقِلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يَقُولُ: «**أَوْكُوا الْأَسْقِيَةَ، وغَلِّقُوا الْأَبْوَابَ إِذَا رَقَدْتُمْ بِاللَّيْلِ، وخَمِّروا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي، فَإِنْ لَمْ يَجِدِ الْبَابَ مُغْلَقًا دَخَلَ، وَإِنْ لَمْ يَجِدِ** =

وَفِي "صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ"[(١)] عَنْ قَتَادَةَ: قُلْتُ لِابْنِ الْمُسَيَّبِ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ[(٢)]، أَوْ يُؤَخَّذُ[(٣)] عَنِ امْرَأَتِهِ، أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ[(٤)] يُنَشَّرُ[(٥)]؟ قَالَ: لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الْإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ. انْتَهَى

وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّهُ قَالَ: لَا يَحُلُّ[(٦)] السِّحْرَ إِلَّا سَاحِرٌ[(٧)].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: النُّشْرَةُ: حَلُّ السِّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ، وَهِيَ نَوعَانِ: أَحَدُهُمَا: حَلٌّ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيطَانِ، وَعَلَيهِ يُحْمَلُ قَولُ الحَسَنِ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالْمُنْتَشِرُ إِلَى الشَّيطَانِ بِمَا يُحِبُّ، فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ[(٨)] عَنِ الْمَسْحُورِ. **وَالثَّانِي: النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وَالْأَدْوِيَةِ وَالدَّعوَاتِ الْمُبَاحَةِ، فَهَذَا جَائِزٌ**[(٩)].

= السِّقَاءَ مُوكًى شَرِبَ مِنْهُ، وَإِنْ وَجَدَ الْبَابَ مُغْلَقًا والسِّقاء مُوكًى لَمْ يَحْلُلْ وِكَاءً وَلَمْ يَفْتَحْ بَابًا مُغْلَقًا، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ لِإِنَائِهِ الَّذِي فِيهِ شَرَابُهُ مَا يُخَمِّرُهُ فَلْيَعْرِضْ عَلَيْهِ عُودًا». قال شيخنا العلَّامة النحوي أبو بلال الحضرمي حَفِظَهُ اللهُ: ويشترط في ذلك كله ذكر الله. اهـ

(١) أي: مُعَلَّقًا. والمعلق: هو ما حُذِفَ من مبدأ إسناده راو فأكثر على التوالي.

(٢) أي: مرض السحر. وقولهم: (به طب): هذا من باب التفاؤل، وهو كثير في لغة العرب، كقولهم للأعمى: (بصير)، وللَّديغ: (سليم).

(٣) بفتح الواو مهموزًا، وتشديد الخاء المعجمة، وبعدها معجمة، أي: يُمنَع ويُحبَس عن امرأته، ولا يصل إلى جماعها.

(٤) (أو) هنا للتنويع.

(٥) وهي: ما كَانَت عن طريق الرُّقى والمعوذات.

(٦) أي: لا يفك السِّحر إلا ساحرٌ.

(٧) صحيح: أورده الحافظ في "الفتح" (١٠/ ٢٣٣)، وابن مفلح في "آدابه" (٣/ ٧٧)، وصحَّحه الألباني في "مختصر صحيح البخاري" (٤/ ٢٧).

(٨) أي: سِحرُه.

(٩) "إعلام الموقعين عن رب العالمين" (٤/ ٣٩٦) بتصرف.

فائدة: أنواع علاجات السحر:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه "الطب النبوي" (١/ ٩٤) ط: (دار الهلال): وَالسِّحْرُ: هُوَ مُرَكَّبٌ مِنْ تَأْثِيرَاتِ الْأَرْوَاحِ الْخَبِيثَةِ، وَانْفِعَالِ الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةِ عَنْهَا، وَهُوَ أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ السِّحْرِ، وَلَا سِيَّمَا =

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنِ النُّشْرَةِ. **الثَّانِيَةُ**: الْفَرْقُ بَيْنَ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ وَالْمُرَخَّصِ فِيهِ، عَمَّا يُزِيلُ الْإِشْكَالَ.



= فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي انْتَهَى السِّحْرُ إِلَيْهِ، وَاسْتِعْمَالُ الْحِجَامَةِ عَلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ الَّذِي تَضَرَّرَتْ أَفْعَالُهُ بِالسِّحْرِ مِنْ أَنْفَعِ الْمُعَالَجَةِ إِذَا اسْتُعْمِلَتْ عَلَى الْقَانُونِ الَّذِي يَنْبَغِي. **قَالَ أَبِقْرَاط**: الْأَشْيَاءُ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تُسْتَفْرَغَ يَجِبُ أَنْ تُسْتَفْرَغَ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي هِيَ إِلَيْهَا أَمْيَلُ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي تَصْلُحُ لِاسْتِفْرَاغِهَا...**إلى أن قال**: **وَمِنْ أَنْفَعِ عِلَاجَاتِ السِّحْرِ**: الْأَدْوِيَةُ الْإِلَهِيَّةُ، بَلْ هِيَ أَدْوِيَتُهُ النَّافِعَةُ بِالذَّاتِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ تَأْثِيرَاتِ الْأَرْوَاحِ الْخَبِيثَةِ السُّفْلِيَّةِ، وَدَفْعُ تَأْثِيرِهَا يَكُونُ بِمَا يُعَارِضُهَا وَيُقَاوِمُهَا مِنَ الْأَذْكَارِ وَالْآيَاتِ وَالدَّعَوَاتِ الَّتِي تُبْطِلُ فِعْلَهَا وَتَأْثِيرَهَا، وَكُلَّمَا كَانَتْ أَقْوَى وَأَشَدَّ كَانَتْ أَبْلَغَ فِي النُّشْرَةِ، وَذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْتِقَاءِ جَيْشَيْنِ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عُدَّتُهُ وَسِلَاحُهُ، فَأَيُّهُمَا غَلَبَ الْآخَرَ قَهَرَهُ وَكَانَ الْحُكْمُ لَهُ، فَالْقَلْبُ إِذَا كَانَ مُمْتَلِئًا مِنَ اللهِ مَغْمُورًا بِذِكْرِهِ، وَلَهُ مِنَ التَّوَجُّهَاتِ وَالدَّعَوَاتِ وَالْأَذْكَارِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وِرْدٌ لَا يُخِلُّ بِهِ، يُطَابِقُ فِيهِ قَلْبُهُ لِسَانَهُ كَانَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَمْنَعُ إِصَابَةَ السِّحْرِ لَهُ، وَمِنْ أَعْظَمِ الْعِلَاجَاتِ لَهُ بَعْدَ مَا يُصِيبُهُ. **وَعِنْدَ السَّحَرَةِ**: أَنَّ سِحْرَهُمْ إِنَّمَا يَتِمُّ تَأْثِيرُهُ فِي الْقُلُوبِ الضَّعِيفَةِ الْمُنْفَعِلَةِ وَالنُّفُوسِ الشَّهْوَانِيَّةِ الَّتِي هِيَ مُعَلَّقَةٌ بِالسُّفْلِيَّاتِ، وَلِهَذَا فَإِنَّ غَالِبَ مَا يُؤَثِّرُ فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَالْجُهَّالِ وَأَهْلِ الْبَوَادِي، وَمَنْ ضَعُفَ حَظُّهُ مِنَ الدِّينِ وَالتَّوَكُّلِ وَالتَّوْحِيدِ، وَمَنْ لَا نَصِيبَ لَهُ مِنَ الْأَوْرَادِ الْإِلَهِيَّةِ وَالدَّعَوَاتِ وَالتَّعَوُّذَاتِ النَّبَوِيَّةِ. **وَبِالْجُمْلَةِ**: فَسُلْطَانُ تَأْثِيرِهِ فِي الْقُلُوبِ الضَّعِيفَةِ الْمُنْفَعِلَةِ الَّتِي يَكُونُ مَيْلُهَا إِلَى السُّفْلِيَّاتِ، **قَالُوا**: وَالْمَسْحُورُ هُوَ الَّذِي يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ؛ فَإِنَّا نَجِدُ قَلْبَهُ مُتَعَلِّقًا بِشَيْءٍ كَثِيرِ الِالْتِفَاتِ إِلَيْهِ، فَيَتَسَلَّطُ عَلَى قَلْبِهِ بِمَا فِيهِ مِنَ الْمَيْلِ وَالِالْتِفَاتِ، وَالْأَرْوَاحُ الْخَبِيثَةُ إِنَّمَا تَتَسَلَّطُ عَلَى أَرْوَاحٍ تَلْقَاهَا مُسْتَعِدَّةً لِتَسَلُّطِهَا عَلَيْهَا بِمَيْلِهَا إِلَى مَا يُنَاسِبُ تِلْكَ الْأَرْوَاحَ الْخَبِيثَةَ، وَبِفَرَاغِهَا مِنَ الْقُوَّةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَعَدَمِ أَخْذِهَا لِلْعُدَّةِ الَّتِي تُحَارِبُهَا بِهَا، فَتَجِدُهَا فَارِغَةً لَا عُدَّةَ مَعَهَا، وَفِيهَا مَيْلٌ إِلَى مَا يُنَاسِبُهَا، فَتَتَسَلَّطُ عَلَيْهَا، وَيَتَمَكَّنُ تَأْثِيرُهَا فيها بالسِّحْرِ وغَيْرِهِ، والله أعلم.

٢٧- بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ (١)

(١) التَّطَيُّرُ لغةً: مصدر: (تَطَيَّرَ)، وأصله مأخوذ من الطَّير. والمراد به: التشاؤم والتعلق بغير الله. واصْطِلَاحًا: هو التشاؤم بمرئيٍّ أو مسموعٍ. وهَذَا التعريف أغلبي، وإِلَّا يدخل فِي ذَلِكَ المعلومُ، كالأيام، والأشهر، ونحوها.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: التطير: هو التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبِقاع وغيرِها، فنهى الشارع عن التطير، وذَمَّ المتطيِّرينَ، وكان يُحِبُّ الفألَ ويكرهُ الطِّيَرَةَ. والفرق بينهما: أنَّ الفألَ الحَسَنَ لا يُخِلُّ بعقيدة الإنسان ولا بعقله، وليس فيه تعليقُ القلبِ بغير الله، بل فيه من المصلحة النشاطُ والسرورُ وتقويةُ النفوس على المطالب النافعة. وصفة ذلك: أن يعزم العبدُ على سَفَرٍ أو زَوَاجٍ أو عَقْدٍ من العُقُود، أو على حالة من الأحوال المُهمَّة، ثم يَرَى في تلك الحال ما يَسُرُّه، أو يسمع كلامًا يسُرُّه، مثل: (يا راشد) أو (سالم) أو (غانم)، فيتفاءل ويزداد طَمَعُهُ في تيسير ذلك الأمر الذي عَزَم عليه، فهذا كله خيرٌ وآثارُهُ خيرٌ، وليس فيه من المحاذير شيء. وأما الطيرة: فإنه إذا عزم على فعل شيء من ذلك من الأمور النافعة في الدين أو في الدنيا، فيرى أو يسمع ما يكره أثَّر في قلبه أحدُ أمرين أحدهما أعظم من الآخر: أحدهما: أن يستجيب لذلك الداعي، فيترك ما كان عازمًا على فعله، أو بالعكس، فيتطير بذلك وينكص عن الأمر الذي كان عازمًا عليه، فهذا كما ترى قد علَّق قلبَه بذلك المكروه غايةَ التعليق وعمل عليه، وتصرَّف ذلك المكروهُ في إرادته وعزمِهِ وعمله، فلا شك أنَّه على هذا الوجه أثَّر على إيمانه وأخَلَّ بتوحيده وتوكُّلِهِ، ثُمَّ بعد هذا لا تسأل عما يُحِدِثُهُ له هذا الأمر من: ضعفِ القلب، ووَهَنِهِ، وخوفِهِ من المخلوقين، وتعلُّقِهِ بالأسباب وبأمور ليست أسبابًا، وانقطاعِ قلبِهِ من تعلُّقِهِ بالله، وهذا من ضعفِ التوحيد والتوكُّل، ومن طرقِ الشِّركِ ووسائلِهِ، ومن الخُرافاتِ المُفسِدَة للعقل. الأمر الثاني: أن لا يستجيب لذلك الدَّاعي، ولكنه يُؤثِّر في قلبه حزنًا وهَمًّا وغَمًّا، فهذا وإن كان دون الأول لكنه شَرٌّ وضرَرَ على العبد، وضَعفٌ لقلبه ومُوهِنٌ لتوكُّلِهِ، ورُبَّما أصابه مكروهٌ فظَنَّ أنَّه من ذلك الأمر، فقَوِيَ تطَيُّرُه، ورُبَّما تَدَرَّجَ إلى الأمر الأول.

فهذا التفصيل يبين لك وجه كراهة الشارع للطِّيَرَة وذمِّها، ووجهَ منافاتِها للتوحيد والتوكل. وينبغي لمن وجد شيئًا من ذلك وخافَ أن تغلبه الدواعي الطبيعية أن يُجاهِدَ نفسَه على دفعِهَا ويستعينَ الله على ذلك، ولا يركن إليها بوجهٍ؛ ليندفع الشر عنه. "القول السديد" (١١٩).

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في "الفتح" (١٠/ ٢١٥): ...وَرُبَّمَا وَقَعَ بِهِ ذَلِكَ المَكْرُوهُ بِعَيْنِهِ الَّذِي اعْتَقَدَهُ؛ عُقُوبَةً لَهُ، كَمَا كَانَ يَقَعُ كَثِيرًا لِأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ. قَالَ الْحَلِيمِيُّ: وَإِنَّمَا كَانَ ﷺ يُعْجِبُهُ الْفَأْلُ؛ لِأَنَّ التَّشَاؤُمَ سُوءُ ظَنٍّ بِاللهِ تَعَالَى بِغَيْرِ سَبَبٍ مُحَقَّقٍ، وَالتَّفَاؤُلُ حُسْنُ ظَنٍّ بِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَأْمُورٌ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ. وَقَالَ الطِّيبِيُّ: مَعْنَى التَّرَخُّصِ فِي الْفَأْلِ وَالْمَنْعِ مِنَ الطِّيَرَةِ: هُوَ أَنَّ الشَّخْصَ لَوْ رَأَى شَيْئًا، فَظَنَّهُ حَسَنًا مُحَرِّضًا عَلَى طَلَبِ حَاجَتِهِ فَلْيَفْعَلْ ذَلِكَ، وَإِنْ رَآهُ بِضِدِّ ذَلِكَ فَلَا =

وَقولِ الله تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا[1] طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[الأعراف:١٣١]، وَقولِهِ: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾[يس:١٩].

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا عَدْوَى[2]، وَلَا طِيَرَةَ[3]، وَلَا هَامَةَ[4]، وَلَا صَفَرَ[5]». أَخْرَجَاهُ[6]، زَادَ مُسْلِمٌ: «وَلَا نَوءَ، وَلَا غُولَ[7]».

وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»[8].

= يَقْبَلُهُ، بَلْ يَمْضِي لِسَبِيلِهِ، فَلَوْ قَبِلَ وَانْتَهَى عَنِ الْمُضِيِّ فَهُوَ الطِّيَرَةُ الَّتِي اخْتُصَّتْ بِأَنْ تُسْتَعْمَلَ فِي الشُّؤْمِ، وَالله أعلم.

(١) (إنما) أداة حصر، **وتفيد هنا:** أن شؤمَهُم إنَّما هو بسبب أعمالهم السيئة.

(٢) **العدوى:** هي انتقال المرض من واحد لآخَر. وهَذَا لا يكون إلَّا بإرادة الله، خلافًا لما يَظُنُّه البعض ويعتقدُه. "معجم لغة الفقهاء" (٣٠٧).

(٣) اعلم -وفَّقَنِي اللهُ وإيَّاك- أنَّ العرب كانت تُسَمِّي الجهات التي تتجه إليها الطير بأسماء مختلفة، وهي: **السَّانِحُ:** وهو ما ذهب جهة اليمين. **والبارح:** جهة اليسار. **والناطح:** جهة الأمام. **والقاعد:** جهة الخلف. فعلى الأول والثالث دلَّ على الاستبشار والإقبال على ما قَصَدَه، وعلى الثاني والرابع دلَّ على التشاؤم والتردُّد وعدمِ العجلة والتأخر إلى وقت آخر.

(٤) **الهامة:** البُومَةُ. وقيل غير ذلك.

(٥) أي: لا تشاؤم من شهر صفر.

(٦) البخاري برقم: (٥٧٠٧)، ومسلم برقم: (٢٢٢٢،٢٢٢٠).

(٧) وهو: كلُّ ما اغتال الشيء فأهلكه. **قال بعضهم: ثلاثة لا حقيقة لها:** الغِيلَان، والعَنْقَاء، ومهدي الرافضة الذي يخرج من السرداب، **ولقد أحسن من قال:**

مَا آنَ لِلسِّرْدَابِ أَنْ يَلِدَ الَّذِي ... كَلَّمْتُمُوهُ بِجَهْلِكُمْ مَا آنَا
فَعَلَى عُقُولِكُمُ الْعَفَاءُ فَإِنَّكُمْ ... ثَلَّثْتُمُ الْعَنْقَاءَ وَالْغِيلَانَا

(٨) البخاري برقم: (٥٧٧٦)، ومسلم برقم: (٢٢٢٤).

وَلِأَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ[(١)]، قَالَ: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»[(٢)].

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا، قَالَ: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ[(٣)]». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ[(٤)]، وَجَعَلَ آخِرَهُ مِنْ قَولِ ابْنِ مَسْعُودٍ.

وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ عَبدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو[(٥)]: «وَمَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»، قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ لَا خَيرَ إِلَّا خَيرُكَ، وَلَا طَيرَ إِلَّا طَيرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيرُكَ»[(٦)]. وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ الْفَضْلِ[(٧)] بْنِ

(١) عروة بن عامر القرشي، **ويُقال**: الجُهَني المكي، أخو عبد الله بن عامر، وعبد الرحمن بن عامر. **قال الحافظ** رحمه الله: مختلف في صحبته، وذكره ابن حبان في "ثقات التابعين". **وقال المِزي**: رَوَى عَن النبي ﷺ مُرْسلًا في الطيرة...روى له أَبُو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيُّ والنَّسَائي وابن مَاجَة.

(٢) **ضعيف**: ضعَّفه الألباني في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" برقم: (٣٩١٩).

(٣) **التوكل**: صدقُ اعتماد القلب على الله في جلبِ المنافِعِ ودَفعِ المضارِّ، مع العملِ بالأسبابِ.

(٤) **صحيح**: صَحَّحَهُ الألباني فِي "صحيح وضعيف سنن أبي داود" برقم: (٣٩١٠)، والوادعي في "الصحيح المسند" (١/ ٦٥٩-٦٦٠).

(٥) وهو: عبد الله بن عمرو بن وائل بن هاشم بن سعد بن كعب بن لؤي القرشي. أسلم قبل أبيه، وكان من العلماء العُبَّاد، ولم يكن أصغر من أبيه إلَّا باثني عشر سنة. **قال ابن حجر** رحمه الله: أحد السابقين المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، مات سنة: سبع وستين.

(٦) **حسن**: رَوَاهُ أَحْمَدُ برقم: (٧٠٤٥)، وَحَسَّنَهُ طبعة الرسالة، والألباني رحمه الله في "السلسلة الصحيحة".

(٧) وهو: ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو عبد الله، **ويقال**: أبو محمد، **ويقال**: أبو العباس المدني، أكبر ولد العباس، وابنُ عم رسول الله ﷺ، كان جميلًا مليحًا وسيمًا، استشهد في خلافة عمر رضي الله عنه. "البداية والنهاية" (١٠/ ٧٩).

عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ»(١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: التَّنْبِيهُ عَلَى قولِهِ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾، مَعَ قَولِهِ: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾. **الثَّانِيَةُ**: نَفْيُ الْعَدْوَى. **الثَّالِثَةُ**: نَفْيُ الطِّيَرَةِ. **الرَّابِعَةُ**: نَفْيُ الهَامَةِ. **الخَامِسَةُ**: نَفْيُ الصَّفَرِ. **السَّادِسَةُ**: أَنَّ الْفَأْلَ لَيسَ مِنْ ذَلِكَ، بِلْ مُسْتَحَبٌّ. **السَّابِعَةُ**: تَفْسِيرُ الْفَأْلِ. **الثَّامِنَةُ**: أَنَّ الْوَاقِعَ فِي الْقُلُوبِ مِنْ ذَلِكَ مَعَ كَرَاهَتِهِ لَا يَضُرُّ، بَلْ يُذهِبُهُ اللهُ بِالتَّوَكُّلِ. **التَّاسِعَةُ**: ذِكْرُ مَا يَقُولُهُ مَنْ وَجَدَهُ. **الْعَاشِرَةُ**: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الطِّيَرَةَ شِرْكٌ. **الحَادِيَةَ عَشرَةَ**: تَفْسِيرُ الطِّيَرَةِ المَذْمُومَةِ.



(١) **ضعيف**: رَوَاهُ أَحْمَدُ برقم: (١٨٢٣)، وفي إسناده محمد بن عبد الله بن علاثة (قاضي الجن)، متروكٌ، ومع هَذَا لم يدرك الفضل بن عَبَّاسٍ، **وعلى هذا**: فالحديث ضعيف.

٢٨- بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ[(١)]

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي "صَحِيحِهِ": قَالَ قَتَادَةُ: خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيرَ ذَلِكَ أَخْطَأَ وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ. انْتَهَى[(٢)]

وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ الْقَمَرِ، وَلَمْ يُرخِّصِ ابْنُ عُيَينَةَ فِيهِ. ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا، وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ الْمَنَازِلِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ[(٣)].

وَعَنْ أَبِي مُوسَى[(٤)] رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ

---

(١) **التنجيم**: مصدر: (نجَّم، يُنجِّم، تنجيمًا)، وهو: النظر في النجوم بحسب مواقيتها وسيرها. **واصْطِلَاحًا: قال شيخ الإسلام** رحمه الله -كما في "الفتاوى" (٣٥/ ١٩٢)-: هو الاستدلال عَلَى الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، وهو محرَّم. **وقال الإمام السعدي** رحمه الله: **التنجيم نوعان: نوع يسمَّى (علم التأثير)**، وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الكونية، فهذا باطل ودعوى لمشاركة الله في علم الغيب الذي انفرد به، أو تصديق لمن ادعى ذلك، وهذا ينافي التوحيد؛ لما فيه من هذه الدعوى الباطلة، ولما فيه من تعلق القلب بغير الله، ولما فيه من فساد العقل؛ لأن سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأديان. **النوع الثاني: علم التسيير**، وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب على القبلة والأوقات والجهات، فهذا النوع لا بأس به، بل كثير منه نافعٌ قد حَثَّ عليه الشارع إذا كان وسيلة إلى معرفة أوقات العبادات، أو إلى الاهتداء به في الجهات، فيجب التفريق بين ما نهى عنه الشارع وحرَّمه، وبين ما أباحه أو استحبه أو أوجبه، فالأول هو المنافي للتوحيد دون الثاني.

(٢) ذكره البخاري معلَّقًا في كتابه "بدء الخلق" (٤/ ١٠٧)، باب النجوم.

(٣) **قال الإمام ابن رجب** رحمه الله في رسالته "فضل علم السلف عن الخلف": **والمأذون في تعلمه**: علم التسيير، لا علم التأثير؛ فإنه ما حلَّ، بل محرم قليله وكثيره، وأما علم التسيير يتعلم ما يحتاج مِنْهُ للاهتداء ومَعْرِفَةِ القبلة والطرق، وهَذَا جائز عند الجمهور. "فيض القدير" (٣/ ٢٥٦).

(٤) هو: عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري التميمي. أسلم بمكة، وهاجر إلى الحبشة، وأول مشاهده (خيبر). عدَّه ابن المديني من قضاة الأمة، أوتي مزمارًا من مزامير آل داود، ولي زبيد وعدن للنبي ﷺ، والكوفة والبصرة لعمر رضي الله عنه، وكان من أجلاء الصحابة وفضلائهم، فُتِحَت أصبهان وتُسْتَر وغيرُها على يده، ولم يكن في الصحابة أطيب صوتًا منه. مات سنة: اثنتين وأربعين.

الجَنَّةَ: **مُدْمِنُ الخَمْرِ**[(١)]**، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَّانَ فِي "صَحِيحِهِ"[(٢)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: الحِكْمَةُ فِي خَلْقِ النُّجُومِ. **الثَّانِيَةُ**: الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ غيرَ ذَلِكَ. **الثَّالِثَةُ**: ذِكْرُ الخِلَافِ فِي تَعَلُّمِ المَنَازِلِ. **الرَّابِعَةُ**: الْوَعِيدُ فِيمَنْ صَدَّقَ بِشَيْءٍ مِنَ السِّحْرِ، وَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ بَاطِلٌ[(٣)].



(١) أي: المداوم عليها، وهَذَا النفي نفي ابتداء، وإلَّا قد يدخل المدمن الجَنَّة بعد التَّطهير إذا مات عَلَى التوحيد، خلافًا لما ذهب إليه الخوارج.

(٢) **صحيح لغيره: قال الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "صحيح الترغيب والترهيب" (٢٠٣٩): صحيح لغيره.

(٣) لكونه يؤدِّي إلى إغراء الآخرين بِهِ وباللُّجوءِ إليه.

٢٩- بَابُ مَا جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ(١) بِالأَنْوَاءِ(٢)

وَقَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[الواقعة:٨٢].

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ(٣) رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ(٤) فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ(٥) لَا يَتْرُكُونَهُنَّ(٦): الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ(٧)، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ(٨)، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ(٩) عَلَى المَيِّتِ»، وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا

(١) وهو: طلب السُّقيَا. والاستسقاء بالأنواء عَلَى ضربين: منها: ما هو شرك أكبر، وله صورتان: الأولى: دعاء النوء. الثانية: أن ينسب حصول الأمطار إليها من غير الله. ومنها: ما هو شرك أصغر، وهو أن تجعل لها سببًا من الأسباب مع الاعتقاد أن الله هو الخالق، فهَذَا شرك أصغر؛ لِعدَمِ وجودِ دليلٍ في كونِ النَّوءِ سببًا للأمطار.

(٢) أي: نسبة السقي إلى الأنواء، جمع (نوء)، وهي منازل القمر، كل منزلة لها نجم تدور بمدار السنة، وعددها ثمانية وعشرون منزلًا. والنوء: هو الكوكب.

(٣) وهو كعب بن عاصم. وقيل: الحارث بن الحارث. وقيل غير ذلك، أبو مالك، وقيل: أبو عامر، صحابي، نزل الشام. روى لَهُ الْأَرْبَعَة: مُسلمٌ وَأَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَة. توفِّي سنة: (١٨هـ).

(٤) وهَذَا ليس للحصر.

(٥) الجاهلية عَلَى قسمين: مطلقة ومقيدة، فالمطلقة كما في قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾[الأحزاب:٣٣]، والمقيدة كقول النبي عليه الصلاة والسلام في أبي ذر رضي الله عنه: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»، أي: صفة من صفات الجاهلية، ولا تكون إلا عند الالتباس، فإذا ترك زالت.

(٦) مع كونها محرَّمة.

(٧) جمع (حَسَبٍ)، وهو: ما يعدُّه الإنسان من مفاخر آبائه على سبيل الاستطالة والبغي والتكبر والترفع على الناس.

(٨) أي: الوقوع فيها.

(٩) النياحة: أن يبكي الإنسان على الميت بكاء على صفة نوح الحمام، وذلك أنَّ المرأة كانت تبكي لفقدانِ محبوبها سنة ويساعدنَها جيرانها، وإذا مات لهنَّ حبيبٌ ساعدتهن وبكت معهنَّ، أَقْبِح بها من عادةٍ ما أخبثها! والله المستعان.

قال العلامة العثيمين رحمه الله: لأنَّ هذا يدلُّ على التضجُّر وعدمِ الصَّبر، فهو مُنافٍ للصبر الواجب، وهذه الجملة هي الشاهد للباب. والناس حال المصيبة على مراتب أربع: الأولى: التَّسَخُّط، وهو إمَّا =

لَمْ تَتُبْ قَبْلَ موتِهَا[١] تَقَامُ يومَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيهَا سِرْبَالٌ[٢] مِنْ قَطِرَانٍ[٣]، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ[٤]». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[٥]. وَلَهُمَا عَنْ زَيدِ بْنِ خَالِدٍ[٦] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّى لَنَا[٧] رَسُولُ الله ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيبِيَةِ[٨] عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ[٩] كَانَتْ مِنَ اللَّيلِ، فَلَمَّا

= أن يكون بالقلب -كأن يسخط على ربه، ويغضب على قدر الله عليه- وقد يؤدِّي إلى الكفر، وقد يكون باللسان، كالدعاء بالويل والثبور وما أشبه ذلك، وقد يكون بالجوارح، كلطم الخدود، وشَقِّ الجُيُوب، ونَتْفِ الشُّعُور، وما أشبه ذلك. **الثانية: الصبر**، وهو كما **قال الشاعر:**

الصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ ... لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ

فيرى الإنسانُ أنَّ هذا الشيء ثقيلٌ عليه ويكرهه، لكنه يتحمله ويتصبَّر، وليس وقوعُهُ وعدمُهُ سواءً عنده، بل يكره هذا، ولكن إيمانه يحميه من السخط. **الثالثة: الرِّضا**، وهو أعلى من ذلك، وهو: أن يكون الأمران عنده سواء بالنسبة لقضاء الله وقدره. **الرابعة: الشُّكر**، وهو أعلى المراتب، وذلك أن يشكر الله على ما أصابه من مصيبة، وذلك يكون في عباد الله الشاكرين حين يرى أنَّ هناك مصائبُ أعظمُ منها، وأنَّ مصائب الدنيا أَهْوَنُ من مصائب الدين، وأنَّ عذابَ الدنيا أَهْوَنُ من عذاب الآخرة، وأنَّ هذه المصيبة سببٌ لتكفير سيِّئاتِهِ. "القول المفيد" (٢/ ١١٤) بتصرف.

(١) **قال العلامة صالح الفوزان** حفظه الله: **قوله** ﷺ: **«النَّائِحَةُ إِنْ لَمْ تَتُبْ»**: **يعني**: ترجع عن النياحة وتندم على ما حصل منها، وتعزم على أن لا تعود إلى النياحة في مستقبلها، وهذه شروط التوبة؛ **فالتوبة لغة:** الرجوع. **وشرعًا:** هي الرجوع من معصية الله إلى طاعة الله. **وشروطها ثلاثة**: الإقلاع عن الذنب، والندم على ما حصل، والعزم أن لا يعود إليه، فإذا توفَّرت هذه الشروط فالتوبة صحيحة، وإذا اختلَّ شرطٌ منها فهي توبة غير صحيحة، ودلَّ هذا على أن التوبة تمحو المعصية ولو كانت كبيرة، ولو كانت شركًا وكفرًا بالله جل وعلا، فالتوبة تَجُبُّ ما قبلها من النياحة وغيرها.

(٢) **السربال:** هو الثوب، أي: القميص.

(٣) أي: النحاس المذاب.

(٤) وهو: بثرٌ يعلو أبدانَ الناسِ والإبلِ.

(٥) رَوَاهُ مسلم برقم: (٩٣٤).

(٦) زيد بن خَالِد الجُهَنِيُّ المَدَنِيُّ، أَبُو عبد الرَّحْمَن. وَقيل: أَبُو طَلْحَة. صَحَابِيٌّ مَشْهُورٌ نزل الْكُوفَة، وحدَّث عَن النَّبِي ﷺ وَعُثْمَانَ وَأبي طَلْحَة الْأَنْصَارِيِّ، وروى لَهُ الْجَمَاعَة. توفِّي سنة: ثَمَانٍ وَسبعين.

(٧) أي: بنَا.

(٨) بالتشديد والتخفيف.

(٩) أي: عَلَى عَقِب مطر.

انْصَرَفَ[(١)] أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟». قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي[(٢)] مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ: فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوءِ كَذَا وَكَذَا[(٣)]، فَذَلِكَ كَافِرٌ[(٤)] بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوكَبِ»[(٥)].

وَلَهُمَا[(٦)] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما بِمَعْنَاهُ، وَفِيهِ: قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوءُ كَذَا وَكَذَا، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَاتِ: ﴿فَلَآ[(٧)] أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ[(٨)] * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ[(٩)] * فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [أي: مَصُونٍ مَحْفُوظٍ مِنَ الشَّيَاطِينِ] ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا

---

(١) أي: انتهى من الصلاة.

(٢) والمقصود بها هنا: العبودية العامة.

(٣) قال الإمام الشافعي رحمه الله في كتابه "الأم": من قال: (مطرنا بنوء كذا) وهو يريد أن النَّوء أنزل الماء -كما عني بعضُ أهل الشرك من الجاهلية- فهو كافر حلالٌ دمُهُ إن لم يتب. وقال الإمام ابن عبد البر في معنى الحديث: فمعناه على وجهين: أما أحدهما: فإنَّ المعتقد بأن النوء هو الموجب لنزول الماء، وهو المنشئ للسحاب دون الله عز وجل، فذلك كافر كفرًا صريحًا، يجب استتابته وقتلُهُ إن أبى؛ لنَبْذِه الإسلام وردِّه القرآن. والوجه الثاني: أن يعتقد أنَّ النوء ينزل الله به الماء، وأنه سبب الماء على ما قدره الله وسبق في علمه، وهذا وإن كان وجهًا مباحًا فإنَّ فيه أيضًا كفرًا بنعمة الله عز وجل وجهلًا بلطيف حكمته...إلى آخره. "الموسوعة العقدية" (٦/ ٣٧٢).

(٤) والكفر هنا بحسبه، فمن اعتقد فِي الكوكب مطلقَ التصرف فِي المطر فقد وقع فِي الكفر الأكبر، ومن اعتقد لَهُ السببية فقد وقع فِي الْأَصْغَر.

(٥) أخرجه البخاري: (٨٤٦)، ومسلم: (٧١).

(٦) عزو الحديث للصحيحين وَهَمٌ من المؤلف رحمه الله، وإنما انفرد بإخراجه مسلم برقم: (٧٣)، وأورَدَهُ الوادعي فِي "الصحيح المسند من أسباب النزول" (١/ ٢٣٥).

(٧) (لا) هنا: نافية، أي: لا صحَّة لما تزعمون.

(٨) أي: نجوم القرآن، وَهُوَ إنزاله تبارك وتعالى إياه جملة واحدة. وقيل: مواقعُ النجوم المعروفة.

(٩) وهذا جواب القسم.

﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [أي: المَلَائِكَةُ المَوْصُوفُونَ بِالطَّهَارَةِ] ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ [أي: مُكَذِّبُونَ] ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾(١)[الواقعة:٧٥-٨٢].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الْوَاقِعَةِ. **الثَّانِيَةُ**: ذِكْرُ الْأَرْبَعِ مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ. **الثَّالِثَةُ**: ذِكْرُ الْكُفْرِ فِي بَعْضِهَا. **الرَّابِعَةُ**: أَنَّ مِنَ الْكُفْرِ مَا لَا يُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ. **الخَامِسَةُ**: قَوْلُهُ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ**» بِسَبَبِ نُزُولِ النِّعْمَةِ. **السَّادِسَةُ**: التَّفَطُّنُ لِلْإِيْمَانِ فِي هَذَا المَوْضِعِ. **السَّابِعَةُ**: التَّفَطُّنُ لِلْكُفْرِ فِي هَذَا المَوْضِعِ. **الثَّامِنَةُ**: التَّفَطُّنُ لِقَوْلِهِ: «**لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا**». **التَّاسِعَةُ**: إِخْرَاجُ الْعَالِمِ لِلْمُتَعَلِّمِ المَسْأَلَةَ بِالِاسْتِفْهَامِ عَنْهَا؛ لِقَوْلِهِ: «**أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**». **العَاشِرَةُ**: وَعِيدُ النَّائِحَةِ.



(١) أي: لا تشكرون الله، وتنسبون نزول المطر إلى الكواكب. **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ في "مدارج السالكين" (٢/ ٢٣٧): **قَالَ صَاحِبُ "المَنَازِلِ"**: **الشُّكْرُ**: اسْمٌ لِمَعْرِفَةِ النِّعْمَةِ؛ لِأَنَّهَا السَّبِيلُ إِلَى مَعْرِفَةِ المُنْعِمِ، وَلِهَذَا سَمَّى اللهُ تَعَالَى الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ فِي الْقُرْآنِ (شُكْرًا)، فَمَعْرِفَةُ النِّعْمَةِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الشُّكْرِ، لَا أَنَّهَا جُمْلَةُ الشُّكْرِ كَمَا تَقَدَّمَ أَنَّهُ الِاعْتِرَافُ بِهَا، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ بِهَا، وَالْخُضُوعُ لَهُ وَمَحَبَّتُهُ، وَالْعَمَلُ بِمَا يُرْضِيهِ فِيهَا، لَكِنْ لَمَّا كَانَ مَعْرِفَتُهَا رُكْنَ الشُّكْرِ الْأَعْظَمَ الَّذِي يَسْتَحِيلُ وُجُودُ الشُّكْرِ بِدُونِهِ جُعِلَ أَحَدُهُمَا اسْمًا لِلْآخَرِ.

٣٠- باب قول الله تعالى:[(١)]

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾[-أي: شبيهًا-] ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ[(٢)] وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾[البقرة:١٦٥][(٣)]، وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ

---

(١) **قال العلامة العثيمين** رَحِمَهُ اللهُ: جعل المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى الآية هي الترجمة، ويمكن أن يعنى بهذه الترجمة: (باب المحبة). "القول المفيد" (٢/ ٤٤).

(٢) **الحُبُّ**: ضد البغض، وهو عمل قلبي. **قال الإمام السعدي** رَحِمَهُ اللهُ: ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حُبًّا عظيمًا، ولم يدخلهم في الإسلام، فكيف بمن أحبَّ النِّدَّ أكبر من حبِّ الله؟! وكيف بمن لم يحب إلَّا النِّدَّ وحده ولم يحب الله؟!...**إلى أن قال**: **واعلم أن أنواع المحبة ثلاثة أقسام**: **الأول**: **محبة الله** التي هي أصل الإيمان والتوحيد. **الثاني**: **المحبة في الله**، وهي محبة أنبياء الله ورسله وأتباعهم، ومحبة ما يحبه الله من الأعمال والأزمنة والأمكنة وغيرهم، وهذه تابعة لمحبة الله ومكملة لها. **الثالث**: **محبة مع الله**، وهي محبة المشركين لآلهتهم وأندادهم من شجرٍ وحجرٍ وبشرٍ وملك، وغيرها، وهي أصل الشرك وأساسه. **وقال الشيخ سليمان آل الشيخ** رَحِمَهُ اللهُ: **واعلم أن المحبة قسمان**: مشتركة، وخاصة، **فالمشتركة ثلاثة أنواع**: **أحدها**: **محبة طبيعية**، كمحبة الجائع للطعام، والظمآن للماء، ونحو ذلك، وهذه لا تستلزم التعظيم. **الثاني**: **محبة رحمة وإشفاق**، كمحبة الوالد لولده الطفل، وهذه أيضًا لا تستلزم التعظيم. **الثالث**: **محبة أُنْسٍ وأُلْف**، وهي محبة المشتركين في صناعة أو علم أو مرافقة أو تجارة أو سفر لبعضهم بعضًا، وكمحبة الإخوة بعضهم بعضًا، فهذه الأنواع الثلاثة التي تصلح للخلق بعضهم من بعض، ووجودها فيهم لا يكون شركًا في محبة الله، ولهذا كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل، وكان يحب نساءه، وعائشة أحبهن إليه، وكان يحب أصحابه، وأحبهم إليه الصِّدِّيق رضي الله عنه. **القسم الثاني**: **المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله**، ومتى أحبَّ العبد بها غيره كان شركًا لا يغفره الله، وهي محبة العبودية المستلزمة للذُّلِّ والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة وإيثاره على غيره، فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلًا كما حقَّقه ابن القيم، وهي التي سوَّى المشركون بين الله تعالى وبين آلهتهم فيها، كما قال تعالى في الآية التي ترجم لها المصنف.

(٣) فدلَّت الآية على وجوب محبة الله أكثر من غيره، كما في الأحاديث المتواترة، **ومنها**: حديث أنس في "الصحيحين"، وفيه: «**أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**».

﴿ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا﴾ [اكْتَسَبْتُمُوها] ﴿وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا﴾ [أي: بَوَارَهَا وَعَدَمَ رَوَاجِهَا] ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ﴾ [فَانْتَظِرُوا] ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[التوبة:٢٤].

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[(١)]. أَخْرَجَاهُ[(٢)]. وَلَهُمَا عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ[(٣)] وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيْمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[(٤)]. وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيْمَانِ حَتَّى...» إِلَى آخِرِهِ[(٥)].

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: مَنْ أَحَبَّ فِي الله، وَأَبْغَضَ فِي الله، وَوَالَى فِي الله، وَعَادَى فِي الله، فَإِنَّمَا تُنَالُ[(٦)] وَلَايَةُ الله بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيْمَانِ -وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ- حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ

---

(١) قال الشيخ سليمان آل الشيخ رحمه الله: أي: لا يحصل له الإيمان الذي تَبْرَأُ به ذِمَّتُهُ ويستَحِقُّ به دخولَ الجنة بلا عذاب حتى يكون الرسولُ أحبَّ إليه من أهله وولده ووالده والناس أجمعين، بل لا يحصل له ذلك حتى يكون الرسول أحب إليه من نفسه أيضًا. "التيسير" (٤٠٧).

(٢) البخاري برقم: (٣)، ومسلم برقم: (٤٤).

(٣) أي: وُجِدْنَ فِيه.

(٤) رواه البخاري برقم: (١٦)، ومسلم برقم: (٤٣).

(٥) رَوَاهُ البخاري من طريق آدم، عن شعبة، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه برقم: (٦٠٤١).

(٦) أي: تُدرَكُ.

شَيئًا[1]. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ[2].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦]، قَالَ: المَوَدَّةُ[3].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الْبَقَرَةِ. **الثَّانِيَةُ:** تَفْسِيرُ آيَةِ بَرَاءَةَ. **الثَّالِثَةُ:** وُجُوبُ تَقْدِيمِ مَحَبَّتِهِ ﷺ عَلَى النَّفْسِ وَالْأَهْلِ وَالمَالِ. **الرَّابِعَةُ:** أَنَّ نَفْيَ الْإِيمَانِ لَا يَدُلُّ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْإِسْلَامِ. **الْخَامِسَةُ:** أَنَّ لِلْإِيمَانِ حَلَاوَةً قَدْ يَجِدُهَا الْإِنْسَانُ وَقَدْ لَا يَجِدُهَا. **السَّادِسَةُ:** أَعْمَالُ الْقَلْبِ الْأَرْبَعِ الَّتِي لَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ إِلَّا بِهَا، وَلَا يَجِدُ أَحَدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِهَا. **السَّابِعَةُ:** فَهْمُ الصَّحَابِيِّ لِلْوَاقِعِ: أَنَّ عَامَّةَ الْمُؤَاخَاةِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا. **الثَّامِنَةُ:** تَفْسِيرُ الْآيَةِ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾. **التَّاسِعَةُ:** أَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَنْ يُحِبُّ اللهَ حُبًّا شَدِيدًا. **الْعَاشِرَةُ:** الْوَعِيدُ عَلَى مَنْ كَانَ الثَّمَانِيَةُ أَحَبَّ إِلَيهِ مِنْ دِينِهِ. **الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ:** أَنَّ مَنِ اتَّخَذَ نِدًّا تُسَاوِي مَحَبَّتُهُ مَحَبَّةَ اللهِ فَهُوَ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ[4].



---

(١) أي: لا ينفع ولا يضر في المعاد.

(٢) **ضعيف:** أخرجه ابن المبارك في "الزهد" (٣٥٣)، وابن أبي شيبة برقم: (٣٤٧٧٠)، من طريق ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وليث ضعيف مختلط، رواه مرَّة عن مجاهد، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا عند الطبراني: (١٣٥٣٧)، ومرَّةً عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا.

(٣) **صحيح:** أخرجه الحاكم (٢/ ٢٧٢)، من طُرُق عن أبي عاصم، عن عيسى بن ميمون، عن قيس بن سعد، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما، **وقال:** هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وعنه في "البخاري" أنه قال: **المودة:** الوصلات في الدنيا.

(٤) ويُسَمَّى هذا النوع: (شرك المحبة).

٣١- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ(١) أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[آل عمران:١٧٥]، وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ(٢) مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ

---

(١) **الخَوْفُ**: هو اضطراب القلب وحركته بتذَكُّر المخوف، قاله ابن القيم. ولِمَا أنَّ من الخوف ما يكون منافيًا للتوحيد ذكره المصنف فِي كتابه، وهو من أَجَلِّ العبادات؛ إذ هو أَعَمُّ من الخشية. **والخوف على ثلاثة أقسام**: **أحدها**: **خوف السِّر**، وهو أن يُخَافَ من غير الله أن يصيبه بما يشاء من مرض، أو فقر، أو قتل، أو نحو ذلك بقدرته ومشيئته، سواء ادَّعى أنَّ ذلك كرامة للمخوف بالشفاعة، أو على سبيل الاستقلال، فهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله أصلًا؛ لأنَّ هذا من لوازم الإلهية، فمن اتخذ مع الله نِدًّا يخافه هذا الخوف فهو مشرك، وهذا هو الذي كان المشركون يعتقدونه فِي أصنامهم وآلهتهم، ولهذا يُخَوِّفُونَ بها أولياءَ الرحمن كما خوَّفوا إبراهيم الخليل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقال لهم: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[الأنعام:٨٠-٨١]، وهذا القسم هو الواقع اليوم من عُبَّاد القبور، فإنهم يخافون الصالحين -بل الطواغيت- كما يخافون الله، بل أشد، ولهذا إذا توجَّهت على أحدهم اليمين بالله أعطاكَ ما شئتَ من الأيمان كاذبًا أو صادقًا، فإن كان اليمين بصاحب التُّربة لم يقدم على اليمين إن كان كاذبًا، وما ذاك إلَّا لأنَّ المدفون فِي التراب أخوف عنده من الله، ولا ريب أنَّ هذا ما بلغ إليه شرك الأولين، بل جهد أيمانهم اليمين بالله تعالى، وإذا أراد أن يظلم أحدًا فاستعاذ بالله لم يعذه، وإذا استعاذ بصاحب التربة أو بتربته لم يقدم عليه ولم يتعرض له بالأذى. **الثاني**: **أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر إلَّا لخوف من الناس**، فهذا محرم، وهو الذي نزلت فيه الآية المترجم لها. **الثالث**: **خوف وعيد الله الذي توعد به العصاة**، وهو الذي قال الله فيه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[إبراهيم:١٤]، وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان، ونسبة الأول إليه كنسبة الإسلام إلى الإحسان، وإنَّما يكون محمودًا إذا لم يوقِع فِي القنوط واليأس من روح الله، ولهذا **قال شيخ الإسلام**: هذا الخوف: ما حجزك عن معاصي الله، فما زاد على ذلك فهو غير محتاج إليه.

بقي قسم رابع، وهو: الخوف الطبيعي، كالخوف من عَدُوٍّ وسَبُعٍ وهَدْمٍ وغَرَقٍ ونحوِ ذلك، فهذا لا يُذَمُّ، وهو الذي ذكره الله عن موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي قوله: ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ﴾[القصص:٢١]. "تيسير العزيز الحميد" (٤١٧-٤١٨) بتصرف.

(٢) العمارة هنا معنوية، لا حقيقية، ومن اجتمعت فيه العمارتان فنعمَّا هي، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ (١) إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[التوبة:١٨]، وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ [أي: في تمَسُّكِهِ بِدِينِ اللهِ واستِقَامَتِهِ] ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [أي: كَخَوفِهِ مِن عَذَابِ اللهِ] ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[العنكبوت:١٠] الْآيَةَ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ الله، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ الله، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ، إِنَّ رِزْقَ اللهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ»(٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنِ الْتَمَسَ(٣) رِضَا اللهِ بِسَخَطِ(٤) النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ(٥) بِسَخَطِ الله سَخِطَ اللهُ عَلَيهِ وَأَسْخَطَ عَلَيهِ النَّاسَ(٦)». رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي "صَحِيحِهِ"(٧).

---

(١) أي: خشية عبادة.

(٢) **موضوع:** الحديث بتمامه أورده الألباني في "الضعيفة" برقم" (١٤٨٢)، وقَالَ: موضوع، أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (١٠/ ٤١)، وأبو عبد الرحمن السلمي في "طبقات الصوفية" (٦٨-٦٩).

(٣) أي: طَلَب.

(٤) الباء هنا للعوض.

(٥) **قال الشافعي رحمه الله:** رضا النَّاس غاية لا تُدرَك. "شرح الطحاوية" (٢٤٤) تحقيق العلَّامة أحمد شاكر.

(٦) **هذه العبارة مبنية على أمرين: الأول: المحبة**، وهي التي يكون فيها امتثال الأوامر. **والثاني: الخوف**، وهو الذي يكون فيه اجتناب النواهي. **قال الشيخ سليمان آل الشيخ رحمه الله: قلت:** وإنَّما يَحمِلُ الإنسانَ على إرضاء الخلق بسخط الخالق الخوفُ منهم، فلوكان خوفه خالصًالله لما أرضاهم بسخطه.

(٧) **صحيح:** صَحَّحَهُ الألباني فِي "التعليقات الحسان على صحيح ابن حبَّان" برقم: (٢٧٦).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ آلِ عِمْرَانَ. **الثَّانِيَةُ**: تَفْسِيرُ آيَةِ بَرَاءَةَ. **الثَّالِثَةُ**: تَفْسِيرُ آيَةِ الْعَنْكَبُوتِ. **الرَّابِعَةُ**: أَنَّ الْيَقِينَ يَضْعُفُ وَيَقْوَى. **الْخَامِسَةُ**: عَلَامَةُ ضَعْفِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ هَذِهِ الثَّلَاثُ. **السَّادِسَةُ**: أَنَّ إِخْلَاصَ الخَوفِ لله مِنَ الْفَرَائِضِ. **السَّابِعَةُ**: ذِكْرُ ثَوَابِ مَنْ فَعَلَهُ. **الثَّامِنَةُ**: ذِكْرُ عِقَابِ مَنْ تَرَكَهُ.



٣٢- بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ(١) إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[المائدة:٢٣]، وَقَوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ﴾ [خافَتْ] ﴿قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الأنفال:٢]، وَقَوله تَعَالَى:

---

(١) **المراد بالتَّوكُّل هنا:** الاعتماد عَلَى الله فِي حصول المطلوب ودفع المكروه، والثقة بالله ﷻ. **ولابد فِي الأسباب مع التوكل من أمرين: الأول:** الاعتماد عَلَى الله ﷻ. **الثاني:** فعل الأسباب المؤدِّية فيها. والتوكل فريضة يجب إخلاصه لله تَعَالَى، وَهُوَ من شروط الإيمان، ولا يجوز صرفه لغير الله. **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللهُ -كما في **"مجموع الفتاوى"** (١٠/ ٢٥٧)-: وما رجا أحدٌ مخلوقًا ولا توكَّل عليه إلَّا خاب ظَنُّه فيه. **وقال العلَّامة ابن القيم** رَحِمَهُ اللهُ: فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستَقِمْ منه التوكُّل، ولكن من تمام التوكل عدمُ الركون إلى الأسباب، وقطعُ علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله، لا بها، وحال بدنه قيامه بها، فالأسباب محلُّ حكمة الله وأمره ودينه، والتوكُّل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم. "مدارج السالكين" (٢/ ١٢٠). **وقال الشيخ سليمان آل الشيخ** رَحِمَهُ اللهُ: **التوكل قسمان: قال أبو السعادات:** يُقالُ: (تَوَكَّلَ بالأمر) إذا ضَمِنَ القيامَ به، و(وكَّلتُ أمري إلى فلان)، أي: ألجأته واعتمدت عليه فيه، و(وكَّلَ فلان فلانًا) إذا استكفاه أمره ثقةً بكفايته، أو عَجِز عن القيام بأمر نفسه. انتهى. **ومراد المصنف بهذه الترجمة:** النص على أنَّ التَّوكُّل فريضة يجب إخلاصه لله تعالى؛ لأنَّه من أفضل العبادات وأعلى مقامات التوحيد، بل لا يقوم به على وجه الكمال إلَّا خواص المؤمنين، كما تقدم في صفة السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب...إلى آخره.

فائدة: **اعلم أن التوكل على غير الله ينقسم إلى قسمين: الأول: التوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه سوى الله**، كالتوكل على القبور، أو الجن، أو الأولياء والصالحين، فهَذَا شركٌ أكبر. **الثاني: التوكل فِي الأسباب الظاهرة مع اعتماد القلب**، كالتوكل على السلطان والأمير فيما أقدره الله عليه، وهَذَا شركٌ أصغر. **ومن ذَلِكَ:** التوكل على الوظائف. **قَالَ ابن القيم** رَحِمَهُ اللهُ: فمَنْعُ الأسباب أن تكون أسبابًا قدحٌ فِي العقل والشرع، وإثباتُهَا والوقوفُ معَهَا وقطعُ النَّظَر عن مسبِّبِهَا قدحٌ فِي التوحيد، والتوكُّلُ والقيامُ بها وتنزيلُها منازلَهَا والنظر إلى مُسَبِّبِها وتعلُّق القيام به جمعٌ بين الأمر والتوحيد، وبين الشرع والقدر، وَهُوَ الكمال، والله أعلم. "طريق الهجرتين وباب السعادتين" (١/ ٢٥٩).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ [أي: كَافِيكَ اللهُ وَكَافِي مَنِ اتَّبَعَكَ] ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الأنفال:٦٤]، وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾[الطلاق:٣].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: (حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ): قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا لَهُ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾[آل عمران:١٧٣]. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالنَّسَائِيُّ(١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: أَنَّ التَّوَكُّلَ مِنَ الْفَرَائِضِ. **الثَّانِيَةُ:** أَنَّهُ مِنْ شُرُوطِ الْإِيمَانِ. **الثَّالِثَةُ:** تَفْسِيرُ آيَةِ الْأَنْفَالِ. **الرَّابِعَةُ:** تَفْسِيرُ الْآيَةِ فِي آخِرِهَا. **الْخَامِسَةُ:** تَفْسِيرُ آيَةِ الطَّلَاقِ. **السَّادِسَةُ:** عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ. **السَّابِعَةُ:** أَنَّهَا قَولُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ ﷺ فِي الشَّدَائِدِ.



(١) البخاري برقم: (٤٥٦٣) واللفظ له، والنَّسَائِيُّ برقم: (١٠٣٦٤).

٣٣- بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[١]

---

(١) ذكر المصنف رَحِمَهُ اللهُ هذه الْآيَةَ فِي الترجمة؛ للتنبيه على أنَّ الأمنَ من مكر الله من أعظم الذنوب، وأنَّه ينافي كمال التوحيد، **ومكر الله**: هو استدراجه وإملاؤه للعبد العاصي أو الكافر. **وقيلَ**: استدراجُ العبدِ بِالطَّاعاتِ المحدَثة. **قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: هذا الباب اشتمل على موضوعين: الأول:** الأمن من مكر الله. **الثاني**: القنوط من رحمة الله، وكلاهما طرفا نقيض، واستدلَّ المؤلف للأول بقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا﴾، الضمير يعود على أهل القرى؛ لأنَّ ما قبلها قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[الأعراف:٩٧-٩٩]، **فقوله**: ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾: يدل على كمال الأمن؛ لأنهم في بلادهم وأنَّ الخائف لا ينام، **وقوله**: ﴿ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: يدل أيضًا على كمال الأمن والرخاء وعدم الضيق؛ لأنَّه لو كان عندهم ضيق في العيش لذهبوا يطلبون الرزق والعيش، وما صاروا في الضحى-في رابعة النهار- يلعبون. والاستفهامات هنا كلها للإنكار والتعجب من حال هؤلاء؛ فهم نائمون، وفي رغد، ومقيمون على معاصي الله وعلى اللَّهْو، ذاكرون لتَرَفِهِم، غافلون عن ذكر خالقهم؛ فهم في الليل نوم، وفي النهار لعب، فبيَّن الله أن هذا من مكره بهم، ولهذا قال: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾، ثم ختم الآية بقوله: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾، فالذي يمُنُّ الله عليه بالنعم والرَّغَد والتَّرَف وهو مقيمٌ على معصيته يظن أنه رابح وهو في الحقيقة خاسر، فإذا أنعم الله عليك من كل ناحية: أطعمك من جوع، وآمنك من خوف، وكساك من عري، فلا تظن أنك رابح وأنت مقيم على معصية الله، بل أنت خاسر؛ لأنَّ هذا من مكر الله بك. **قوله**: ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾: الاستثناء للحصر، وذلك لأنَّ ما قبله مفرَّغ له، فـ(القوم): فاعل، و(الخاسرون): صفتهم. وفي قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ دليلٌ على أنَّ لله مكرًا، **والمكر**: هو التوصُّل إلى الإيقاع بالخصم من حيث لا يشعر، ومنه ما جاء في الحديث: «**الْحَرْبُ خِدْعَةٌ**». **فإن قيل**: كيف يوصف الله بالمكر مع أنَّ ظاهره أنَّه مذموم؟ **قيل**: إنَّ المكر في محلِّه محمود يدلُّ على قوة الماكر، وأنَّه غالب على خصمه، ولذلك لا يوصف الله به على الإطلاق، **فلا يجوز أن تقول: (إن الله ماكر)**، وإنما تذكر هذه الصفة في مقام تكون فيه مدحًا، ولا تنفى عنه هذه الصفة على سبيل الإطلاق، بل إنها في المقام التي تكون مدحًا يوصف بها، وفي المقام التي لا تكون مدحًا لا يوصف بها، وكذلك لا يسمَّى الله بها؛ **فلا يقال: إن من أسماء الله (الماكر)...إلى أن قال: والقنوط**: أشد اليأس؛ لأنَّ الإنسان يقنط ويبعد الرجاء والأمل، بحيث يستبعد حصول مطلوبه أو كشف مكروبه. "القول المفيد" (٢/ ١٠٠-١٠٣).

[الأعراف:٩٩]، وَقَولِهِ: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر:٥٦]، [أي: المُخْطِئُونَ].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ الْكَبَائِرِ؟ فَقَالَ: «الشِّرْكُ بِالله، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوحِ الله، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ الله»(١).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِالله، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ الله، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ الله، وَالْيَأْسِ مِنْ رَوحِ الله». رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ(٢).

فِيهِ مَسَائِل:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الْأَعْرَافِ. **الثَّانِيَةُ:** تَفْسِيرُ آيَةِ الحِجْرِ. **الثَّالِثَةُ:** شِدَّةُ الْوَعِيدِ فِيمَنْ أَمِنَ مَكْرَ الله. **الرَّابِعَةُ:** شِدَّةُ الْوَعِيدِ فِي الْقُنُوطِ.



---

(١) **صحيح**: صَحَّحَهُ الألباني فِي "صحيح الجامع" برقم: (٤٦٠٣) دون قوله: «وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ الله».

(٢) **صحيح**: أخرجه عبد الرزاق برقم: (١٩٧٠١)، وصحَّحه الهيثمي في "المجمع" (١/ ١٠٤)، والوادعي فِي تحقيقه عَلَى "تفسير ابن كثير" (٢/ ٣٣٢). قال الشيخ سليمان آل الشيخ رحمه الله: هذا الأثر رواه ابن جرير (٦/ ٦٤٨-٦٥٠) بأسانيد صحاح عن ابن مسعود رضي الله عنه. وقال ابن كثير رحمه الله في "تفسيره" (٢/ ٢٧٩): وهو صحيح إليه بلا شك. ورواه الطبراني في "الكبير" (٩/ ١٥٦-١٥٧).

٣٤- بَابٌ: مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الصَّبْرُ(١) عَلَى أَقْدَارِ اللهِ

(١) **الصبر:** هو حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي والتسخط، وحبس الجوارح عن التشويش. **قَالَ ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "مدارج السالكين" (٢/ ١٥٥): **الصبرُ ثلاثةُ أنواع:** صبرٌ على طاعة الله، وصبرٌ عن معصية الله، وصبرٌ على امتحان الله. **وقال العلامة صالح الفوزان** حَفِظَهُ ٱللَّهُ: **مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد:** أنَّ الصبر على أقدار الله من مكمِّلات التَّوحيد، وأنَّ عدم الصبر على أقدار الله يكون من منقِّصات التَّوحيد، وهذا الكتاب المبارك صنفه الشيخ في بيان التَّوحيد ومكمِّلاته وفي بيان منافياته ومنقِّصاته...**إلى أن قال: فالأول:** صبرٌ على طاعة الله: بأن يؤدي الإنسان ما أمر الله تعالى به وإن كان فيه مشقَّة عليه، وإن كانت نفسه تريد الراحة، فإنه يصبر، فيقوم للصلوات الخمس، ويقوم لصلاة الفجر ويترك النوم، ويقوم لصلاة الليل ويترك النوم، ويصوم ويترك الطعام والشراب، ويترك الأهل؛ طاعةً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويجاهد في سبيل الله ويصبر على الجراح وعلى الآلام وعلى ملاقاة الأعداء، ويصبر على طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنَّ الطاعة لابد فيها من تعب. **الثاني:** صبرٌ عن محارم الله، فيتجنَّب ما نهى الله تعالى عنه، والنفس تنازعه تريد الشهوات المحرَّمة، فهو يصبر على حبسها عنها وإمساكها عنها وإن كانت تنازعه وتدعوه، وكذلك شياطين الإنس والجن يدعونه ويرغِّبونه ويحسِّنون له القبيح، لكن يمسك نفسه ويحبسها عن محارم الله. **والثالث:** صبرٌ على أقدار الله المؤلِمة، فإن أصابه مرض أو أصابته مصيبة في ماله أو ولده أو في قريبه فإنه يصبر ولا يجزع، هذا من الإيمان بالله، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٦]، يعرفون أن هذا من الله، وأنه بقضاء الله وقدره؛ فلا يجزعون ولا يتسخَّطون. أمَّا أقدار الله غير المؤلمة التي تلائم النفس فهذه لا تحتاج إلى صبر؛ لأن النفس تميل إليها، **وهذا النوع الأخير -الصبر على أقدار الله المؤلمة- ذكروا أنَّه ثلاثة أنواع أيضًا: النوع الأول:** حبس النفس عن الجزع. **والنوع الثاني:** حبس اللسان عن التشكِّي لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. **والنوع الثالث:** حبس الجوارح عن لطم الخدود وشقِّ الجيوب. اهـ بتصرف. **وقال السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **أما الصبر على طاعة الله والصبر عن معصيته:** فهو ظاهر لكل أحد أنهما من الإيمان، بل هما أساسه وفرعُهُ؛ فإنَّ الإيمان كله صبرٌ على ما يحبه الله ويرضاه ويقرب إليه، وصبرٌ عن محارم الله؛ **فإنَّ الدين يدور على ثلاثة أصول:** تصديق خبر الله ورسوله، وامتثال أمر الله ورسوله، واجتناب نهيهما، فالصبر على أقدار الله المؤلمة داخل في هذا العموم، ولكن خُصَّ بالذكر؛ لشدة الحاجة إلى معرفته والعمل به؛ فإنَّ العبد متى علم أن المصيبة بإذن الله، وأن لله أَتَمَّ الحكمة في تقديرها، وله النعمة السابغة في تقديرها على العبد رضي بقضاء الله، وسلَّم لأمره وصبر على المكاره؛ تقربًا إلى الله، ورجاءً لثوابه، وخوفًا من عقابه، واغتنامًا لأفضل الأخلاق؛ فاطمأن قلبه وقوي إيمانه وتوحيده.

وَقول الله تَعَالَى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[التغابن:١١]، قَالَ عَلْقَمَةُ[١]: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ المُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ الله، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ[٢].

وَفِي "صَحِيح مُسْلِم" عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ»[٣].

وَلَهُمَا[٤] عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ[٥]، وَشَقَّ الجُيُوبَ[٦]، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ[٧]».

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ[٨] حَتَّى يُوَافِي[٩] بِهِ يَومَ الْقِيَامَةِ»[١٠].

---

(١) فَقِيْهُ الكُوْفَةِ، وَعَالِمُهَا، وَمُقْرِئُهَا، الإِمَامُ، الحَافِظُ، المُجَوِّدُ، المُجْتَهِدُ الكَبِيْرُ، أَبُو شِبْلٍ عَلْقَمَةُ بنُ قَيْسِ بنِ عَبْدِ الله بنِ مَالِكِ بنِ عَلْقَمَةَ بنِ سَلاَمَانَ. وُلِدَ: فِي أَيَّامِ الرِّسَالَة المُحَمَّدِيَّة، وَعِدَادُهُ فِي المُخَضْرَمِيْنَ، وَهَاجَرَ فِي طَلَبِ العِلْمِ وَالجِهَادِ، وَنَزَلَ الكُوْفَةَ، وَلاَزَمَ ابْنَ مَسْعُوْدٍ حَتَّى رَأَسَ فِي العِلْمِ وَالعَمَلِ، وَتَفَقَّهَ بِهِ العُلَمَاءُ، وَبَعُدَ صِيتُهُ. توفي رحمه الله سَنَةَ: إِحْدَى وَسِتِّيْنَ. "سير أعلام النبلاء" (٤/ ٥٣).

(٢) **صحيح:** أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (٢/ ٢٩٥)، وابن جرير (٢٣/ ١٢-١٣) بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.
قال الشيخ سليمان آل الشيخ رحمه الله: هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن علقمة وهو صحيح.

(٣) رَوَاهُ مسلم برقم: (٦٧).

(٤) البخاري برقم: (١٢٩٨)، ومسلم برقم: (١٠٣).

(٥) **الخدود:** هي طَرَفَا الوجه، وقد يطلق على عموم الوجه.

(٦) **الجيوب:** هي الموضع الَّذِي يدخل فيه الرأس من الملابس.

(٧) ويشمل ذَلِكَ العصبيَّة ونحوها.

(٨) أي: بسبب ذنبه.

(٩) أي: يجازيه. **قال ابن القيم** رحمه الله: قالت العُقَلاء قاطبةً على أنَّ النعيم لا يُدرَك بالنعيم، وأنَّ الراحةَ لا تُنَال بالراحة، وأنَّ مَن آثرَ اللَّذَّات فاتَتْهُ اللَّذَّات. "شفاء العليل" (٢٥٠).

(١٠) **صحيح:** صَحَّحَهُ الألباني فِي "صحيح الجامع" برقم: (٣٠٨).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَومًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا[١]، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ[٢]». حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ[٣].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ التَّغَابُنِ. **الثَّانِيَةُ**: أَنَّ هَذَا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ. **الثَّالِثَةُ**: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ. **الرَّابِعَةُ**: شِدَّةُ الْوَعِيدِ فِيمَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ. **الخَامِسَةُ**: عَلَامَةُ إِرَادَةِ اللهِ بِعَبْدِهِ الخَيرَ. **السَّادِسَةُ**: عَلَامَةُ إِرَادَةِ اللهِ بِهِ الشَّرَّ[٤]. **السَّابِعَةُ**: عَلَامَةُ حُبِّ اللهِ لِلْعَبْدِ. **الثَّامِنَةُ**: تَحْرِيمُ السُّخْطِ. **التَّاسِعَةُ**: ثَوَابُ الرِّضَا بِالْبَلَاءِ.



---

(١) **الرضا**: هو أنْ يُسلِّم العبدُ أمره إلى الله، ويحسن الظنَّ به، ويرغب في ثوابه.

(٢) **السخط**: نقيضُ الرِّضا.

(٣) **حسن**: حَسَّنَهُ الألباني في "صحيح وضعيف سنن التِّرْمِذِيُّ" برقم: (٢٣٩٦)، عن أنس رضي الله عنه.

(٤) وهي تأخير عقوبة العاصي إلى الآخرة، وهي أشد ما تكون على العبد، قال الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۞ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[المؤمنون: ٩٩-١٠٠]، وقال: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[فصلت:٤٠]، وقال عزَّ من قائل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[الأنعام:٩٣]، وقال النبي ﷺ في الأعرابي الذي لم يُبتَلَ بشيء من هذه البليَّات في الدنيا -كما في "الأدب المفرد" للإمام البخاري، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه العلَّامة الألباني رحمه الله-: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا**»، وهكذا ما جاء في "الصحيحين" من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعًا، وفيه: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُم الدُّنْيَا وَتَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ**».

٣٥- بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ[(١)]

وَقَولِ الله تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ[(٢)] إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[الكهف: ١١٠].

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(٣)].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَالِ؟»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «الشِّرْكُ الخَفِيُّ[(٤)]: يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ؛ لِـمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ». رَوَاهُ أَحْمَدُ[(٥)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الْكَهْفِ. **الثَّانِيَةُ**: هَذَا الْأَمْرُ الْعَظِيمِ فِي ردِّ الْعَمَلِ الصَّالِحِ

---

(١) **الرياء**: ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه. **وقيل**: إظهار العبادة؛ لقصد رؤية الناس لها، فيحمدون صاحبها. **والفرق بينه وبين السُّمعة**: أن الرياء لما يُرى من العمل، كالصلاة، والسمعة لما يسمع، كالقراءة، والوعظ، والذِّكر، ويدخل في ذلك التحدُّث بما عمله.

(٢) **الوحي**: هو ما أمر الله به إيجابًا وسَلبًا. وفي "لسان العرب": ما يوحيه الله إلى أنبيائه.

(٣) رَوَاهُ مسلم برقم: (٢٩٨٥).

(٤) **الشِّرْك الخفي**: هو الَّذِي يكون فيها لا يظهر، وهو من الشِّرْك الْأَصْغَر، وهو: كل وسيلة وذريعة يُتطرَّق منها إلى الشرك الأكبر، وجاءت النصوص بتسميته: (شِرْكًا).

مَسأَلَةٌ: حُكْمُ الْعَمَلِ الَّذِي فِيهِ رِيَاءٌ: أَبَاطِلٌ أَمْ غَيْرُ بَاطِلٍ؟

الجواب: إذا كَانَ أصل العمل للمراءاة فالعمل باطل، وإن طرأ الرياء أثناء العمل، ثُمَّ دُفِعَ فلا شيء عليه مما استرسل.

(٥) **حسن**: رَوَاهُ ابن ماجة برقم: (٤٢٠٤)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وأَحْمَدُ برقم: (٢٣٦٣١)، عن محمود بن لبيد رضي الله عنه، وحَسَّنهُ الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" برقم: (٣٠) و"صحيح ابن ماجة" (٣/ ٣٧١).

إِذَا دَخَلَهُ شَيْءٌ لِغَيرِ اللهِ. **الثَّالِثَةُ:** ذِكْرُ السَّبَبِ الْمُوجِبِ لِذَلِكَ، وَهُوَ كَمَالُ الْغِنَى. **الرَّابِعَةُ:** أَنَّ مِنَ الْأَسْبَابِ: أَنَّهُ تَعَالَى خَيرُ الشُّرَكَاءِ. **الخَامِسَةُ:** خَوفُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ[(١)] مِنَ الرِّيَاءِ. **السَّادِسَةُ:** أَنَّهُ فَسَّرَ ذَلِكَ بِـ: أَنْ يُصَلِّيَ الْمَرْءُ للهِ، وَلَكِنْ يُزَيِّنُهَا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيهِ.



(١) وهذا الخوف على الأمة أجمع؛ لقوله عليه الصلاة والسلام -كما في "صحيح الترغيب والترهيب"، من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه مرفوعًا، وفيه: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ: الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**»، قالوا: وما الشرك الأصغرُ يا رسول الله؟ قال: «**الرِّيَاءُ**»...الحديث.

٣٦ - بَابٌ: مِنَ الشِّرْكِ: إِرادَةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِه الدُّنْيَا[(١)]

وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [أي: لَا يُظْلَمُونَ] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ﴾ [أي: ذَهَبَ وَاضْمَحَلَّ] ﴿مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[هود:١٥-١٦].

وَفِي "الصَّحِيحِ" عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**تَعِسَ**[(٢)] **عَبْدُ الدِّينَارِ**[(٣)]**، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ**[(٤)]**، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ**[(٥)]**، تَعِسَ عَبْدُ**

---

(١) ترجمة المصنف لهذا الباب بعد الباب الذي قبله دالة على أن العمل لأجل الدنيا شرك ينافي كمال التوحيد الواجب، ويحبط الأعمال، وهو أعظم من الرياء؛ لأنَّ مريد الدنيا قد تغلب إرادته تلك على كثير من عمله، وأمَّا الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمل ولا يسترسل معه، والمؤمن يكون حَذِرًا من هذا وهذا. اهـ "فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد" (٦٢٥) ط: (دار العاصمة). **قال العلامة السعدي** رحمه الله: اعلم أن الإخلاص لله أساس الدين، وروح التوحيد والعبادة، وهو: أن يقصد العبد بعمله كله وجهَ الله وثوابَه وفضلَه، فيقوم بأصول الإيمان الستة وشرائع الإسلام الخمس، وحقائق الإيمان التي هي الإحسان، وبحقوق الله وحقوق عباده مكملًا لها قاصدًا بها وجهَ الله والدار الآخرة، لا يريد بذلك رياءً ولا سُمعةً ولا رِيَاسَةً ولا دنيا، وبذلك يتم إيمانه وتوحيده، **ومن أعظم ما ينافي هذا**: مراءاة الناس والعمل لأجل مدحهم وتعظيمهم، أو العمل لأجل الدنيا، فهذا يقدح في الإخلاص والتوحيد...إلى أن قال: والرياء آفة عظيمة، ويحتاج إلى علاج شديد، وتمرين النفس على الإخلاص، ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء والأغراض الضارة، والاستعانة بالله على دفعها، لعلَّ الله يخلص إيمان العبد ويحقق توحيده. **وأما العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها**: فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا المقصد، ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة، فهذا ليس له في الآخرة من نصيب. "القول السديد" (١٢٩-١٣٠).

(٢) بفتح العين وكسرها، أي: سقط وهلك.

(٣) وهو قطعةٌ من الذهب كما هو معروف، سواء كَانَ مضروبًا أم غير مضروب.

(٤) وهو قطعة من الفضة.

(٥) وهي ثوب من خَزٍّ أو صُوفٍ.

الخَمِيلَةِ(١)، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ(٢)، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ(٣)، طُوبَى(٤) لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ(٥) فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ(٦)، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»(٧).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ. **الثَّانِيَةُ**: تَفْسِيرُ آيَةِ هُودٍ. **الثَّالِثَةُ**: تَسْمِيَةُ الْإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ: (عَبْدَ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالخَمِيصَةِ، وَالخَمِيلَةِ). **الرَّابِعَةُ**: تَفْسِيرُ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ. **الخَامِسَةُ**: قَولُهُ: «تَعِسَ وَانْتَكَسَ». **السَّادِسَةُ**: قَولُهُ: «تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ». **السَّابِعَةُ**: الثَّنَاءُ عَلَى الْمُجَاهِدِ الْمَوصُوفِ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ.



---

(١) أي: الثياب الَّتي لَهَا خَمْل، يعني: ذات أهداب.

(٢) **قوله**: «تَعِسَ وَانْتَكَسَ»: **قَالَ الحافظ** رَحِمَهُ اللهُ: هو بالمهملة، أي: عاوده المرض. **وقال أبو السعادات**: أي: انقلب عَلَى رأسه، وَهُوَ دعاءٌ عليه بالخيبة. **وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة** رَحِمَهُ اللهُ: فَسَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ: (عَبْدَ الدِّرْهَمِ)، و(عَبْدَ الدِّينَارِ)، و(عَبْدَ الْقَطِيفَةِ)، و(عَبْدَ الْخَمِيصَةِ)، وذكر مَا فِيهِ دُعَاءٌ وَخَبَرٌ، وَهُوَ قَوْلُهُ: «تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ». "مجموع الفتاوى" (١٠/ ١٨٠).

(٣) «وَإِذَا شِيكَ»: أي: أصابته شوكة. «فَلَا انْتَقَشَ»: أي: فلا يقدر على إخراجها بالمنقاش. قاله أبو السعادات. انظر: "فتح المجيد" (٦٣١) ط: (دار العاصمة).

(٤) على وزن (فُعْلَى)، من الطِّيب. **وقيل**: شجرةٌ في الجنَّة.

(٥) أي: بلجام فرسِهِ.

(٦) **الساقة**: الجيش.

(٧) رواه البخاري برقم: (٢٨٨٧)، بلفظ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ».

٣٧- بَابٌ: مَنْ[١] أَطَاعَ الْعُلَمَاءَ[٢] وَالأُمَرَاءَ[٣] فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللهُ؛ فَقَدِ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا[٤] مِنْ دُونِ اللهِ[٥]

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: يُوشِكُ[٦] أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟![٧]

---

(١) (مَنْ) هنا تحتمل الشرطية، أو الموصولية.

(٢) أي: علماء الشريعة الإسلامية.

(٣) أي: أولي الأمر.

(٤) أي: شُرَكَاء.

(٥) قال العلامة السعدي رحمه الله: ووجه ما ذكره المصنف ظاهر؛ فإنَّ الرَّبَّ والإله هو الذي له الحكم القدري، والحكم الشرعي، والحكم الجزائي، وهو الذي يُؤلَهُ ويُعبَد وحده لا شريك له، ويطاع طاعةً مُطْلَقَةً؛ فلا يعصى، بحيث تكون الطاعات كلها تبعًا لطاعته، فإذا اتخذ العبدُ العلماءَ والأمراءَ على هذا الوجه، وجعل طاعتَهم هي الأصل، وطاعةَ الله ورسولِهِ تبعًا لها فقد اتخذهم أربابًا من دون الله يَتَأَلَّهُهُمْ ويُحاكِم إليهم، ويُقَدِّم حكمَهم على حكمِ الله ورسولِهِ، فهذا هو الكفر بعَيْنِهِ؛ فإنَّ الحكم كلَّه لله، كما أنَّ العبادة كلَّها لله. **والواجب على كل أحد**: أن لا يتخذ غيرَ الله حَكَمًا، وأن يرد ما تنازع فيه الناس إلى الله ورسوله، وبذلك يكون دين العبد كلُّه لله، وتوحيده خالصًا لوجه الله. وكل من حاكم إلى غير حكم الله ورسوله فقد حاكم إلى الطاغوت، وإن زعم أنه مؤمن فهو كاذب، فالإيمان لا يصح ولا يَتِمُّ إلَّا بتحكيم الله ورسوله في أصول الدين وفروعِهِ، وفي كُلِّ الحقوق كما ذكره المصنف في الباب الآخر، فمن حاكم إلى غير الله ورسوله فقد اتخذ ذلك ربًّا، وقد حاكم إلى الطاغوت.

فائدة: **طاعة الأمراء على ثلاثة أقسام**: **الأول**: أن يتابعهم فِي ذلك راضيًا بقولهم، مُقَدِّمًا لَهُ، ساخطًا لحكم الله، **فهَذَا كفر أكبر**. **الثاني**: أن يتابعهم فِي ذَلِكَ راضيًا بحكم الله وعالمًا بأنه أفضلُ وأصلحُ للعباد والبلاد، ولكن لهونٍ فِي نفسه، **فهذا فِسقٌ وكفرٌ دون كفر**. **الثالث**: أن يتابعهم فِي ذَلِكَ جاهلًا، ويظنُّ أنَّ حكم الله موافقٌ لذلك، فهذا وإن كان الواجب عليه أن يَسأَلَ **لكن يُرجَى له أن لا شيء عليه**.

(٦) أي: يقرب ويدنو.

(٧) الأثر بهذا اللفظ ذكره شيخ الإسلام رحمه الله في "مجموع الفتاوى" (٢٦/ ٢٨١)، فالذي يظهر أنَّ شيخ الإسلام -كما هو معلوم- كتبه من حفظه، فذكره بالمعنى، ونقل عنه الإمام محمد بن عبد=

وَقَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلَ: عَجِبْتُ لِقَومٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ، وَيَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور:٦٣]، أَتَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ؟ الْفِتْنَةُ: الشِّرْكُ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَولِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيغِ؛ فَيَهْلِكَ[(١)].

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ[(٢)] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[التوبة:٣١]، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ. قَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ؟»، فَقُلْتُ: بَلَى. قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ». رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ[(٣)].

= الوهاب رَحِمَهُ اللهُ دون الرجوع إلى المصدر، لكن صحَّ في كتاب "الفقيه والمتفقه" (١/ ٣٧٧) للخطيب، من طريق حمَّاد بن زيد، عن أيوب، عن أبي مليكة، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بلفظ: (هَذَا الَّذِي أَهْلَكَكُمْ، واللهِ مَا أُرَى إِلَّا سَيُعَذِّبُكُمْ؛ إِنِّي أُحَدِّثُكُمْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَجِيئُونِي بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ)، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم" برقم: (٢٣٧٨)، بلفظ: (أَرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ؛ أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَيَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَر)، إلا أن فيه شريكًا، وهو سيِّء الحفظ، لكن يصلح للاستشهاد.

(١) قال الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: رواه عنه الفضل بن زياد وأبو طالب. قال الفضل، عن أحمد: نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول ﷺ في ثلاث وثلاثين موضعًا، ثم جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الآية، فذكر من قوله: (الفتنة الشرك)، إلى قوله: (فيهلك)، ثم جعل يتلو هذه الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[النساء:٦٥]. انظر: "فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد" (٦٤٦) ط: (دار العاصمة).

(٢) هو: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمِ بنِ عَبْدِ الله بنِ سَعْدِ بْنِ الحَشْرَجِ بنِ امْرِئِ القَيْسِ بنِ عَدِيٍّ، الأَمِيْرُ، الشَّرِيْفُ، أَبُو وَهْبٍ، وَأَبُو طَرِيْفٍ الطَّائِيُّ، وَلَدُ حَاتِمِ الَّذِي يُضْرَبُ بِجُوْدِهِ المَثَلُ. مَاتَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَنَةَ: سَبْعٍ وَسِتِّيْنَ.

(٣) **صحيح**: رَوَاهُ أَحْمَدُ، والتِّرْمِذِيُّ واللفظ لَهُ، وَصَحَّحَهُ الألباني فِي "الصحيحة" برقم: (٣٢٩٣).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النُّورِ. **الثَّانِيَةُ:** تَفْسِيرُ آيَةِ بَرَاءَةَ. **الثَّالِثَةُ:** التَّنْبِيهُ عَلَى مَعْنَى الْعِبَادَةِ الَّتِي أَنْكَرَهَا عَدِي. **الرَّابِعَةُ:** تَمْثِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهم، وَتَمْثِيلُ أَحْمَدَ بِسُفْيَانَ. **الْخَامِسَةُ:** تَغَيُّرُ الْأَحْوَالِ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ، حَتَّى صَارَ عِنْدَ الْأَكْثَرِ عِبَادَةُ الرُّهْبَانِ هِيَ أَفْضَل الْأَعْمَالِ، وَتُسَمَّى: (الْوَلَايَةَ)، وَعِبَادَةُ الْأَحْبَارِ هِيَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ، ثُمَّ تَغَيَّرَتِ الْحَالُ إِلَى أَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَيْسَ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَعُبِدَ بِالْمَعْنَى الثَّانِي مَنْ هُوَ مِنَ الْجَاهِلِينَ.



٣٨- بَابُ قَولِ اللهِ تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [أي: يَدَّعُونَ] ﴿أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [أي: يُعْرِضُونَ عَنكَ إِعْرَاضًا] ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا﴾ [فِي المَنْهَجِ وَالمَسْلَكِ] ﴿وَتَوْفِيقًا﴾[النساء:٦٠-٦٢]، وَقَولِهِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[البقرة:١١]، وَقَولِهِ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا(١) وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ(٢) مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٣)[الأعراف:٥٦]، وَقَولِهِ: ﴿أَفَحُكْمَ(٤) ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[المائدة:٥٠].

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِـمَا جِئْتُ بِهِ». قَالَ النَّوَوِيُّ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رُوِّينَاهُ فِي

---

(١) أي: حال كونكم خائفين.

(٢) (قريب): على وزن (فَعِيل) بمعنى: (مَفْعُول)، ويستوي فيه المذكر والمؤنث، تقول: (رَجُلٌ جَرِيحٌ)، و(امْرَأَةٌ جَرِيحٌ) بترك التاء.

(٣) قال أبو بكر بن عياش رَحِمَهُ اللهُ في تفسير هذه الآية -كما في "تيسير العزيز الحميد" (١/ ٤٩٠)-: إنَّ الله بعث محمدًا ﷺ إلى أهل الأرض وهم في فساد، فأصلحهم الله بمحمد ﷺ، فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمد ﷺ فهو من المفسدين في الأرض.

(٤) الهمزة هنا: للاستفهام التوبيخي الإنكاري.

كِتَابِ "الحُجَّةِ" بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ[(١)].

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ[(٢)]: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِأَنَّهُ عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ[(٣)] وَلَا يَمِيلُ فِي الحُكْمِ، وَقَالَ الْمُنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَى الْيَهُودِ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ وَيَمِيلُونَ فِي الحُكْمِ، فَاتَّفَقَا عَلَى أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَينَةَ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ الْآيَةَ[(٤)].

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلَينِ اخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ الْآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ[(٥)]، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ، فَذَكَرَ لَهُ

---

(١) **ضعيف**: ضعفه الألباني في "مشكاة المصابيح" (٢٨/ ١٦٧)؛ لوجود نعيم بن حماد الخزاعي فيه، كان رَحِمَهُ اللَّهُ إمامًا علمًا سنيًّا، إلَّا أنَّه ضُعِّفَ بكثرة أخطائه.

(٢) وهو: عامر بن شراحيل بن عبدالله، أبو عمرو الكوفي الهمداني، **كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ**: نسيت من العلم ما لو جمعه أحدٌ من الناس لصار عالمًا. مَاتَ سَنَةَ: أَرْبَعٍ وَمائَةٍ، وَقَدْ بَلَغَ ثنتين وثمانين سنة.

(٣) وهي: المال الَّذِي يُخَرَّج لإحقاق باطل وإبطال حق. **ولها ثلاث لغات**: فتحُ الراء، وكسرُهُ، وضمُّه.

(٤) **ضعيف**: الحديث بتمامه رَوَاهُ ابن جرير الطبري برقم: (٩٠١٩١)، وَهُوَ مرسل، والمرسل من قسم الضعيف، لكن لبعض ألفاظه شواهد عند الطبراني كما في "تفسير ابن كثير" (١/ ٥١٩)، وَصَحَّحَهُ العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "الصحيح المسند من أسباب النزول" (٧٩) ط: (دار الآثار).

(٥) **كعب بن الأشرف**: زعيمٌ من زعماء اليهود، وهو عَرَبِيٌّ من قبيلة طيِّئ، ولكن كان أخوالُه من اليهود من بني النَّضير، فتهَوَّد، وكان من أَلَدِّ خُصُوم رسول الله ﷺ، وهو الذي ذهب إلى أهل مكَّة بعد غزوة بدر يَرثِي قَتْلَى المشركين، ويُحَرِّض أهلَ مكَّة على غزو رسول الله ﷺ، وهو الذي أنزل اللهُ تعالى فيه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾[النساء:٥١]، ثم رجع إلى المدينة وجعل يُنشِد الأشعار في ذَمِّ رسول الله ﷺ، ويُحرِّض الناس عليه، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ لِي بِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ؛ فَقَدْ آذَى اللهَ وَرَسُولَهُ؟**»، فانتدب محمد بن مَسْلَمَة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واستأذن رسول الله ﷺ في قتله، فخرج هو ورجالٌ معه إلى كعب بن الأشرَف باللَّيل، فدعوه فنزل إليهم، فقتلوه وأراحوا المسلمين من شرِّه؛ =

أَحَدُهُمَا الْقِصَّةَ، فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيفِ فَقَتَلَهُ.(١)

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْإِعَانَةِ عَلَى مَعْرِفَةِ فَهْمِ الطَّاغُوتِ.
الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الْآيَةَ. **الثَّالِثَةُ**: تَفْسِيرُ آيَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾. **الرَّابِعَةُ**: تَفْسِيرُ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾. **الْخَامِسَةُ**: مَا قَالَهُ الشَّعْبِيُّ فِي سَبَبِ نُزُولِ الْآيَةِ الْأُولَى. **السَّادِسَةُ**: تَفْسِيرُ الْإِيمَانِ الصَّادِقِ وَالْكَاذِبِ. **السَّابِعَةُ**: قِصَّةُ عُمَرَ مَعَ الْمُنَافِقِ. **الثَّامِنَةُ**: كَوْنُ الْإِيمَانِ لَا يَحْصُلُ لِأَحَدٍ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.



= لأنَّه لَـمَّا خان الله ورسوله وصار يؤذي رسول الله ﷺ انتقض عهدُه، فأهدر النَّبيُّ ﷺ دمَهُ، وأمر هؤلاء بقتله. "إعانة المستفيد" (٢/ ١٣٣-١٣٤).

(١) **موضوع**: القصة بتمامها أوردها ابن جرير في "تفسيره" عن قتادة بإسناد منقطع.

٣٩ - بَابُ مَنْ جحدَ(١) شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ(٢)

(١) أي: أنكر وكذَّب.

(٢)قال الشيخ سليمان آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: أي: من أسماء الله وصفاته، والمراد: ما حُكْمُهُ: هل هو ناجٍ أو هالك؟ ولَمَّا كان تحقيق التوحيد -بل التوحيد- لا يحصل إلَّا بالإيمان بالله والإيمان بأسمائه وصفاته نبَّه المصنفُ على وجوب الإيمان بذلك. وأيضًا: فالتوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد العبادة، والأولان وسيلة إلى الثالث، فهو الغاية والحكمة المقصود بالخلق والأمر، وكلها متلازمة، فناسب التنبيه على الإيمان بتوحيد الصفات.

وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: الجحد: الإنكار. والإنكار نوعان: الأول: إنكار تكذيب، وهذا كفرٌ بلا شك، فلو أنَّ أحدًا أنكر اسمًا من أسماء الله أو صفةً من صفاته الثابتة في الكتاب والسنة، مثل أن يقول: (ليس لله يد)، أو (أنَّ الله لم يستوِ على عرشه)، أو (ليس له عين)، فهو كافر بإجماع المسلمين؛ لأنَّ تكذيب خبر الله ورسوله كفرٌ مخرج عن الملة بالإجماع. الثاني: إنكار تأويل، وهو أن لا ينكرها، ولكن يتأوَّلها إلى معنًى يخالف ظاهرها، وهذا نوعان: ١- أن يكون للتأويل مسوغ في اللغة العربية، فهذا لا يوجب الكفر. ٢- أن لا يكون له مسوغ في اللغة العربية؛ فهذا حكمه الكفر؛ لأنه إذا لم يكن له مسوغ صار في الحقيقة تكذيبًا، مثل أن يقول: المراد بقوله تعالى: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾[القمر:١٤]: تجري بأراضينا، فهذا كافر؛ لأنَّه نفاها نفيًا مُطلَقًا، فهو مُكذِّب.

وقال العلامة صالح الفوزان حَفِظَهُ اللهُ: ومناسبة الباب: أنَّه لما كان التوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الرُّبوبية، وتوحيد الأُلوهيَّة، وتوحيد الأسماء والصِّفات، وكان غالبُ هذا الكتاب في النَّوع الثَّاني، وهو توحيد العبادة؛ لأنَّ فيه الخُصومةَ بين الرُّسل والأُمم، وهو الذي كَثُر ذكره في القرآن الكريم وتقريرُه والدَّعوة إليه، فهو الأساس، وهو معنى شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وهو الذي خلق الله الخلْق من أجله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]. وأمَّا النَّوع الأوَّل -وهو توحيد الرُّبوبيَّة- فهذا أكثرُ الأُمم مقرَّةٌ به، خصوصًا الذين كانوا في وقت نُزولِ القرآن من كُفَّار قريش، وكُفَّار العرب كانوا مقرِّين بتوحيد الرُّبوبيَّة، فهم يعتقدون أنَّ الله هو الخالق الرَّازق المحيي المميت المدبِّر، يعترفون بذلك، كما جاءت آياتٌ في القرآن الكريم تبيِّن ذلك...هذا شيءٌ متقرِّر، ولكنَّه لا يُدخِلُ في الإسلام، فمن أقرَّ به واقتصر عليه ولم يُقِرَّ بالنوع الثَّاني -وهو توحيد العبادة- ويأت به فإنه لا يكون مسلمًا ولو أقرَّ بتوحيد الرُّبوبيَّة. أمَّا النوع الثَّالث -وهو توحيد الأسماء والصِّفات-: فهو في الحقيقة داخل في توحيد الربوبية، ومن أجل هذا بعض العلماء يُجمِل ويجعل التوحيد نوعين: توحيدٌ في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الرُّبوبية والأسماء والصِّفات، وهو التوحيد العلمي، وتوحيد في الطَّلب والقصد، وهو التوحيد الطَّلَبي العملي، وهو توحيد الأُلوهيَّة. اهـ بتصرف "إعانة المستفيد" (٢/ ١٣٩).

وَقولِ الله تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[الرعد:٣٠].

وَفِي "صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ"، قَالَ عليٌّ رضي الله عنه: حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؟![١]

وَرَوَى عَبْدُ الـرَّزَّاقِ، عَـنْ مَعْمَرٍ، عَـنْ ابْنِ طَاوُسٍ، عَـنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا انْتَفَضَ[٢] لَـمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصِّفَاتِ؛ اسْتِنْكَارًا لِذَلِكَ، فَقَالَ: مَا فَرَقُ[٣] هَؤُلَاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً[٤] عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ[٥]. انْتَهَى[٦].

وَلَـمَّا سَمِعَتْ قُرِيشٌ رَسُولَ الله ﷺ يَذْكُرُ (الرَّحْمَنَ) أَنْكَرُوا ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾[الرعد:٣٠].[٧]

---

(١) رَوَاهُ البخاري برقم: (١٢٧) بلفظ: «أَتُحِبُّونَ» بدلًا عن: «أتريدون».

(٢) أي: اهتزَّ جسده.

(٣) أي: خوَّف. **ولها ثلاث لغات:** ١- (فَرَقُ)، بفتحِ الرَّاء، وضمِّ القاف. ٢- (فَرَّق)، بفتح الراء مشددة، وفتح القاف. ٣- (فَرَقَ)، بفتح الراء مخفَّفة، وفتح القاف.

(٤) أي: لينة.

(٥) **قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللهُ في "تفسيره" (٢/ ٦): يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ فِي الْقُرْآنِ آيَاتٍ مُحْكَمَاتٍ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ، أَيْ: بَيِّنَات وَاضِحَات الدَّلَالَةِ، لَا الْتِبَاسَ فِيهَا عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، وَمِنْهُ آيَاتٌ أُخَرُ فِيهَا اشْتِبَاهٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ بَعْضِهِمْ، فَمَنْ رَدَّ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى الْوَاضِحِ مِنْهُ، وَحَكَّمَ مُحْكَمَهُ عَلَى مُتَشَابِهِهِ عِنْدَهُ فَقَدِ اهْتَدَى، وَمَنْ عَكَسَ انْعَكَس.

(٦) **صحيح:** أخرجه عبد الرزاق: (٢٠٨٩٥)، وابن أبي عاصم في "السنَّة": (٤٨٥) بسند صحيح، وأورده العلَّامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "ظلال الجَنَّة" (١٩٧)، و"موسوعة الألباني في العقيدة" (٦/ ٨٨).

(٧) **ضعيف:** أورده الطبري في "تفسيره" برقم: (٢٠٣٩٧) من طريق بشر، عن سعيد، عن قتادة مرسلًا، ومع ذَلِكَ في سنده انقطاع، فالحديث ضعيف، لكن إنكار قريش لاسم الله (الرحمن) معروفٌ كما في صلح الحديبية.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: عَدَمُ الْإِيمَانِ بِجَحْدِ شَيْءٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ. **الثَّانِيَةُ**: تَفْسِيرُ آيَةِ الرَّعْدِ. **الثَّالِثَةُ**: تَرْكُ التَّحْدِيثِ بِمَا لَا يَفْهَمُ السَّامِعُ. **الرَّابِعَةُ**: **ذِكْرُ الْعِلَّةِ**: أَنَّهُ يُفْضِي إِلَى تَكْذِيبِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَلَو لَمْ يَتَعَمَّدِ الْمُنْكِرُ. **الْخَامِسَةُ**: كَلَامُ ابْنِ عَبَّاسٍ لِمَنِ اسْتَنْكَرَ شَيئًا مِنْ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ أَهْلَكَهُ.



٤٠- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:[(١)]

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[(٢)][النحل:٨٣]. قَالَ مُجَاهِدٌ -مَا مَعْنَاهُ-: هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ: هَذَا مَالِي، وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي.[(٣)] وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ[(٤)]: يَقُولُونَ: لَوْلَا فُلَانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا وَكَذَا.[(٥)] وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ[(٦)]: يَقُولُونَ: هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا.[(٧)]

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ -بَعْدَ حَدِيثِ زَيدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيهِ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ...»[(٨)] الحَدِيث، وَقَدْ تَقَدَّمَ-: وَهَذَا كَثِيرٌ فِي

---

(١) قال الشيخ سليمان آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: المراد بهذه الترجمة: التأدُّب مع جناب الربوبية عن الألفاظ الشِّركية الخفية، كنسبة النعم إلى غير الله؛ فإنَّ ذلك بابٌ من أبواب الشرك الخفي. وقال العلامة الفوزان حَفِظَهُ اللهُ: هذا الباب ذكره الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بعد باب (مَن جحد شيئًا من الأسماء والصِّفات)؛ لأنَّه مِن جنسه، فيه تنقُّصٌ للرُّبوبيَّة، فالذي يجحد الأسماء والصِّفات قد تنقَّص الربوبيَّة، وكذلك الذي يُضيفُ النِّعمَ إلى غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد تنقَّص الرُّبوبيَّة. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: وَلِهَذَا قَرَنَ الشُّكْرَ بِالتَّوْحِيدِ فِي الْفَاتِحَةِ وَغَيْرِهَا: أَوَّلُهَا شُكْرٌ، وَأَوْسَطُهَا تَوْحِيدٌ، وَفِي الْخُطَبِ الْمَشْرُوعَةِ لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ تَحْمِيدٍ وَتَوْحِيدٍ، وَهَذَانِ هُمَا رُكْنٌ فِي كُلِّ خِطَابٍ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَذْكُرُ الْمُتَكَلِّمُ مِنْ مَقْصُودِهِ مَا يُنَاسِبُ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ، وغَيْرِ ذَلِكَ.

(٢) هَذَا من باب إطلاق الأكثر وإرادة الكل.

(٣) **ضعيف**: أورده ابن جرير الطبري فِي "تفسيره" (١٧/ ٢٧٣) (٨٣)، وفي إسناده ليث بن أبي سليم، ضعيف؛ لاختلاطه.

(٤) هو: عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أخو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود.

(٥) **صحيح**: أورده البغوي في "تفسيره" (٥/ ٣٦)، وابن جرير في "تفسيره" (١٤/ ٣٢٥)، عن محمد بن بشار، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان به، وهذا سند صحيح.

(٦) وهو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الحافظ صاحب "التفسير" و"المعارف"، وثَّقه الخطيب وغيره. مات سنة: (٢٧٦هـ). "تاريخ بغداد" (١٠/ ١٧٠).

(٧) **ضعيف**: أورده البغوي في "تفسيره" (٥/ ٣٦)، من طريق الكلبي.

(٨) أخرجه البخاري برقم: (٨٤٦)، ومسلم برقم: (٧١)، عن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَذُمُّ -سُبْحَانَهُ- مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيرِهِ وَيُشْرِكُهُ بِهِ. **قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ**: هُوَ كَقَولِهِمْ: (كَانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً وَالْمَلَّاحُ حَاذِقًا[١])، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ. انْتَهَى.[٢]

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ مَعْرِفَةِ النِّعْمَةِ وَإِنْكَارِهَا. **الثَّانِيَةُ**: مَعْرِفَةُ أَنَّ هَذَا جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ. **الثَّالِثَةُ**: تَسْمِيَةُ هَذَا الْكَلَامِ إِنْكَارًا لِلنِّعْمَةِ. **الرَّابِعَةُ**: اجْتِمَاعُ الضِّدَّيْنِ[٣] فِي الْقَلْبِ.



---

(١) **قال الشيخ سليمان آل الشيخ** رَحِمَهُ اللهُ في كتابه "تيسير العزيز الحميد" (٥٠٧): **قوله: (كانت الريحُ طيِّبةً، والمَلَّاحُ حَاذقًا)**: **المَلَّاحُ**: هو سَائِسُ السفينة، **والمعنى**: أنَّ السُّفُنَ إذا جَرَينَ بريحٍ طيِّبةٍ بأمر الله جَريًا حسنًا نسبوا ذلك إلى طِيبِ الريح، وحذق الملَّاح في سياسة السفينة، ونسوا ربَّهم الذي أجرى لهم الفلك في البحر رحمةً بهم، كما قال تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[الإسراء:٦٦].

(٢) "مجموع الفتاوى" (٨/ ٣٣).

(٣) أي: المَعْرِفَةُ والإنكار. **والضِّدان**: صفتان وجوديتان يتعاقبان في موضع واحد، يستحيل اجتماعهما، كالسواد والبياض. **والفرق بين الضدين والنقيضين**: أنَّ النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، كالعدم والوجود، والضدان لا يجتمعان ولكن يرتفعان، كالسواد والبياض. "التعريفات" (١٣٧).

٤١- بَابُ قَولِ اللهِ تَعَالَى:

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي الْآيَةِ: **الْأَنْدَادُ**: هُوَ الشِّرْكُ، أَخفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَودَاءَ[(١)] فِي ظُلْمَةِ اللَّيلِ، وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: (وَاللهِ وَحَيَاتُكَ يَا فُلَانُ وَحَيَاتِي)، وَتَقُولَ: (لَولَا كُلَيبَةُ هَذَا لَأَتَانَا اللُّصُوصُ)، وَ(لَولَا الْبَطُّ[(٢)] فِي الدَّارِ لَأَتَانَا اللُّصُوصِ)، وَقَولِ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: (مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ)، وَقَولِ الرَّجُلِ: (لَولَا اللهُ وَفُلَانٌ)، لَا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانًا؛ هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[(٣)].

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«مَنْ حَلَفَ بِغَيرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»**. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ[(٤)]. **وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ** رضي الله عنه: لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيرِهِ صَادِقًا[(٥)].

وَعَنْ حُذَيفَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ»**. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ[(٦)].

---

(١) أي: صخرة سوداء مَلسَاء.

(٢) وَهُوَ من طيور الماء.

(٣) **ضعيف**: أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ٦٢)، وفيه شبيب بن بشر البجلي، **قال عنه البخاري**: منكر الحديث. وأورده الحافظ ابن كثير في "تفسيره" (١/ ١٩٦)، عن ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما موقوفًا، وضعَّفه الألباني في تحقيق كتاب "الإيمان" لأبي عبيد (٨٧).

(٤) **صحيح**: صَحَّحَهُ العلَّامة الألباني رحمه الله في "الصحيحة" برقم: (٢٠٤٢) و"صحيح وضعيف سنن الترمذي" برقم: (١٥٣٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وقد وهم المصنف رحمه الله في عزوه لعمر رضي الله عنه.

(٥) **صحيح**: **قال الألباني** رحمه الله في "صحيح الترغيب والترهيب" برقم: (٢٩٥٣): صحيح موقوف.

(٦) **صحيح**: صَحَّحَهُ الألباني في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" برقم: (٤٩٨٠).

وَجَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ: (أَعُوذُ بِاللهِ وَبِكَ)، وَيُجَوِّزُ أَنْ يَقُولَ: (بِاللهِ ثُمَّ بِكَ). قَالَ: وَيَقُولُ: (لَوْلَا اللهُ ثُمَّ فُلَانٌ)، وَلَا تَقُولُوا: (لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ)[١].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الْبَقَرَةِ فِي الْأَنْدَادِ. **الثَّانِيَةُ**: أَنَّ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم يُفَسِّرُونَ الْآيَةَ النَّازِلَةَ فِي الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ أَنَّهَا تَعُمُّ الْأَصْغَرَ. **الثَّالِثَةُ**: أَنَّ الحَلِفَ بِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ. **الرَّابِعَةُ**: أَنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ صَادِقًا فَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ الْيَمِينِ الْغَمُوسِ. **الخَامِسَةُ**: الْفَرْقُ بَيْنَ الْـ(وَاوِ) وَ(ثُمَّ) فِي اللَّفْظِ.



(١) **ضعيف**: أورده البغوي فِي كتابه "شرح السنة" (١٢/ ٣٦١)، وابن أبي الدنيا فِي "الصمت"، وفيه إسماعيل بن إبراهيم التيمي الأحول، ضعيفٌ كما في "التقريب" (١٠٦).

٤٢- بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالْحَلِفِ بِاللهِ(١)

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حُلِفَ لَهُ بِالله فَلْيُصَدِّقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِالله فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيسَ مِنَ الله». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَة بِسَنَدٍ حَسَنٍ(٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنِ الحَلِفِ بِالْآبَاءِ. **الثَّانِيَةُ**: الْأَمْرُ لِلْمَحْلُوفِ لَهُ بِالله أَنْ يَرْضَى. **الثَّالِثَةُ**: وَعِيدُ مَنْ لَمْ يَرْضَ.



(١) أي: من الوعيد الوارد فِي ذَلِكَ؛ إذ عدم القناعة تدل عَلَى قلَّة تعظيم جناب الربوبية؛ فالقلب المتلئ بعظمة الله وعزته وكبريائه لا يفعل ذلك. **قال العلامة العثيمين رحمه الله: مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد**: أن الاقتناع بالحلف بالله من تعظيم الله؛ لأنَّ الحالف أكَّد ما حلف عليه بالتعظيم باليمين، وهو تعظيم المحلوف به؛ فيكون من تعظيم المحلوف به أن يصدق ذلك الحالف، وعلى هذا يكون عدم الاقتناع بالحلف بالله فيه شيء من نقص تعظيم الله، وهذا ينافي كمال التوحيد. **وقال العلامة السعدي رحمه الله: ويراد بهذا**: إذا توجهت اليمين على خصمك -وهو معروف بالصدق، أو ظاهره الخير والعدالة- فإنه يتعين عليك الرضا والقناعة بيمينه؛ لأنه ليس عندك يقين يعارض صدقه، وما كان عليه المسلمون من تعظيم ربهم وإجلالهم يوجب عليك أن ترضى بالحلف بالله. **والاقتناع بالحلف بالله لا يخلو من أمرين: الأول**: أن يكون ذلك من الناحية الشرعية، فإنه يجب الرضا بالحلف بالله فيما إذا توجهت اليمين على المدعى عليه فحلف، فيجب الرضا بهذا اليمين بمقتضى الحكم الشرعي. **الثاني**: أن يكون ذلك من الناحية الحِسِّيَّة، فإن كان الحالف موضع صدق وثقة فإنك ترضى بيمينه، وإن كان غير ذلك فلك أن ترفض الرضا بيمينه.

(٢) **حسن**: حَسنهُ الحافظ فِي "الفتح" (١١/ ٥٣٦)، والألباني فِي "الإرواء" (٨/ ٢٦٩٨) و"صحيح وضعيف سنن ابن ماجة" برقم: (٢١٠١).

٤٣- بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ: (مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ)[(١)]

عَنْ قُتَيلَةَ[(٢)] رضي الله عنها، أَنَّ يَهُودِيًا[(٣)] أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: (مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ)، وَتَقُولُونَ: (وَالْكَعْبَةِ)، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: (وَرَبِّ الْكَعْبَةِ)، وَأَنْ يَقُولُوا: (مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ). رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ[(٤)].

وَلَهُ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، فقَالَ: **«أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟!**[(٥)] **قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»**[(٦)].

وَلِابْنِ مَاجَةَ عَنِ الطُّفَيلِ[(٧)] رضي الله عنه أَخِي عَائِشَةَ رضي الله عنها لِأُمِّهَا، قَالَ: رَأَيتُ كَأَنِّي أَتَيتُ عَلَى نَفَرٍ[(٨)] مِنَ الْيَهُودِ، قُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ

---

(١) **قال العلامة العثيمين رحمه الله: مناسبة الباب لكتاب التوحيد:** أنَّ قول: (ما شاء الله وشئت) من الشرك الأكبر، أو الأصغر؛ لأنه إن اعتقد أن المعطوفَ مساوٍ لله فهو شرك أكبر، وإن اعتقد أنه دونه لكن أشرك به في اللفظ فهو أصغر. **وقد ذكر بعض أهل العلم**: أن من جملة ضوابط الشرك الأصغر: أنَّ ما كان وسيلةً للأكبر فهو أصغر.

(٢) وهي: قُتَيْلَةُ بنتُ صيفي الأَنْصاريَّة. **وقيل**: الجهنية. وكانت من المهاجرات الأول.

(٣) **قال العلامة العثيمين رحمه الله**: هو المنتسب إلى شريعة موسى عليه السلام، وسُمُّوا بذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[الأعراف:١٥٦]، أي: رجعنا، أو لأنَّ جدَّهم اسمه: يَهُوذَا بنُ يَعْقُوبَ؛ فتكون التسمية من أجل النسب، وفي الأول تكون التسمية من أجل العمل، ولا يبعد أن تكون من الاثنين جميعًا.

(٤) **صحيح**: صَحَّحَهُ الألباني في "صحيح وضعيف سنن النَّسَائِي" برقم: (٣٧٧٣)، والوادعي في "الصحيح المسند" برقم: (٢/ ٥٢٨).

(٥) هذه رواية ابن مردويه، وفي بعض الروايات: **«أَجَعَلْتَنِي للهِ عَدْلًا»**.

(٦) **حسن**: حَسَّنَهُ الألباني في "الصحيحة" برقم: (١٣٩)، والوادعي في تحقيقه لـ"تفسير ابن كثير" (١/ ١١٤)، والعلامة الحجوري حفظه الله في "اللمع على إصلاح المجتمع" (٢١٢).

(٧) وهُوَ ابن عبد الله بن الحَارِث بن سَخْبَرَةَ الْقُرشِي. **ويقال**: الأزدي. له صحبة، وهو أَخُو عَائِشَةَ لأمها.

(٨) **النَّفَر**: ما كَانَ من الثلاثة إلى التسعة.

الْقَوْمُ[١]، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: (عُزَيرٌ ابْنُ اللهِ)، قَالُوا: وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَومُ، لَولَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: (مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ)، ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى، فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَومُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: (الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ)، قَالُوا: وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَومُ، لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: (مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ)، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: «**هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟**»، قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ طُفَيلًا رَأَى رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا[٢] أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا، فَلَا تَقُولُوا: (مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ)، وَلَكِنْ قُولُوا: (مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ)**»[٣].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: مَعْرِفَةُ الْيَهُودِ بِالشِّرْكِ الْأَصْغَرِ. **الثَّانِيَةُ:** فَهْمُ الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ لَهُ هَوًى. **الثَّالِثَةُ:** قَوْلُهُ ﷺ: «**أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟!**»، فَكَيفَ بِمَنْ قَالَ: مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ، وَالْبَيتَينِ بَعْدَهُ؟![٤] **الرَّابِعَةُ:** أَنَّ هَذَا لَيسَ مِنَ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ؛ لِقَولِهِ: «**يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا**». **الْخَامِسَةُ:** أَنَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ مِنْ أَقْسَامِ الْوَحْيِ. **السَّادِسَةُ:** أَنَّهَا قَدْ تَكُونُ سَبَبًا لِشَرْعِ بَعْضِ الْأَحْكَامِ.



---

(١) أي: نِعم القوم أنتم، وهي للمدح.

(٢) يعني: الحياء، كما في روايةٍ أخرى.

(٣) **صحيح**؛ صَحَّحَهُ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في "السلسلة الصحيحة" برقم: (١٣٨)، والوادعي رَحِمَهُ اللهُ في "الصحيح المسند" برقم: (١/ ٤٤٥).

(٤) يشير رَحِمَهُ اللهُ إلى قصيدة البوصيري الشركية في "البردة"، وقد تقدمت في صفحة (٦٨)، والبيتان بعده:

إِنْ لَمْ يَكُـنْ فِي مَعَـادِي آخِـذًا بِيَـدِي ... فَضْـلًا وَإِلَّا فَقُـلْ يَـا زَلَّـةَ الْقَـدَمِ

فَـإِنَّ مِـنْ جُـودِكَ الـدُّنْيَا وَضَرَّتَهَـا ... وَمِـنْ عُلُومِـكَ عِلْـمَ اللَّـوحِ وَالْقَلَـمِ

٤٤- بَابٌ: مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ(١) فَقَدْ آذَى اللهَ(٢)

وَقَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ(٣) إِلَّا ٱلدَّهۡرُ(٤) وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [أي: يَتَوَهَّمُونَ] [الجاثية:٢٤](٥).

---

(١) اعلم -وفقني الله وإيَّاك- أن سبَّ الدَّهر عَلَى ثلاثة أقسام: **الأول:** أن يقصد الخبر المحض دون اللَّوم، فهَذَا جائز، نحو: (تعبنا من شِدَّة حَرِّ هَذَا اليوم، أو الشهر). **الثاني:** أن يقصد ويعتقد أن الدهر هو الَّذِي يقلب الأمور من خير إلى شرٍّ أو العكس، فهَذَا شركٌ أكبرُ. **الثالث:** أن يعتقد أَنَّهُ مَحَلٌّ لِهَذَا الأمر المكروه، وهَذَا حرام. **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللهُ: وهذا واقع كثير في الجاهلية، وتبعهم على هذا كثير من الفُسَّاق والمجان والحَمقَى، إذا جرت تصاريف الدهر على خلاف مرادهم جعلوا يسبُّون الدهر والوقت، وربما لعنوه، وهذا ناشئ من ضعف الدين ومن الحَمَق والجَهْل العظيم؛ فإنَّ الدَّهر ليس عنده من الأمر شيء؛ فإنَّه مُدبَّر مُصَرَّف، والتصاريف الواقعة فيه تدبير العزيز الحكيم، ففي الحقيقة يقع العيب والسب على مُدبِّره، وكما أنه نقص في الدين فهو نقص في العقل، فيه تزداد المصائب ويعظم وقعها، ويغلق باب الصبر الواجب، وهذا مناف للتوحيد.

(٢) **قال العلامة العثيمين** رَحِمَهُ اللهُ: **قوله: (فقد آذى الله):** لا يلزم من الأذية الضرر؛ فالإنسان يتأذَّى بسماع القبيح أو مشاهدته، ولكنه لا يتضرر بذلك، ويتأذَّى بالرائحة الكريهة -كالبصل، والثوم- ولا يتضرر بذلك، ولهذا أثبت الله الأذيَّة في القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾[الأحزاب:٥٧]، وفي الحديث القدسي: «**يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»، ونفى عن نفسه أن يضره شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ﴾[آل عمران:١٧٦]، وفي الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي**».

(٣) **قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ اللهُ في "تفسيره": أي: يموت قومٌ ويعيش آخرون، وما ثَمَّ مَعادٌ ولا قيامةٌ، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد. **وقال ابن جرير** رَحِمَهُ اللهُ: أي: ما يهلكنا إلَّا مَرُّ الليالي والأيام وطولُ العمر...إلى آخره.

(٤) وهناك طائفة تسمى: (الدُّهريَّة)، **وهي على أربعة أقسام:** قِسمٌ أنكر البداءة والمعاد، وقسم يُسمَّى بـ(الدورية)، وهم منكرو الخالق، ويعتقدون أنَّ فِي كل ستة وثلاثين ألفَ سنةٍ يعود كُلُّ شيء عَلَى ما كَانَ. **الثالث:** مشركو العرب. **الرابع:** ملاحدة الجهمية. "شرح الطحاوية" (٣٧) تـ: أحمد شاكر.

(٥) **مناسبة الآية للباب:** أنَّ في الآية نسبةَ الحوادثِ إلى الدهر، ومَن نَسَبَهَا إلى الدهر فسوف يَسب الدهر إذا وقع فيه ما يكرهه. "القول المفيد" (٢/ ٢٤٣).

وَفِي "الصَّحِيحِ"[١] **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيلَ وَالنَّهَارِ**». وَفِي رِوَايَةٍ[٢]: «**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**[٣]».

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ. **الثَّانِيَةُ:** تَسْمِيَتُهُ: (أَذًى للهِ). **الثَّالِثَةُ:** التَّأَمُّلُ[٤] فِي قَولِهِ: «**فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**». **الرَّابِعَةُ:** أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ سَابًّا[٥] وَلَوْ لَمْ يَقْصُدْهُ بِقَلْبِهِ.



(١) البخاري برقم: (٧٤٩١)، ومسلم برقم: (٢٢٤٦)، (٢).

(٢) رَوَاهُ مسلم برقم: (٢٢٤٦) (٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أي: مُقَلِّبُ الدَّهر، ففيه محذوفٌ مقدَّرٌ دلَّ عليه العقلُ والسِّياقُ: **أما العقل**: فلا يمكن أن يكون المخلوق خالقًا، **وأما السِّياق**: فقوله: «**أُقَلِّبُ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ**».

(٤) وهو: التثبت في النظر.

(٥) **قَالَ العلَّامة العثيمين** رحمه الله: **ولو قال**: (قد يكون مؤذيًا لله وإن لم يَقصُدهُ) كَانَ أوضحَ وأصَحَّ. انظر: "القول المفيد على كتاب التوحيد" (٢/ ٢٤٨).

٤٥- بَابُ التَّسَمِّي بِـ(قَاضِي الْقُضَاةِ)(١) وَنَحْوِهِ

فِي "الصَّحِيحِ" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنْ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى (مَلِكَ الْأَمْلَاكِ)؛ لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ»(٢).

قَالَ سُفْيَانُ: مِثْلُ: (شَاهَانْ شَاهْ)(٣). وَفِي رِوَايَةٍ: «أَغْيَظُ(٤) رَجُلٍ عَلَى اللهِ

---

(١) قال العلامة السعدي رحمه الله:...يجب أن لا يُجعَل لله نِدٌّ في النيات والأقوال والأفعال؛ فلا يُسمَّى أحدٌ باسم فيه نوعُ مشاركةٍ لله في أسمائه وصفاته، كـ(قَاضِي القُضَاة)، و(مَلِك المُلُوك) ونحوها، و(حَاكِم الحُكَّام)، أو بـ(أبي الحَكَم) ونحوه، وكل هذا حفظٌ للتوحيد ولأسماء الله وصفاته، ودفعٌ لوسائل الشرك حتى في الألفاظ التي يُخشَى أن يُتدرَّج منها إلى أن يُظَنَّ مشاركةُ أحدٍ لله في شيء من خصائصه وحقوقه. وقال العلامة العثيمين رحمه الله: مُناسَبة الباب لكتاب التوحيد : أنَّ من تَسَمَّى بهذا الاسم فقد جعل نفسه شريكًا مع الله فيما لا يستحقه إلا الله؛ لأنه لا أحد يستحق أن يكون قاضي القضاة، أو حاكم الحُكَّام، أو ملك الأملاك إلا الله سبحانه وتعالى، فالله هو القاضي فوق كل قاضٍ، وهو الذي له الحكم، ويُرجَع إليه الأمر كله، كما ذكر الله ذلك في القرآن. وقال العلامة الفوزان حفظه الله: هذا الباب مشابه للباب الذي قبله: (باب: من سَبَّ الدهر فقد آذى الله)؛ لأن الباب الذي قبله فيه النَّهيُ عن مسبَّة الدهر؛ لأنَّ ذلك يؤذي الله سبحانه وتعالى، وهذا الباب في النَّهي عن التسمِّي بالأسماء الضخمة التي فيها العَظَمة التي لا تليق إلَّا بالله سبحانه وتعالى؛ لأنَّ هذا يغيظُ الله سبحانه وتعالى، فسبُّ الدهر يؤذي الله، وهذا يغيظ الله سبحانه وتعالى، وكِلَا الأمرين محرَّمٌ شديد التحريم. ثم يأتي بعد هذا الباب (باب احترام أسماء الله)، وهو كذلك يُشبِه هذين البابين. فهذه الأبواب الثلاثة بعضُها يشبه بعضًا، لكنَّها لَـمَّا كانت متنوِّعة نوَّعها المؤلِّف رحمه الله؛ من أجل أن يُعرَف كلُّ شيء على حِدَته مفصَّلًا؛ لأنَّ أمور التَّوحيد لا بدَّ فيها من التَّفصيل والبيان، ولا يكفي فيها الإجمال والاختصار.

(٢) رَوَاهُ البخاري برقم: (٦٢٠٦)، ومسلم برقم: (٢١٤٣) دون قوله: «لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ»، وهي عند ابن أبي شيبة، وأوردها الألباني فِي "الصحيحة" برقم: (٩١٥)، و"صحيح الجامع الصغير" برقم: (٢٣٧).

(٣) قال العلَّامة العثيمين رحمه الله: وهذا باللغة الفارسية، فـ(شاهان): جمع بمعنى: (أملاك)، و(شاه): مفرد بمعنى: (ملك)، والتقدير: (أملاك ملك)، أي: ملك الأملاك، لكنهم في اللغة الفارسية يقدمون المضاف إليه على المضاف. "القول المفيد" (٢/ ٢٥٤).

(٤) أي: أَبْغَضُ. ومعنى هذا: أنه يكون بغيضًا إلى الله تعالى، أي: مغضوبًا عليه.

يومَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ»[١]. قَوْلُهُ: (أَخْنَعُ): يَعْنِي: أَوْضَعَ[٢].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنِ التَّسَمِّي بِـ(مَلِكِ الْأَمْلَاكِ)؛ لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ. **الثَّانِيَةُ:** أَنَّ مَا فِي مَعْنَاهُ مِثْلُهُ، كَمَا قَالَ سُفْيَانُ. **الثَّالِثَةُ:** التَّفَطُّنُ لِلتَّغْلِيظِ [-أَي: التَّشْدِيدِ-] فِي هَذَا وَنَحْوِهِ، مَعَ الْقَطْعِ بِأَنَّ الْقَلْبَ لَمْ يَقْصُدْ مَعْنَاهُ. **الرَّابِعَةُ:** التَّفَطُّنُ أَنَّ هَذَا لِأَجْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ.



(١) رَوَاهُ مسلم برقم: (٢١٤٣)، عن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه.

(٢) **وقيل:** أفجر، يقَالُ: (خَنَعَ الرَّجُلُ إلى المرأة)، أي: دعاها إلى الفجور.

٤٦- بَابُ احْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرِ الاِسْمِ لأَجْلِ ذَلِكَ(١)

عَنْ أَبِي شُرَيحٍ(٢) رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ يُكْنَى(٣): أَبَا الحَكَم، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ، وإِلَيهِ الحُكْمُ(٤)»، فَقَالَ: إِنَّ قَومِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَونِي، فَحَكَمْتُ بَينَهُمْ، فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَينِ، فَقَالَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا! فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟»، قُلْتُ: شُرَيحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُاللهِ. قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟»، قُلْتُ: شُرَيحٌ. قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيحٍ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيرُهُ(٥).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: احْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ وَلَو لَمْ يُقْصَدْ مَعْنَاهُ. **الثَّانِيَةُ:** تَغْيِيرُ الاِسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ. **الثَّالِثَةُ:** اخْتِيَارُ أَكْبَرِ الْأَبْنَاءِ لِلْكُنْيَةِ.



(١) **قال العلامة العثيمين رحمه الله: قوله:** (بَابُ احْتِرَامِ أَسْمَاءِ الله): أي: وجوب احترام أسماء الله؛ لأنَّ احترامها احترام لله عز وجل، ومن تعظيم الله عز وجل، فلا يُسمَّى أحدٌ باسم مختصٍّ بالله. **وأسماء الله تنقسم إلى قسمين: الأول:** ما لا يصح إلا لله، فهذا لا يُسمَّى به غيرُه، وإن سُمِّيَ وجب تغييره، مثل: (الله)، (الرحمن)، (رب العالمين)، وما أشبه ذلك. **الثاني:** ما يصح أن يُسَمَّى به غير الله، مثل: (الرحيم)، و(السميع)، و(البصير)، فإن لُوحِظَتِ الصفة مُنِعَ من التَّسَمِّي به، وإن لم تُلاحَظِ الصفةُ جاز التَّسَمِّي به على أنه علمٌ محضٌ.

(٢) بضم المعجمة وفتح الراء ومهملة مصغرة، واسمه: هانئ بن يزيد الكندي الحضرمي. أسلم عام الفتح، وقد روى عن النبي ﷺ عشرين حديثًا.

(٣) بتشديد النون وتخفيفها، وهَذَا أوضح. **والكنية:** هي ما صُدِّرت بـ(أب) أو (أم).

(٤) **قَالَ البغوي رحمه الله:** هو الحَاكِمُ الَّذِي إذا حكم لا يُرَدُّ حكمُه، وَهَذِه الصِّفة لَا تليق بِغَيْر الله عز وجل، ومن أَسْمَائِهِ (الحكم). "شرح السنة" (١٢/ ٣٤٣).

(٥) **صحيح:** أخرجه أبو داود: (٤٩٥٥)، والنسائي (٨/ ٢٢٧)، وصَحَّحَهُ الألباني فِي "الإرواء" برقم: (٢٦١٥)، والوادعي فِي "الصحيح المسند" (٢/ ٢٣٠).

٤٧- بَابٌ: مَنْ هَزَلَ(١) بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللهِ أَوِ الْقُرْآنِ أَوِ الرَّسُولِ ﷺ

وَقَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [أي: نَتكَلَّمُ بِكَلَامٍ لَا قَصْدَ لَنَا بِهِ، وَلَا قَصدْنَا الطَّعْنَ وَالعَيْبَ] ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾[التوبة:٦٥].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ(٢)، وَزَيدِ بْنِ أَسْلَمَ(٣)، وَقَتَادَةَ(٤) -دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ-: أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ، أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ -يَعْنِي: رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ الْقُرَّاءَ- فَقَالَ لَهُ عَوفُ بْنُ مَالِكٍ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَهَبَ عَوفٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِيُخْبِرَهُ، فَوَجَدَ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ، فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ -وَقَدِ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ، نَقْطَعُ بِهِ عَنَا الطَّرِيقَ. قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيهِ مُتَعَلِّقًا

---

(١) أي: استهزأ. **قال العلامة السعدي** رحمه الله: أي: فإن هذا مناف للإيمان بالكلية، ومخرج من الدين؛ لأن أصلَ الدين الإيمانُ بالله وكتبه ورسله، ومن الإيمان تعظيم ذلك، **ومن المعلوم**: أنَّ الاستهزاء والهزل بشيء من هذه أشدُّ من الكفر المجرد؛ لأنَّ هذا كفر وزيادةُ احتقارٍ وازدراء؛ **فإن الكفار نوعان**: معرضون، ومعارضون، فالمعارض المحارب لله ورسوله القادح بالله وبدينه ورسوله أغلظ كفرًا وأعظم فسادًا، والهازل بشيء منها من هذا النوع.

(٢) وهو: ابنِ حَيَّانَ بنِ سُلَيْمٍ، الإِمَامُ، العَلَّامَةُ، الصَّادِقُ، أَبُو حَمْزَةَ -وَقِيْلَ: أَبُو عَبْدِ الله- القُرَظِيُّ، المَدَنِيُّ، مِنْ حُلَفَاءِ الأَوْسِ، وَكَانَ أَبُوْهُ مِنْ سَبْيِ بَنِي قُرَيْظَةَ، سَكَنَ الكُوْفَةَ ثُمَّ المَدِيْنَةَ. مات سَنة: (١٢٠هـ).

(٣) الإِمَامُ، الحُجَّةُ، القُدْوَةُ، أَبُو عَبْدِ الله العَدَوِيُّ، العُمَرِيُّ، المَدَنِيُّ، الفَقِيْهُ، مولى عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه. أَرَّخَ ابْنُه وَفَاتَه: فِي ذِي الحِجَّةِ، سَنَةَ: سِتٍّ وَثَلاَثِيْنَ وَمائَةٍ. "سير أعلام النبلاء" (٥/ ٣١٦).

(٤) وهو: قتادة بن دعامة بنِ عَزِيزٍ، أَبُو الخَطَّابِ السَّدُوْسِيُّ، حَافِظُ عَصْرِه، قُدْوَةُ المفَسِّرِيْنَ وَالمُحَدِّثِيْنَ، البَصْرِيُّ، الضَّرِيْرُ، الأَكْمَهُ. مَوْلِدُه: فِي سَنَةِ سِتِّيْنَ، ووفاته سنة ثَمَانِي عَشْرَةَ وَمائَةٍ. "المعارف" (٤٦٢).

بِنِسْعَةِ[(١)] نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ الحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيهِ وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، فيقُولُ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ۞ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾[التوبة:٦٥-٦٦]، مَا يَلْتَفِتُ إِلَيهِ، وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيهِ[(٢)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى -وَهِيَ الْعَظِيمَةُ-: أَنَّ مَنْ هَزَلَ بِهَذَا إِنَّهُ كَافِرٌ. **الثَّانِيَةُ**: أَنَّ هَذَا هُوَ تَفْسِيرُ الْآيَةِ فِيمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَائِنًا مَنْ كَانَ. **الثَّالِثَةُ**: الْفَرْقُ بَينَ النَّمِيمَةِ وَالنَّصِيحَةِ للهِ وَلِرَسُولِهِ. **الرَّابِعَةُ**: الْفَرْقُ بَينَ الْعَفْوِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ، وَبَينَ الْغِلْظَةِ عَلَى أَعْدَاءِ اللهِ. **الخَامِسَةُ**: أَنَّ مِنَ الِاعْتِذَارِ مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْبَلَ.



(١) قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: النِّسعَةُ: هي الحزام الذي يُربَط به الرَّحْلُ. "القول المفيد" (٢/ ٢٧٦).

(٢) **حسن عن ابن عمر** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: الحديث مجموعٌ من رواياتٍ دخل بعضُها فِي بعض بتصرُّفٍ من المصنف. وأثر ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أخرجه الطبري (٥٤٣-٥٤٤)، وَحَسَّنَهُ الوادعي فِي "الصحيح المسند من أسباب النزول" (١٢٢)، وما بقي من الروايات جميعُها مرسَلة، والمرسل من قسم الضعيف.

٤٨- بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا﴾ [آتَيْنَاهُ خَيْرًا وَعَافِيَةً وَغِنًى] ﴿مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [أي: الجَنَّة] ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[فصلت:٥٠]، قَالَ مُجَاهِدٌ: هَذَا بِعَمَلِي، وَأَنَا مَحْقُوقٌ بِهِ[١]. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ: مِنْ عِنْدِي. وَقَوْلِهِ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر:٤٩]، قَالَ قَتَادَةُ: عَلَى عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ المَكَاسِبِ[٢]. وَقَالَ آخَرُونَ: عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ[٣]. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ: أُوتِيتُهُ عَلَى شَرَفٍ[٤].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا،[٥]

---

(١) **صحيح:** أخرجه ابن جرير في "تفسيره" (٢١/ ٤٩١)، من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

(٢) **صحيح:** أخرجه ابن جرير (٢١/٣٠٣)، من طريق سعيد، عن قتادة، بلفظ: (على خير عندي)، ولعل المصنف ذكره بالمعنى.

(٣) **ضعيف:** أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" برقم: (١٧١٢٥)، من طريق عَبْدِ اللهِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَامِرِ بْنِ الْفُرَاتِ، عَنْ أَسْبَاط، عَنِ السُّدِّيِّ، بلفظ: (عَلِمَ اللهُ أَنِّي أَهْلٌ لِذَلِكَ). وعامر بن الفرات مجهول حال كما في "الثقات"، وأسباط ضعيف، **وعلى هذا:** فالأثر لا يثبت.

(٤) قال العلامة العثيمين رحمه الله: مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أنَّ الإنسان إذا أضاف النعمة إلى عمله وكسبه ففيه نوع من الإشراك بالربوبية، وإذا أضافها إلى الله لكنه زعم أنه مستحق لذلك، وأنَّ ما أعطاه الله ليس محض تفضل، لكن لأنه أهل، ففيه نوع من التَّعلِّي والترفع في جانب العبودية.

(٥) **قوله:** «يَبْتَلِيَهُمْ»: أي: يمتحنهم ويختبرهم. قال ابن القيم رحمه الله في كتابه "إعلام الموقعين" (٣/ ١٦٩) ط: (دار الكتب العلمية): وَهَذَا لَيْسَ بِتَعْرِيضٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَصْرِيحٌ عَلَى وَجْهِ ضَرْبِ الْمِثَالِ، وَإِيهَامٌ أَنِّي أَنَا صَاحِبُ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ، كَمَا أَوْهَمَ الْمَلَكَانِ دَاوُد أَنَّهُمَا صَاحِبَا الْقِصَّةِ؛ لِيَتِمَّ الِامْتِحَانُ.

فَأَتَى الْأَبْرَصَ(١)، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيكَ؟ قَالَ: لَونٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ(٢)، قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، فَأُعْطِيَ لَونًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ أَوِ الْبَقَرُ -شَكَّ إِسْحَاقُ- فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ(٣)، وَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا. قَالَ: فَأَتَى الْأَقْرَعَ(٤)، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ(٥) حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ -أَوِ الْإِبِلُ- فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، قَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا. قَالَ: فَأَتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ(٦) هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ(٧) مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ(٨)، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي(٩)، فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَومَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّونَ الحَسَنَ وَالجِلْدَ الحَسَنَ وَالمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي

---

(١) (أبرص): عَلَى وزن (أفعل)، وهو: من به داء البرص. **وَالبَرَصُ:** بياضٌ يظهر فِي ظاهر الجلد.

(٢) أي: كرهوا مخالطتي من أجله.

(٣) وهي: الناقة الحامل التي أتى عَلَى حملها عَشَرَةُ أشهر أو ثمانية.

(٤) **الأقرع:** هو الَّذِي لا ينبت عَلَى رأسه شعرٌ؛ من آفةٍ.

(٥) بفتح العين وتسكينها.

(٦) أي: تولَّى نتاجَها.

(٧) وهو: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (أنا).

(٨) أي: ملازم لِلطُّرق؛ للسَّفَرِ.

(٩) أي: انقطع الزاد عنِّي فِي سفري، وقبل وصولي أهلي.

سَفَرِي، فَقَالَ لَهُ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذِرُكَ النَّاسُ؟ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ ﷻ الْمَالَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ(١). فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قَالَ: وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِـهَذَا، وَرَدَّ عَلَيهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قَالَ: وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَومَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي(٢)، فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَومَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ للهِ ﷻ(٣). فَقَالَ: أَمْسِكْ عَلَيكَ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيكَ». أَخْرَجَاهُ(٤).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ الْآيَةِ. **الثَّانِيَةُ:** مَا مَعْنَى: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾. **الثَّالِثَةُ:** مَا مَعْنَى قَولِهِ: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾. **الرَّابِعَةُ:** مَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَجِيبَةِ مِنَ الْعِبَرِ الْعَظِيمَةِ.



---

(١) أي: أبًا عن جدٍّ، وقد نصب الأول بنزع الخافض، أي: من كابرٍ عن كابرٍ.

(٢) **قال العلامة الفوزان حفظه الله:** يقولُ العلماء: أركانُ الشُّكر ثلاثة لا يصحُّ الشُّكر إلَّا بها: **الركن الأوَّل:** التحدُّث بها ظاهرًا، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[الضحى:١١]. **الركن الثاني:** الاعتراف بها باطنًا، يعني: تعترِف في قَرارة نفسك أنَّها من الله سبحانه وتعالى، فيكون قلبُك موافِقًا للسانك من الاعتراف بأنَّها من الله. **الرُّكن الثالث:** صرفُها في طاعة مُوَلِّيها ومُسْدِيها، وهو الله سبحانه وتعالى، بمعنى: أن تستعين بها على طاعة الله، فإنِ استعنْتَ بها على معصية الله فإنك لا تكون شاكرًا لها. "إعانة المستفيد" (٢/ ١٤٨).

(٣) أي: لا أشُقُّ عليك في ردِّ شيءٍ مما تطلبه.

(٤) البخاري برقم: (٣٤٦٤)، ومسلم برقم: (٢٩٦٤)، واللفظ له.

٤٩- بَابُ قَولِ اللهِ تَعَالَى:

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الأعراف:١٩٠]. قَالَ ابْنُ حَزْمٍ(١): اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيرِ الله، كَـ(عَبْدِ عَمْرٍو)، وَ(عَبْدِ الْكَعْبَةِ)، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، حَاشَا (عَبْدَ الْمُطَّلِبِ)(٢).

---

(١) هو: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، وأحد الأئمة الأعلام، صاحب "المحلَّى"، و"جمهرة أنساب العرب"، وغيرهما من المصنفات الكثيرة النافعة. ولد بـ(قرطبة) من بلاد الأندلس في شهر رمضان سنة: (٣٨٤هـ)، ونشأ في نعمة سابغة، وجاهٍ عريض، وكانت له ولأبيه من قَبْلِهِ رياسةُ الوزارة وتدبيرُ المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين، فقيهًا، حافظًا، يستنبط الأحكام من الكتاب والسُّنَّة، بعيدًا عن المصانعة، وكان إليه المنتهى في الذكاء والعربية والآداب والمنطق والشعر، [إلا أنه أُخِذَت عليه مآخذ، أعظمها: زلَّةُ قدمِهِ في باب الأسماء والصفات]. "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" (١/ ٣٧).

(٢) قال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: **قوله: (حاشا عبد المطلب)**: (حاشا) الاستثنائية إذا دخلت عليها (ما) وجب نصبُ ما بعدها، وإلَّا جاز فيه النصب والجر. وبالنسبة لعبد المطلب مستثنى من الإجماع على تحريمه؛ فهو مختلف فيه، **فقال بعض أهل العلم**: لا يمكن أن نقول بالتحريم والرسول ﷺ قال: **«أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ»**، فالنبي ﷺ لا يفعل حراما؛ فيجوز أن يُعَبَّد للمطَّلب، إلَّا إذا وُجِد ناسخ، وهذا تقرير ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ، **ولكن الصواب**: تحريم التعبيد للمطلب؛ فلا يجوز لأحد أن يسمِّي ابنه (عبد المطلب)، **وأما قوله** ﷺ: **«أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ»**: فهو من باب الإخبار، وليس من باب الإنشاء، فالنبي ﷺ أخبر أنَّ له جدًّا اسمه: عبد المطلب، ولم يَرِدْ عنه ﷺ أنَّه سمَّى (عبد المطلب)، أو أنه أَذِن لأحَدِ صحابتِهِ بذلك، ولا أنَّه أقرَّ أحدًا على تسميته عبد المطلب، والكلام [-أي: تحريمنا-] في الحكم، لا في الإخبار.

قلت: **ومن هذا الباب**: تسمية بعضهم: (عبد الجليل، وعبد الباقي، وعبد النبي، وعبد الحسين، وعبد الدائم، وعبد الشيخ، وعبد السَّيِّد، وعبد الحبيب، وعبد هود)، ونحو ذلك.

ومن اللطائف: ما أخبرنا أخونا الفاضل خالد باخريصة الحضرمي حَفِظَهُ اللهُ، أنه لـمَّا وُلِد جَدُّه ذَهَبَ به والده إلى بعض الدجاجلة ممن يدَّعي علم الغيب بحضرموت، فسماه: (عبدَ السَّيِّد)، فلمَّا كبر وترعرع جعل يخدُمُ هذا الذي ادَّعى علم الغيب، فأراد الله أن يكشف كذبَه بموت عبده ليلًا، فدُفِن =

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي الْآيَةِ، قَالَ: لَـمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ[(١)]، فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجْتُكُمَا مِنَ الجَنَّةِ، لَتُطِيعَانِّي أَوْ لَأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَي أَيِّلٍ[(٢)]، فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكِ فَيَشُقُّهُ، وَلَأَفْعَلَنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ -يُخَوِّفُهُمَا- سَمِّيَاهُ عَبْدَ الحَارِثِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا فَقَالَ مِثْلَ قَولِهِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا فَذَكَرَ لَهُمَا، فَأَدْرَكَهُمَا حُبُّ الْوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ (عَبْدَ الحَارِثِ)، فَذَلِكَ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف:١٩٠]. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[(٣)].

= مباشرة، ولم يحضر السَّيِّد، أي: الذي يدَّعي علم الغيب، فلمَّا جاء الصبح سأل عن خادمه عبدِ السَّيِّد، فقيل له: مات البارحة ودُفِنَ، فأنكر وقال: إنَّه لم يمت، فقيل له: قد مات ودفناه، فقال: كيف ذاك ولم أره في الجنة؟! فجلس قليلًا ثم قال: انتظروني قليلًا، فرجع وقال: إنَّ عبدَ السَّيِّد لم يمت؛ لأنني بحثت عنه في الجنة ثم في النار فلم أجده، فقيل له: إذن أين هو؟ فقال: انتظروني قليلًا، ثم رجع فقال: نعم قد مات، لكن حُبِسَ لشيء يسير، الآن أَدخَلْتُهُ الجنة.

الشاهد من هذا: أنَّ هذا كله من تسميات الدجاجلة والجهلة من الناس، فينبغي البُعدُ عنه.

(١) على وزن: (إفعِيل)، وهو: الآيِسُ من رحمة الله.

(٢) **الأيل**: ذكر الأوعال.

(٣) **ضعيف:** أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٤)، وفي سنده شريك بن عبد الله النخعي وخُسيف بن عبد الرحمن الجزري، وكلاهما ضعيفان، وعلى ضعفهما ففي متنه مناكير. **قال العلامة العثيمين رحمه الله** في كتابه **"القول المفيد"** (٢/ ٣٠٨):...**لكنَّ الصحيح أن الحسن** رحمه الله **قال: إنَّ المراد بالآية:** غير آدم وحواء، **وإنَّ المراد بها:** المشركون من بني آدم، كما ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله في **"تفسيره"**، **وقال:** أمَّا نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا، وأنَّه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته. اهـ

وهذه القصة باطلة من وجوه: الوجه الأول: أنَّه ليس في ذلك خبر صحيح عن النبي ﷺ، وهذا من الأخبار التي لا تُتَلَقَّى إلَّا بالوحي، **وقد قال ابن حزم عن هذه القصة:** إنَّها رواية خرافة مكذوبة موضوعة. **الوجه الثاني:** أنَّه لو كانت هذه القصة في آدم وحواء لكان حالهما إمَّا أن يتوبا من الشرك أو يموتا عليه. **الوجه الثالث:** أن الأنبياء معصومون من الشرك باتفاق العلماء. **الوجه الرابع:** أنَّه ثبت في حديث الشفاعة أنَّ الناس يأتون إلى آدم يطلبون منه الشفاعة، فيعتذر بأكله من الشجرة، وهو =

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: شُرَكَاءَ فِي طَاعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ(١).

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ(٢) فِي قَوْلِهِ: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾[الأعراف: ١٨٩]، قَالَ: أَشْفَقَا أَنْ لَا يَكُونَ إِنْسَانًا. وَذُكِرَ مَعْنَاهُ أَيْضًا عَنِ الحَسَنِ وَسَعِيدٍ وَغَيرِهِمَا(٣).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَحْرِيمُ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيرِ الله. **الثَّانِيَةُ:** تَفْسِيرُ الْآيَةِ. **الثَّالِثَةُ:** أَنَّ هَذَا الشِّرْكَ فِي مُجَرَّدِ تَسْمِيَةٍ لَمْ تُقْصَدْ حَقِيقَتُهَا. **الرَّابِعَةُ:** أَنَّ هِبَةَ الله لِلرَّجُلِ الْبِنْتَ السَّوِيَّةَ مِنَ النِّعَمِ. **الخَامِسَةُ:** ذِكْرُ السَّلَفِ الْفَرقَ بَينَ الشِّرْكِ فِي الطَّاعَةِ، وَالشِّرْكِ فِي الْعِبَادَةِ.



= معصية، ولو وقع منه الشرك لكان اعتذاره به أقوى وأَوْلَى وأَحْرَى. **الوجه الخامس:** أنَّ في هذه القصة أنَّ الشيطان جاء إليهما، وقال: (أنا صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة)، وهذا لا يقوله من يريد الإغواء، وإنما يأتي بشيء يقرب قبولَ قوله، فإذا قال: (أنا صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة) فسيعلمان علم اليقين أنه عدوٌّ لهما، فلا يقبلان منه صرفًا ولا عدلًا. **الوجه السادس:** أنَّ في قوله في هذه القصة: (لأجعلن له قرني أيل): إمَّا أن يصدقا أنَّ ذلك ممكن في حقه، فهذا شرك في الربوبية؛ لأنه لا يقدر على ذلك إلَّا الله، أو لا يصدقا؛ فلا يمكن أن يقبلا قوله وهما يعلمان أنَّ ذلك غير ممكن في حقه. **الوجه السابع:** قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بضمير الجمع، ولو كان آدم وحواء لقال: (عَمَّا يُشرِكَان). فهذه الوجوه تدل على أن هذه القصة باطلة من أساسها، وأنه لا يجوز أن يُعتَقَد في آدم وحواء أن يقع منهما شركٌ بأيِّ حالٍ من الأحوال، والأنبياء مُنَزَّهُون عن الشرك، مُبَرَّءون منه باتفاق أهل العلم، **وعلى هذا:** فيكون تفسير الآية -كما أسلفنا- أنها عائدة إلى بني آدم الذين أشركوا شركًا حقيقيًّا، فإن منهم مشركًا ومنهم موحدًا. اهـ من المصدر السابق بتصرف.

(١) **صحيح:** أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٤)، وابن جرير (١٠/ ٦٢٦)، من طريق سعيد، عن قتادة.

(٢) **صحيح:** أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٣).

(٣) **ضعيف:** أخرجه ابن أبي حاتم في المصدر السابق.

٥٠- بابُ(١) قولِ اللهِ تعَالَى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [جَمْعُ: (أَحْسَنَ)، أي: الْغَايَةُ فِي الحُسْنِ وَالكَمَالِ] ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ﴾ [اتْرُكوا] ﴿ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ [يَمِيلُونَ] ﴿فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف:١٨٠].

ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ(٢)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾:

---

(١) قال العلامة الفوزان حفظه الله: هذا الباب عقده الشيخ رحمه الله في "كتاب التَّوحيد" من أجل بيان وجوب إثبات أسماء الله وصفاته، ومن أجل أن يبيِّن التوسُّل المشروع والتوسُّل الممنوع؛ لأنَّ مسألة التوسُّل ضلَّ فيها خلقٌ كثير من قديم الزَّمان، فالمشركون يعبُدون غيرَ الله ويُسمُّون معبوداتِهم وسائل إلى الله، فيقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[الزمر:٣]، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[يونس:١٨]، فهم لا يعبدون هذه المعبودات لذاتها؛ لأنَّهم يعلمون أنَّها لا تخلُق ولا تَرزُق ولا تُحيي ولا تُميت، وإنَّما زعموا أنَّها تتوسَّطُ لهم عند الله تبارك وتعالى من باب الوسيلة، فردَّ الله تعالى عليهم في القرآن بأنَّ هذا التوسُّل وهذا العمل كفرٌ وشركٌ، وأنَّه لم يَشْرَعْهُ تبارك وتعالى لعباده. "إعانة المستفيد" (٢/ ٢٠٧).

وجاء مِن بعدهم القبوريُّون والصوفيَّة ومن قبلهم الرَّافضة والباطنيَّة، كلُّهم نَحَوا هذا المَنحى الذي نحاه المشركون، فصاروا يعبدون الموتى، ويستغيثون بهم، ويدعونهم من دون الله، ويذبحون لهم، وينذُرون لهم، ويقولون: نحن نعلم أنَّهم مخلوقون، وأنهم لا يخلُقون ولا يرزُقون، ولكنَّنا اتَّخذناهم وسائل بيننا وبين الله، وربَّما يحتجُّون بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[الإسراء:٥٧]، وبقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[المائدة:٣٥]، فظنُّوا أنَّ الوسيلة التي أمر الله باتخاذها إليه أنَّها جعل وسائط بينهم وبين الله، وهذا فَهمٌ باطل لم يُرِدْهُ الله تبارك وتعالى، بل أنكره على المشركين وحكم بأنَّه كُفر، وأنَّه شرك، ونزَّه نفسَه عنه فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[النحل:١]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾[الزمر:٣]، بيَّن أنَّه كُفْرٌ وأنه شِركٌ، ونزَّه نفسَه عنه، فهو لم يَشْرَع لعباده أبدًا أن يجعلوا بينه وبينهم وسائط من الخلْق يبلِّغونه حاجات عبادِه، وإنما أمر بدعائه مباشَرة: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠]...إلى آخره. "إعانة المستفيد" (٢/ ٢٠٧).

(٢) **صحيح:** أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" برقم: (٩٦١)، من طريق مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، ومن طريقه ابن جرير في "تفسيره" برقم: (١٥٤٥٦)، وسنده صحيح. **وقول المؤلف** رحمه الله: عن ابن عباس وهم.

يُشْرِكُونَ. **وَعَنْهُ**: سَموا اللَّاتَ مِنَ (الْإِلَهِ)، وَالْعُزَّى مِنَ (الْعَزِيزِ)[(١)]. وَعَنِ الْأَعْمَشِ: يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا[(٢)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: إِثْبَاتُ الْأَسْمَاءِ. **الثَّانِيَةُ**: كَونُهَا حُسْنَى. **الثَّالِثَةُ**: الْأَمْرُ بِدُعَائِهِ بِهَا. **الرَّابِعَةُ**: تَرْكُ مَنْ عَارَضَ مِنَ الجَاهِلِينَ الْمُلْحِدِينَ. **الخَامِسَةُ**: تَفْسِيرُ الْإِلحَادِ فِيهَا. **السَّادِسَةُ**: وَعِيدُ مَنْ أَلْحَدَ.



(١) **منقطع**: أخرجه ابن جرير في "تفسيره" برقم: (١٥٤٥٤)، من طريق القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، بلفظ: اشتقوا (العزى) من (العزيز)، واشتقوا (اللَّات) من (الله)، وابن جريج لم يسمع من مجاهد. **وقول المؤلف** رَحِمَهُ اللَّهُ: عن ابن عباس وهم أيضًا.

(٢) **ضعيف**: أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" برقم: (٨٥٨٧)، من طريق مُبَشِّرُ بْنِ عُبَيْدٍ الْقُرَشِيِّ، عَنِ الأَعْمَشُ، ومُبَشِّر متروك.

٥١- بَابٌ: لا يُقَالُ: (السَّلَامُ عَلَى اللهِ)[(١)]

فِي "الصَّحِيحِ" عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ قُلْنَا: (السَّلَامُ عَلَى اللهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ[(٢)])، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُولُوا: (السَّلَامُ عَلَى اللهِ)؛ فَإِنَّ[(٣)] اللهَ هُوَ السَّلَامُ»[(٤)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ (السَّلَامِ). **الثَّانِيَةُ:** أَنَّهُ تَحِيَّةٌ. **الثَّالِثَةُ:** أَنَّهَا لَا تَصْلُحُ لله. **الرَّابِعَةُ:** الْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ. **الْخَامِسَةُ:** تَعْلِيمُهُمُ التَّحِيَّةَ الَّتِي تَصْلُحُ لله[(٥)].



---

(١) **قال العلامة السعدي رحمه الله:** وقد بين ﷺ هذا المعنى بقوله: **«فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ»**، فهو -تعالى- السلام السالم من كل عيب ونقص، وعن مماثلة أحد من خلقه له، وهو المُسَلِّم لعباده من الآفات والبليَّات، فالعباد لن يبلغوا ضره فيضروه، ولن يبلغوا نفعه فينفعوه، بل هم الفقراء إليه، المحتاجون إليه في جميع أحوالهم، وهو الغني الحميد. **وقال العلامة الفوزان حفظه الله: مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد:** أنَّه لما كان (السلام) من أسماء الله سبحانه وتعالى فإنَّه لا يقال: (السَّلامُ على الله)؛ لأنَّه هو السلام سبحانه وتعالى. **وأيضًا:** لَـمَّا كان معنى (السلام): الدعاء للمُسلَّم عليه بالسَّلامة من الآفات -والله جل وعلا منزَّه عن أن ينالَه شيءٌ من النقص أو من الآفات أو من المكروهات- فليس بحاجة أن يدعى له سبحانه وتعالى؛ لغِنَاهُ عن كلِّ شيء وحاجةِ كلِّ شيء إليه سبحانه وتعالى، بل هو المدعو، ولا يُدعى له سبحانه وتعالى؛ لأنَّ الدعاء إنَّما يكون للمخلوق المحتاج، أمَّا الله جل وعلا فإنَّه غنيٌّ لا يحتاج إلى شيء، فمن دعا لله فقد تنقَّص الله عز وجل، وهذا يُخِلُّ بالتَّوحيد. **وقَالَ العلامة العثيمين رحمه الله:** وهو نهيُ تحريمٍ، والسَّلام لا يحتاج إلى سلام، هُوَ نفسه عز وجل سلام سالمٌ من كلِّ نقصٍ ومن كل عيب.

(٢) أي: جبريل وميكائيل، كما جاء مصرَّحًا في الرواية الأخرى عند البخاري برقم: (٨٣١).

(٣) **الفاء هنا:** سببية تعليلية.

(٤) رَوَاهُ البخاري برقم: (٨٣٥)، واللفظ له، ومسلم برقم: (٤٠٢).

(٥) وتؤخذ من تكملة الحديث: **«فَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لله...»**. "القول المفيد" (٢/ ٣٢٨).

٥٢- بَابُ قَوْلِ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ)[(١)]

فِي "الصَّحِيحِ"[(٢)] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: (اللَّهُمَّ[(٣)] اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ)، (اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ)، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ[(٤)] الْمَسْأَلَةَ[(٥)]؛ فَإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ[(٦)]». وَلِمُسْلِمٍ: «وَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ[(٧)]؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ».

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنِ الِاسْتِثْنَاءِ فِي الدُّعَاءِ. **الثَّانِيَةُ**: بَيَانُ الْعِلَّةِ فِي ذَلِكَ. **الثَّالِثَةُ**: قَوْلُهُ: «لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ». **الرَّابِعَةُ**: إِعْظَامُ الرَّغْبَةِ. **الْخَامِسَةُ**: التَّعْلِيلُ لِهَذَا الْأَمْرِ.



---

(١) **قال العلامة السعدي رحمه الله**: المطالب الدينية -كسؤال الرحمة والمغفرة- والمطالب الدنيوية المعينة على الدين -كسؤال العافية والرزق وتوابع ذلك- قد أُمِرَ العبدُ أن يسألَهَا من ربِّه طلبًا مُلحًّا جازمًا، وهذا الطلب عين العبودية ومحلها، ولا يتم ذلك إلَّا بالطلب الجازم الذي ليس فيه تعليق بالمشيئة؛ لأنه مأمور به، وهو خير محض لا ضرر فيه، والله تعالى لا يتعاظمه شيء. "القول السديد" (١٦٤).

(٢) البخاري برقم: (٦٣٣٩)، ومسلم برقم: (٢٦٧٩،٨،٩).

(٣) أصله: (يا الله)، حُذِفت ياء النداء؛ لكثرة الاستعمال، وعُوِّض عنها الميم.

(٤) **قَالَ الإمام القرطبي رحمه الله** -كما في "التيسير" (٥٦٦)-: أي: ليجزم في طلبته، ويحقق رغبته، ويتيقن الإجابة؛ فإنه إذا فعل ذلك دلَّ على علمه بعظيم ما يطلب من المغفرة والرحمة، وعلى أنه مفتقر إلى ما يطلب مضطر إليه، وقد وعد الله المضطر بالإجابة بقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[النمل:٦٢].

(٥) أي: السؤال.

(٦) أي: لا أحد يُكرهُ الله ما لا يريدُهُ أو يمنعُه ما يريدُه، ولا يتعاظَمُهُ شيءٌ أعطاهُ، بل لَهُ القُدرةُ المطلقة.

(٧) أي: الطلب والحاجة، ومعناه: ليَعظُم طلبه ورغبته إلى الله من قليل أو كثير.

٥٣- بَابٌ: لا يَقُولُ: (عَبْدِي) وَ(أَمَتِي)[١]

فِي "الصَّحِيحِ" عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: (أَطْعِمْ رَبَّكَ)، (وَضِّئْ رَبَّكَ)، (اسْقِ رَبَّكَ)، وَلْيَقُلْ: (سَيِّدِي) وَ(مَولَايَ)، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: (عَبْدِي) وَ(أَمَتِي)، وَلْيَقُلْ: (فَتَايَ) وَ(فَتَاتِي) وَ(غُلَامِي)»[٢].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنْ قَولِ: (عَبْدِي) وَ(أَمَتِي). **الثَّانِيَةُ:** لَا يَقُولُ الْعَبْدُ: (رَبِّي)، وَلَا يُقَالُ لَهُ: (أَطْعِمْ رَبَّكَ). **الثَّالِثَةُ:** تَعْلِيمُ الْأَوَّلِ قَولَ: (سَيِّدِي) وَ(مَولَايَ). **الرَّابِعَةُ:** تَعْلِيمُ الثَّانِي قَولَ: (فَتَايَ) وَ(فَتَاتِي) وَ(غُلَامِي). **الخَامِسَةُ:** التَّنْبِيهُ لِلْمُرَادِ، وَهُوَ تَحْقِيقُ التَّوحِيدِ حَتَّى فِي الْأَلْفَاظِ.



---

(١) **قال العلَّامة السعدي رحمه الله:** وهذا على وجه الاستحباب أن يعدلَ العبدُ عن قول: (عبدي) و(أَمَتِي) إلى: (فَتَايَ) و(فَتَاتِي)؛ تحفُّظًا عن اللفظ الذي فيه إيهام ومحذور ولو على وجه بعيد، وليس حرامًا، وإنما الأدب كمال التَّحَفُّظِ بالألفاظ الطَّيِّبة التي لا توهم محذورًا بوجه؛ فإنَّ الأدب في الألفاظ دليل على كمال الإخلاص، خصوصًا هذه الألفاظ التي هي أَمَسُّ بهذا المقام. "القول السديد" (١٦٦).

(٢) البخاري برقم: (٢٥٥٢)، ومسلم برقم: (٢٢٤٩).

٥٤- بَابٌ: لاَ يُردُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ[(١)]

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ بِالله فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِالله فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ[(٢)] فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَـهُ حَتَّى تَـرَوا أَنَّكُمْ قَـدْ كَافَأْتُمُوهُ[(٣)]».

---

(١) **قوله: (بَابٌ: لاَ يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِالله)**: فيه وجوب إعطاء من سأل بالله بقدر حاجته إنْ أَمكَن، ما لم يكن كاذبًا فِي ذَلِكَ أو موضع شكٍّ كما هو الحال عند كثير من الناس اليوم.

قال العلامة العثيمين رحمه الله: **قوله: (بَابٌ: لاَ يُرَدُّ)**: (**لا**): نافية، بدليل رفع المضارع بعدها، والنفي يحتمل أن يكون للكراهة، وأن يكون للتحريم. **قوله: (مَنْ سَأَلَ بِالله)**: أي: من سأل غيرَه بالله. **والسؤال بالله ينقسم إلى قسمين**: **أحدهما: السؤال بالله بالصيغة**، مثل أن يقول: (أسألك بالله)، كما تقدم في حديث الثلاثة حيث قال الملك: **«أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّونَ الحَسَنَ وَالجِلْدَ الحَسَنَ»**. **الثاني: السؤال بشرع الله** عز وجل، أي: يسأل سؤالًا يبيحه الشرع، كسؤال الفقير من الصدقة، والسؤال عن مسألةٍ من العلم، وما شابه ذلك. **وحكم رد من سأل بالله**: الكراهة أو التحريم، حسب حال المسئول والسائل، **وهنا عدة مسائل**:

المسألة الأولى: هل يجوز للإنسان أن يسأل بالله، أم لا؟

وهذه المسألة لم يتطرق إليها المؤلف رحمه الله؛ **فنقول: أولًا**: السؤال من حيث هو مكروه، ولا ينبغي للإنسان أن يسأل أحدًا شيئًا إلَّا إذا دعت الحاجة إلى ذلك، وأمَّا سؤال المعونة بالجاه أو المعونة بالبدن: فهذه مكروهة، إلَّا إذا دعت الحاجة إلى ذلك. وأمَّا إجابة السائل: فهو موضوع بابنا هذا، **ولا يخلو السائل من أحد أمرين**:

الأول: أن يسأل سؤالًا مجردًا، كأن يقول مثلًا: (يا فلان أعطني كذا وكذا)، فإن كان مما أباحه الشارع له فإنك تعطيه، كالفقير يسأل شيئًا من الزكاة. **الثاني**: أن يسأل بالله، فهذا تجيبه وإن لم يكن مستحقًّا؛ لأنَّه سأل بعظيم، فإجابته من تعظيم هذا العظيم، لكن لو سأل إثمًا، أو كان في إجابته ضررٌ على المسئول فإنَّه لا يُجاب... "القول المفيد" (٢/ ٣٤٧-٣٤٩) بتصرف.

وقال العلَّامة الألباني في "الصحيحة" (١/ ٥١٢): ووجوب الإعطاء إنما هو إذا كان المسؤول قادرًا على الإعطاء، ولا يلحقه ضرر به أو بأهله، وإلا فلا يجب عليه. والله أعلم.

(٢) أي: إلى وليمة.

(٣) أي: بَالَغتُم فِي الدعاء له.

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ[(١)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: إِعَاذَةُ مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ. **الثَّانِيَةُ**: إِعْطَاءُ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ. **الثَّالِثَةُ**: إِجَابَةُ الدَّعْوَةِ. **الرَّابِعَةُ**: المُكَافَأَةُ عَلَى الصَّنِيعَةِ. **الخَامِسَةُ**: أَنَّ الدُّعَاءَ مُكَافَأَةٌ لِمَنْ لَمْ يَقْدِرْ إِلَّا عَلَيهِ. **السَّادِسَةُ**: قَولُهُ: **«حَتَّى تَرَوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»**.



---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد برقم: (٥٣٦٥،٥٧٤٣،٦١٠٦)، وأبو داود برقم: (٢٠٠٧) بألفاظ مختلفة متقاربة، وصَحَّحَهُ الألباني فِي "الصحيحة" برقم: (٢٥٤)، والوادعي فِي "الصحيح المسند مما ليس فِي الصحيحين" (١/ ٥٨٧).

٥٥- بَابٌ: لاَ يُسْأَلُ بِوَجْهِ الله إِلاَّ الجَنَّةُ[١]

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ الله إِلَّا الجَنَّةُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[٢].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنْ أَنْ يُسْأَلَ بِوَجْهِ الله إِلَّا غَايَةَ المَطَالِبِ. **الثَّانِيَةُ**: إِثْبَاتُ صِفَةِ الْوَجْهِ.



---

(١) **قال العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللهُ -كما في "القول السديد" (١٦٨)-: الباب الأول خطاب للمسئول، وأنه إذا أَدْلَى على الإنسان أحدٌ بحاجة وتوَسَّل إليه بأعظم الوسائل -وهو السؤال بالله- أن يجيبه؛ احترامًا وتعظيمًا لحقِّ الله، وأداءً لحقِّ أخيه حيث أدلى بهذا السبب الأعظم. والباب الثاني خطاب للسائل، وأنَّ عليه أن يحترم أسماء الله وصفاته، وأن لا يسأل شيئًا من المطالب الدنيوية بوجه الله، بل لا يسأل بوجهه إلا أهم المطالب وأعظم المقاصد وهي الجنة بما فيها من النعيم المقيم، ورضا الرب والنظر إلى وجهه الكريم والتلذُّذ بخطابه، فهذا المطلب الأَسْنَى هو الذي يُسأَل بوجه الله، وأما المطالب الدنيوية والأمور الدنيئة -وإن كان العبد لا يسألها إلَّا من ربه- فإنه لا يسألها بوجهه. **وقال العلامة الألباني** رَحِمَهُ اللهُ في "الضعيفة" (١/ ٣٩): **وأما حديث: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ الله إِلَّا الجَنَّةُ»**: فضعيف، **وعلى فرض صحته**: فهو محمول على سؤال الأمور الحقيرة، كما بينت ذلك في مجلة "المسلمون".

(٢) **ضعيف**: ضعفه الألباني في "صحيح وضعيف سنن أبي داود" برقم: (١٦٧١).

٥٦- بَابُ مَا جَاءَ فِي الـ(لَوْ)[(١)]

وَقَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾[آل عمران:١٥٤]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟﴾ [فَادْفَعُوا] ﴿عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران:١٦٨].

فِي "الصَّحِيحِ" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ[(٢)]، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجَزَنْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: (لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا)، وَلَكِنْ قُلْ: (قَدَرُ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ)؛ فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيطَانِ»[(٣)].

---

(١) قال العلامة السعدي رحمه الله: اعلم أن استعمال العبد للفظة: (لو) تقع على قسمين: مذموم ومحمود، أما المذموم: فكأن يقع منه أو عليه أمرٌ لا يحبه، فيقول: (لو أني فعلت كذا لكان كذا)، فهذا من عمل الشيطان؛ لأن فيه محذورين: أحدهما: أنها تفتح عليه باب الندم والسخط والحزن الذي ينبغي له إغلاقه، وليس فيها نفع. الثاني: أن في ذلك سوء أدب على الله وعلى قدره؛ فإنَّ الأمور كلها والحوادث دقيقها وجليلها بقضاء الله وقدره، وما وقع من الأمور فلا بد من وقوعه، ولا يمكن رده، فكان في قوله: (لو كان كذا -أو لو فعلت كذا- كان كذا) نوع اعتراض ونوع ضعف إيمان بقضاء الله وقدره، ولا ريب أن هذين الأمرين المحذورين لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد إلا بتركهما. وأما المحمود من ذلك: فكأن يقولها العبد تمنيًا للخير، كقوله ﷺ: «لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الهَدْيَ، وَلَأَهْلَلْتُ بِالْعُمْرَةِ». "القول السديد" (١٧٠).

(٢) أي: ينفعك فِي الدارين. قال ابن القيم رحمه الله: سعادة الإنسان فِي حرصِهِ عَلَى ما ينفعه فِي معاشه ومعاده، والحرص: هو بذل الجهد واستفراغ الوسع، فإذا صادف ما ينتفع به الحريص كان حرصه محمودًا، وكماله كله في مجموع هذين الأمرين أن يكون حريصًا وأن يكون حرصه على ما ينتفع به، فإنْ حَرِصَ على ما لا ينفعه أو فعل ما ينفعه بغير حرص فاته من الكمال بحسب ما فاته من ذلك. "شفاء العليل" (١٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٦٤)، وقد أورده المصنف رحمه الله مختصرًا.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ الْآيَتَيْنِ فِي آلِ عِمْرَانَ. **الثَّانِيَةُ**: النَّهْيُ الصَّرِيحُ عَنْ قَولِ: (لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا) إِذَا أَصَابَكَ شَيْءٌ. **الثَّالِثَةُ**: تَعْلِيلُ المَسْأَلَةِ بِأَنَّ ذَلِك يَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيطَانِ. **الرَّابِعَةُ**: الْإِرْشَادُ إِلَى الْكَلَام الحَسَنِ. **الخَامِسَةُ**: الْأَمْرُ بِالحِرْصِ عَلَى مَا يَنْفَعُ، مَعَ الِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ. **السَّادِسَةُ**: النَّهْيُ عَنْ ضِدِّ ذَلِكَ، وَهُوَ الْعَجْزُ.



٥٧- بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ[(١)]

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا مَا تَكْرَهُونَ[(٢)] فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيرِ مَا فِيهَا وَخَيرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ». صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ[(٣)].

---

(١) قال العلامة العثيمين رحمه الله: قوله: (الريح): الهواء الذي يُصَرِّفه الله عز وجل، وجمعه: (رِيَاحٌ). وأصولها أربعة: الشمال، والجنوب، والشرق، والغرب، وما بينهما يُسمَّى: (النَّكْبَاء)؛ لأنها ناكبةٌ عن الاستقامة في الشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب. وتصريفها من آيات الله عز وجل، فأحيانًا تكون شديدةً تقلع الأشجار، وتهدم البيوت، وتدفن الزروع، ويحصل معها فيضانات عظيمة، وأحيانًا تكون هادئةً، وأحيانًا تكون باردةً، وأحيانًا حارَّةً، وأحيانًا عاليةً، وأحيانًا نازلةً، كل هذا بقضاء الله وقدره.

وقال العلامة السعدي رحمه الله: وهذا نظير ما سبق في سب الدهر، إلَّا أن ذلك الباب عام في سب جميع حوادث الدهر، وهذا خاص بالريح، ومع تحريمه فإنه حُمْقٌ وضعفٌ في العقل والرأي؛ فإنَّ الريح مصرَّفةٌ مدبَّرةٌ بتدبير الله وتسخيره، فالساب لها يقع سبه على من صرَّفها، ولولا أنَّ المتكلم بسب الريح لا يخطر هذا المعنى في قلبه غالبًا لكان الأمر أفظع من ذلك، ولكن لا يكاد يخطر بقلب مسلم.

وقال العلامة الفوزان حفظه الله: وكما سبق أنَّه إذا اعتقد أنَّ هذه الأشياء تصنع هذه الأشياء أو تُحدثها فهذا شركٌ أكبر؛ لأنَّه شركٌ في الرُّبوبيَّة، وإن كان لا يعتقد ذلك، بل يعتقد أنَّ الله هو الخالق المدبِّر، وإنَّما نسب هذه الأشياء إلى هذه المخلوقات من باب أنَّها أسبابٌ فقط فهذا يكون محرَّمًا، ويكونُ من الشرك الأصغر، حتى إنَّ ابن عبَّاس -كما سبق- جعل قولَ الرجل: (كانت الريح طيِّبةً، وكان الملَّاح حاذقاً) جعل هذا من اتِّخاذ الأنداد لله عز وجل، وفسَّر به قولَه تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢]. اهـ

(٢) أي: الشدة أو الحرارة أو البرودة. قَالَ الإمام الشافعي رحمه الله: لا ينبغي شتم الـريح؛ فإنها خلقٌ مطيع لله عز وجل وجُندٌ من جنوده، يجعلها الله رحمةً إذا شاء ونِقمةً إذا شاء. "التيسير" (١/ ٥٨٢).

(٣) صحيح: رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ برقم: (٢٢٥٢)، وَصَحَّحَهُ الألباني رحمه الله، والوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (١/ ٣١-٣٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ. **الثَّانِيَةُ**: الْإِرْشَادُ إِلَى الْكَلَامِ النَّافِعِ إِذَا رَأَى الْإِنْسَانُ مَا يَكْرَهُ. **الثَّالِثَةُ**: الْإِرْشَادُ إِلَى أَنَّهَا مَأْمُورَةٌ. **الرَّابِعَةُ**: أَنَّهَا قَدْ تُؤْمَرُ بِخَيْرٍ، وَقَدْ تُؤْمَرُ بِشَرٍّ.



٥٨ - بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:(١)

﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ﴾ [مَا لَا يُظْهِرُونَ لَكَ] ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ﴾ [لَخَرَجَ] ﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ﴾ [قُضِيَ] ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ﴾ [مَصَارِعِهِمْ] ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ﴾ [لِيَمْتَحِنَ اللهُ وَيَخْتَبِرَ] ﴿مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ﴾ [يُخْرِجَ وَيُظْهِرَ] ﴿مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[آل عمران:١٥٤]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [عَاقِبَةُ السَّوْءِ] ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[الفتح:٦].

---

(١) قال العلامة الفوزان حَفِظَهُ اللهُ: مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد : أنَّ حُسنَ الظَّنِّ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من واجبات التَّوحيد، وسوء الظنِّ بالله عَزَّ وَجَلَّ ينافي التَّوحيد، هذا وجه المناسبة لهذا الباب في كتابه "التَّوحيد". قولُه: (بَابُ قَوْلِ الله تَعَالَى): يعني: ما جاء في تفسير هذه الآية الكريمة من آل عمران والآية الثانية من سورة الفتح، كلاهُما في موضوع واحد، وهو سوء الظنِّ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وما توعَّد الله عليه من العذاب والعُقوبة؛ لأنَّه ينافي التَّوحيد. وقال العلامة العثيمين رَحِمَهُ اللهُ: ذكر المؤلف في هذا الباب آيتين: الأولى: قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ﴾: الضمير يعود على المنافقين، والأصل في الظن: أنه الاحتمال الراجح، وقد يطلق على اليقين كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾[البقرة:٤٦]، أي: يتيقنون، وضد الراجح المرجوح، ويُسمَّى: (وَهمًا). قوله: ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾: عطف بيان لقوله: ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾. والجاهلية: الحال الجاهلية، والمعنى: يظنون بالله ظنَّ المِلَّة الجاهلية التي لا يعرف الظَّانُّ فيها قدر الله وعظمته، فهو ظَنٌّ باطل مبني على الجهل. والظن بالله عَزَّ وَجَلَّ على نوعين: الأول: أن يظن بالله خيرًا. الثاني: أن يظن بالله شرًّا. والأول له متعلقان: ١- متعلق بالنسبة لما يفعله في هذا الكون، فهذا يجب عليك أن تحسن الظنَّ بالله عَزَّ وَجَلَّ فيما يفعله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في هذا الكون، وأن تعتقد أنَّ ما فعله إنما هو لحكمةٍ بالِغَةٍ قد تصل العقول إليها وقد لا تصل...إلى آخر كلامه.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْآيَةِ الْأُولَى: فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ بِأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ، وَفُسِّرَ بِأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ بِقَدَرِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ، فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الحِكْمَةِ، وَإِنْكَارِ الْقَدَرِ، وَإِنْكَارِ أَنْ يُتِمَّ أَمْرَ رَسُولِهِ، وَأَنْ يُظْهِرَهُ اللهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوءِ الَّذِي ظَنَّهُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ فِي سُورَةِ الْفَتْحِ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السَّوءِ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ غَيرَ مَا يَلِيقُ بِهِ -سُبْحَانَهُ- وَمَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ وَوَعْدِهِ الصَّادِقِ، فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُدِيلُ [-أي: يغلب-] الْبَاطِلَ عَلَى الحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقِرَّةً يَضْمَحِلُّ [-أَيْ: يَذْهَبُ وَيَتَلَاشَى-] مَعَهَا الحَقُّ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ مَا جَرَى بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَرُهُ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ يَسْتَحِقُّ عَلَيهَا الحَمْدَ، بَلْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ، فَذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ.

وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ، وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيرِهِمْ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللهَ وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ وَمُوجِبَ حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ، فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ [-أَي: الْعَاقِلُ-] النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا، وَلْيَتُبْ إِلَى اللهِ، وَلْيَسْتَغْفِرْهُ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوءِ، وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَنُّتًا عَلَى الْقَدَرِ وَمَلَامَةً لَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ، وَفَتِّشْ نَفْسَكَ، هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ أَمْ لَا(١)؟

---

(١) قال العلَّامة العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في كتابه "القول المفيد على كتاب التوحيد" (٢/ ٣٩٥): أي: ففتش عنها. والحقيقة: أن الإنسان هو محل النقص والسوء، وأما الرب فهو محل الكمال المطلق الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه. اهـ قلت: والمقصود بظن السوء هنا: إثبات كل ما نفى الله عَزَّ وَجَلَّ عن نفسه، أو نفي كل ما أثبته لنفسه، كأن يُظَنَّ أنه لا يُحِبُّ ولا يَرضَى، ولا يغضب ولا يسخط، ولا يُوَالِي ولا يعادي، وأنَّه يُسَوِّي بين المتضادَّين، أو يفرِّق بين المتساويين، أو يُظَن به أنَّ له ولدًا أو شريكًا، أو يُظَن أنه لا فرق عنده بين العاصي وغيره، أو يُظَن أنه إذا دُعِيَ لم يَستجِب، أو يُظَن أنه ليس على عرشه =

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَـنْجُ مِـنْ ذِي عَظِيمَـةٍ وَإِلَّا فَـإِنِّي لَا إِخَالُـكَ[(١)] نَاجِيَـا[(٢)]

انْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ آلِ عِمْرَانَ. **الثَّانِيَةُ:** تَفْسِيرُ آيَةِ الْفَتْحِ. **الثَّالِثَةُ:** الْإِخْبَارُ بِأَنَّ ذَلِكَ أَنْوَاعٌ لَا تُحْصَرُ. **الرَّابِعَةُ:** أَنَّهُ لَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ وَعرف نَفْسَهُ.



= بائنًا من خلقه، أو يُظَن أنه لا سمع له ولا بصر، ولا علم ولا إرادة، وغير ذلك ممَّا وصف به نفسه سبحانه وتعالى، والله المستعان.

(١) أي: لا أظنك.

(٢) البيت للفرزدق. وقد نقل المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ كلام ابن القيم بتصرف. راجع: "زاد المعاد" (٣/ ٢١١).

٥٩- بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي الْقَدَرِ[(١)]

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ. ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَومِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(٢)].

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**». يَا

---

(١) **القدر**: هو سِرُّ الله المكتوم الَّذِي لا يعلمه أحدٌ إلا الله سبحانه، أو مَن شاء مِن خَلقِه، **وأما تعريفه**: فهو علم الله السابق بالأشياء وكتابته لها فِي اللوح المحفوظ وعموم مشيئته جَلَّ وَعَلَا وخلقه للأعيان والصفات القائمة بها. **وقال العلامة العثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: **يطلق (القدر) ويراد به أمران: الأول: التَّقدير. الثاني: المقدَّر**، وهو ما قدَّره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. **وقال العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: قد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة أنَّ الإيمان بالقدر أحدُ أركان الإيمان، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فمن لم يؤمن بهذا فإنه ما آمن بالله حقيقة. **وقال العلامة الفوزان** حَفِظَهُ اللَّهُ: هذا الباب عقده الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ليبيِّن أنَّ الإيمان بالقدَر من الإيمان بربوبية الله، وأنَّ مَن أنكرَ القدر فقد أشرك في توحيد الربوبيَّة، فالإيمان بالقدر من الإيمان بالربوبيَّة، فالذي لا يؤمن به فإنه لا يؤمن بربوبيَّة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأنَّه جَحَد قدرَه وعلمَه، وأنكر أن يكون ما يجري في هذا الكون بتقدير الله ومشيئَتِه، ووصف الله تعالى بالجهل وبالعجز...إلى غير ذلك. **والقدَر**: مصدرُ: (قدَرْتُ الشيء، أقدره) إذا أحطت بمقداره، **فالقدَر**: هو إحاطة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالأشياء، وعلمُه بها قبل كونها، ثم كتابتُهُ لها في اللَّوح المحفوظ، فكلُّ ما يقع في هذا الكون فهو داخلٌ في علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الأزَلي، وفيما كتبه في اللَّوح المحفوظ.

مسألة: ما الفرق بين القضاء والقدر؟

القضاء: هو علم الله السابق الَّذِي حكم الله به فِي الأزل. **والقدر**: وقوع الخلق على وزن الأمر المقضي السابق. انظر: "الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة" (١/ ٤٩٤).

(٢) رَوَاهُ مسلم برقم: (٨).

بُنَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»(١). وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى الْقَلَم، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوم الْقِيَامَةِ»(٢). وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ(٣) خَيرِهِ وَشَرِّهِ أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ»(٤).

---

(١) **صحيح:** أخرجه أبو داود برقم: (٤٧٠٠)، ومن طريقه البيهقي في "الكبرى" (١٠/ ٢٠٤)، وصَحَّحَهُ الألباني فِي "صحيح الجامع الصغير" برقم: (٨٩٠)، والوادعي فِي "الجامع الصحيح فِي القدر" (١٠٢).

(٢) **صحيح:** رواه أَحْمَدُ برقم: (٢٢٧٠٥)، وَصَحَّحَهُ طبعة الرسالة والعلَّامة الألباني فِي "صحيح وضعيف سنن التِّرْمِذِيِّ" برقم: (٣٣١٩) بلفظ: «إِلَى الأَبَدِ» بدلًا عن: «إِلَى يَوم الْقِيَامَةِ». **قال الشيخ عبدالرحمن بن قاسم** رَحِمَهُ اللهُ فِي قوله عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ...»: فيه بيان أَنَّه إِنَّما أمر حينئذٍ أن يكتب مقادير هذا الخلق إلى قيام الساعة، لا ما يكون بعد ذلك. "حاشية كتاب التوحيد" (٣٦٧).

(٣) **قال العلامة العثيمين** رَحِمَهُ اللهُ: **وللقدر أربع مراتب: المرتبة الأولى: العلم**، فنؤمن بأن الله تعالى بكل شيء عليم، علم ما كان وما يكون وكيف يكون بعلمه الأزلي الأبدي، فلا يتجدد له علم بعد جهل، ولا يلحقه نسيان بعد علم. **المرتبة الثانية: الكتابة**، فنؤمن بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[الحج:٧٠]. **المرتبة الثالثة: المشيئة**، فنؤمن بأن الله تعالى قد شاء كل ما في السماوات والأرض، لا يكون شيء إلا بمشيئته، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. **المرتبة الرابعة: الخلق**، فنؤمن بأنه ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[الزمر:٦٢-٦٣].اهـ

وقد جمعها بعضهم فقال:

عِلْمٌ، كِتَابَةُ مَوْلَانَا، مَشِيئَتُهُ ... وَخَلْقُهُ وَهْوَ إِيجَادٌ وَتَكْوِينُ

(٤) **صحيح لغيره:** أخرجه ابن وهبٍ فِي "القدر" برقم: (٢٦) من طريق الأعمش، عن عبادة بن الصامت، والأعمش لم يسمع عن أحد من الصحابة، **وعلى هذا:** فالحديث منقطع، لكن له طريق أخرى بمعناه عند ابن أبي عاصم في "السنة" (١١١) والآجري في "الشريعة" (٣٧١، ٤٣٨)، بلفظ: «الْقَدَرُ عَلَى هَذَا، مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ» بإسناد لا بأس به؛ لأجل عثمان بن أبي عاتكة والوليد بن مسلم، وعند أبي داود برقم: (٤٦٩٩)، والطبراني برقم: (٤٩٤٠)، وابن أبي عاصم في "السنة" (٢٤٥) كلهم من طريق أبي سنان سعيد بن سنان، عن وهب بن خالد، عن ابن الديلمي بإسناد حسن، بلفظ: «وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ».

وَفِي "الْمُسْنَدِ" وَ"السُّنَنِ" عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: أَتَيتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي، فَقَالَ: لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، وَحُذَيفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، وَزَيدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ[١] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ الحَاكِمُ فِي "صَحِيحِهِ"[٢].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: بَيَانُ كَيفِيَّةِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ. **الثَّانِيَةُ:** بَيَانُ فَرْضِ الْإِيمَانِ. **الثَّالِثَةُ:** إِحْبَاطُ عَمَلِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ. **الرَّابِعَةُ:** الْإِخْبَارُ أَنَّ أَحَدًا لَا يَجِدُ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُؤْمِنَ بِهِ. **الخَامِسَةُ:** ذِكْرُ أَوَّلِ مَا خَلَقَ اللهُ. **السَّادِسَةُ:** أَنَّهُ جَرَى بِالمَقَادِيرِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ. **السَّابِعَةُ:** بَرَاءَتُهُ ﷺ مِمَّنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ. **الثَّامِنَةُ:** عَادَةُ السَّلَفِ فِي إِزَالَةِ الشُّبْهَةِ بِسُؤَالِ الْعُلَمَاءِ. **التَّاسِعَةُ:** أَنَّ الْعُلَمَاءَ أَجَابُوهُ بِمَا يُزِيلُ عَنْهُ شُبْهَتَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ نَسَبُوا الْكَلَامَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَطْ.



(١) **قلت**: وهَذَا هو منهج وعقيدة أهل السنة والجماعة، خلافًا لمن ذهب إلى أنَّ العبد هو الخالق لفعله، وهم القدرية، ومن قال بأنه مجبور لا إرادي، وهم الجبرية.

(٢) **صحيح**: صَحَّحَهُ الألباني في "تخريج السنة" لابن أبي عاصم (١٠٩)، وَحَسَّنَهُ الوادعي رَحِمَهُ اللهُ في "الصحيح المسند" (١/ ٢٩٧-٢٩٨).

٦٠- بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؟! فَلْيَخْلُقُوا(٢) ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً». أَخْرَجَاهُ(٣).

وَلَهُمَا عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللهِ»(٤). وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ(٥) صَوَّرَهَا

---

(١) أي: من الوعيد؛ لمنافاته لكمال التوحيد. **قال الشيخ سليمان آل الشيخ** رحمه الله: فالمصور لما صور الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى من إنسان وبهيمة صار مضاهيًا لخلق الله، فصار ما صور عذابًا له يوم القيامة، وكُلِّف أن يَنفُخ فيها الروحَ وليس بنافخ، فكان أشدَّ الناس عذابًا؛ لأنَّ ذنبه من أكبر الذنوب. **وقال العلامة السعدي** رحمه الله: وهذا من فروع الباب السابق أنَّه لا يحل أن يجعل لله ندًّا في النيَّات والأقوال والأفعال، **والنِّدُّ**: المشابه ولو بوجه بعيد، فاتخاذ الصور الحيوانية تشبه بخلق الله، وكذب على الخلقة الإلهية، وتمويه وتزوير، فلذلك زجر الشارع عنه. **وقال العلامة العثيمين** رحمه الله: **ومناسبة هذا الباب للتوحيد**: أنَّ في التصوير خلقًا وإبداعًا يكون به المصور مشاركًا لله في ذلك الخلق والإبداع. **وقال العلامة الفوزان** حفظه الله: التصوير سببٌ من أسباب الشِّرك، ووسيلةٌ إلى الشِّرك الذي هو ضِدُّ التَّوحيد، كما حدث لقوم نوح لَمَّا صوَّروا صور الصالحين ونصبوها في مجالسهم، وآلَ بهم الأمرُ إلى أن عبدوهم من دون الله، فأوَّلُ شركٍ حصل في الأرض كان بسبب الصور وبسبب التَّصوير.

(٢) وهذا أمر تعجيزي، كما هو مقرَّر عند الأصوليين.

(٣) البخاري برقم: (٧٥٥٩) واللفظ له، ومسلم برقم: (٢١١١).

(٤) أخرجه البخاري: (٥٩٥٤) واللفظ له، ومسلم: (٢١٠٧). **ومعنى: «يُضَاهِئُونَ»**: يشابهون.

(٥) **قال الإمام النووي** رحمه الله في "شرحه على مسلم" (١٤/ ٩٠-٩١):...**وأمَّا قوله في رواية بن عبَّاسٍ**: **«يَجْعَلُ لَهُ»**: فَهُوَ بِفَتْحِ الْيَاءِ مِنْ: (يَجْعَلُ)، وَالْفَاعِلُ هُوَ اللهُ تَعَالَى، أُضْمِرَ لِلْعِلْمِ به. **قال القاضي** في رواية ابن عباس: يحتمل أَنَّ مَعْنَاهَا: أَنَّ الصُّورَةَ الَّتِي صَوَّرَهَا هِيَ تُعَذِّبُهُ بَعْدَ أَنْ يُجْعَلَ فِيهَا رُوحٌ، وَتَكُونُ الْبَاءُ فِي: **«بِكُلِّ»** بِمَعْنَى (فِي). **قَالَ**: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُجْعَلَ لَهُ بِعَدَدِ كُلِّ صُورَةٍ وَمَكَانَهَا شَخْصٌ يُعَذِّبُهُ، وَتَكُونُ الْبَاءُ بِمَعْنَى لَامِ السَّبَبِ. وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ صَرِيحَةٌ فِي تَحْرِيمِ تَصْوِيرِ الْحَيَوَانِ، وأنَّه غليظ =

نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ»[(١)]. وَلَهُمَا **عَنْهُ** مَرْفُوعًا: **«مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيسَ بِنَافِخٍ»**[(٢)].

وَلِمُسْلِمٍ[(٣)] عَنْ أَبِي الهَيَّاجِ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟: **«أَلَّا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»**[(٤)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: التَّغْلِيظُ الشَّدِيدُ فِي الْمُصَوِّرِينَ. **الثَّانِيَةُ**: التَّنْبِيهُ عَلَى الْعِلَّةِ، وَهُوَ تَرْكُ الْأَدَبِ مَعَ اللهِ؛ لِقَولِهِ: **«وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي»**. **الثَّالِثَةُ**: التَّنْبِيهُ عَلَى قُدْرَتِهِ وَعَجْزِهِمْ؛ لِقَولِهِ: **«فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ حَبَّةً، أَوْ شَعِيرَةً»**. **الرَّابِعَةُ**: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا. **الْخَامِسَةُ**: أَنَّ اللهَ يَخْلُقُ بِعَدَدِ كُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا يُعَذِّبُ بِهَا الْمُصَوِّرَ فِي جَهَنَّمَ. **السَّادِسَةُ**: أَنَّهُ يُكَلَّفُ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ. **السَّابِعَةُ**: الْأَمْرُ بِطَمْسِهَا إِذَا وُجِدَتْ.



= التحريم، **وأما الشجر ونحوه مما لا روح فيه**: فلا تحرم صنعته ولا التكسب بِهِ، وَسَوَاءٌ الشَّجَرُ الْمُثْمِرُ وَغَيْرُهُ، وَهَذَا مَذْهَبُ العلماء كافة.

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٢٢٥)، ومسلم برقم: (٢١١٠)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٢٢٢٥)، ومسلم برقم: (٢١١٠)، واللفظ له.

(٣) برقم: (٩٦٩)، بابٌ في اللحد ونصب اللبن على الميت.

(٤) أي: بالأرض؛ لما في تعلِيَتِها من الفتنة بأصحابها، وهذا من أكبر وسائل الشرك وذرائعه، ناهيك عما يحصل في تعظيمها من شدِّ الرِّحال إليها وقصد العبادة عندها، وربما حصل إثر ذلك اختلاط الرجال بالنساء، بل والزنا واللواط وتصوير ذوات الأرواح وغير ذلك مما نهاه الله ﷻ وزجره، لكن هي الدنيا سيقت لهؤلاء من قِبَل أهل الكفر والإلحاد، فلا يستطيعون ترك هذه الشِّركيَّات؛ لكثرة الأموال التي تأتيهم من قِبَل أعداء الإسلام بواسطة بعض أرباب الأموال، فهم يستلمون أموالًا باهظة لأجل الإحداث في الدين وزرع الشَّرِّ في بلاد المسلمين، ولا تلتفت إلى من يُظهِر منهم الفقرَ والزُّهدَ والتواضعَ ونحو ذلك، إنما هو من باب ذر الرماد في أعين الغافلين.

٦١- بَابُ مَا جَاءَ(١) فِي كَثْرَةِ الْحَلِفِ(٢)

وَقَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾[المائدة:٨٩].

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مُمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ(٣)». أَخْرَجَاهُ(٤).

وَعَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه(٥)، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ(٦) لَا يُكَلِّمُهُمْ

---

(١) أي: من النهي عنه والوعيد الشديد.

(٢) الحلف -بفتح فكسر-: معناه: اليمين. والمقصود به هنا: اليمين الكاذب. قال العلامة السعدي رحمه الله: أصل اليمين إنها شُرِعَت تأكيدًا للأمر المحلوف عليه، وتعظيمًا للخالق، ولهذا وجب أن لا يحلف إلا لله، وكان الحلف بغيره من الشرك، ومن تمام هذا التعظيم: أن لا يحلف بالله إلا صادقًا، ومن تمام هذا التعظيم: أن يحترم اسمه العظيم عن كثرة الحلف بالكذب، وكثرة الحلف تنافي التعظيم الذي هو روح التوحيد. وقال العلامة العثيمين رحمه الله: الحلف: هو اليمين والقَسَم، وهو تأكيد الشيء بذكر معظَّم بصيغة مخصوصة بأحد حروف القسم، وهي (الباء، والواو، والتاء). ومناسبة الباب لكتاب التوحيد: أنَّ كثرة الحلف بالله يدل على أنه ليس في قلب الحالف من تعظيم الله ما يقتضي هيبة الحلف بالله، وتعظيم الله تعالى من تمام التوحيد. وقال العلامة الفوزان حفظه الله: والحلف -كما سبق-: هو تأكيد شيء بذكر معظَّم بأحد حروف القسم، التي هي (الواو، والباء، والتَّاء). وكثرة الحلف معناها الإكثار من الأيمان في كلِّ مناسبة، وقد يكون في غير داع لليمين إلَّا التغرير بالنَّاس وخداع النَّاس، كحالة المنافقين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[المجادلة:١٤]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾[القلم:١٠]، والحلَّاف: كثير الحلف، والله جلَّ وعلا ذكر ذلك من صفات المنافقين، فقال فيهم: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة:١٠٧]، وقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾[المجادلة:١٦]، يعني: سُتْرةً يتستَّرون بها أمام النَّاس؛ ليصدِّقوهم، وكلَّما قل الإيمان أو عدم الإيمان في القلب حصل التهاوُن باليمين والحلف.

(٣) أي: مذهبة لبركة المكتسب من اليمين.

(٤) البخاري برقم: (٢٠٨٧) بلفظ: «مُمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ»، ومسلم برقم: (١٦٠٦) بلفظ: «مُمْحَقَةٌ لِلرِّبْحِ».

(٥) هُوَ سَلْمَانُ ابْنُ الإِسْلَامِ، أَبُو عَبْدِ الله الفَارِسِيُّ، سَابِقُ الفُرْسِ إِلَى الإِسْلَامِ. صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ وَخَدَمَهُ، وَحَدَّثَ عَنْهُ. توفي سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ.

(٦) وهذا ليس على سبيل الحصر.

اللهُ[(١)]، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَـهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيمِطٌ زَانٍ[(٢)]، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ[(٣)]، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ[(٤)] لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ[(٥)]. وَفِي "الصَّحِيحِ"[(٦)] عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيرُ أُمَّتِي قَرْنِي[(٧)]، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ[(٨)]، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ -قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذْكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَينِ أَوْ ثَلَاثًا؟- ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ[(٩)]، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا

---

(١) أي: لا يكلمهم بكلام رحمة.

(٢) قوله: «أُشَيْمِطٌ زَانٍ»: أي: كبير السن الذي خالط سوادَ شعره بياضٌ. قال الشيخ سليمان آل الشيخ رحمه الله: صَغَّره تحقيرًا له، وذلك لأنَّ داعي المعصية ضعف في حقه، فدل على أن الحامل له على الزنا محبة المعصية والفجور، وعدم خوفه من الله، وضعف الداعي إلى المعصية مع فعلها يوجب تغليظ العقوبة عليه، بخلاف الشاب؛ فإنَّ قوة داعي الشهوة منه قد تغلبه مع خوفه من الله، وقد يرجع على نفسه بالندم ولومها على المعصية، فينتهي ويراجع.

(٣) قال الشيخ سليمان آل الشيخ رحمه الله:...العائل المستكبر ليس له ما يدعوه إلى الكبر؛ لأنَّ الداعي إلى الكبر في الغالب كثرة المال والنعم والرياسة، والعائل الفقير لا داعي له إلى أن يستكبر، فاستكباره مع عدم الداعي إليه يدل على أن الكبر طبيعةٌ له، كَامِنٌ في قلبه، فعظمت عقوبته؛ لعدم الداعي إلى هذا الخلق الذميم الذي هو من أكبر المعاصي.

(٤) قال الشيخ سليمان آل الشيخ رحمه الله: قوله: «وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ»: بنصب الاسم الشريف، أي: الحلف به جعله بضاعته؛ لملازمته له وغلبته عليه، وهذه أعمال تدل على أن صاحبها إن كان موحدًا فتوحيده ضعيف، وأعماله ضعيفة بحسب ما قام بقلبه وظهر على لسانه وعمله من تلك المعاصي العظيمة على قلة الداعي إليها، نسأل الله السلامة والعافية...إلى آخره.

(٥) **صحيح:** أخرجه الطبراني (٦/ ٢٤٦) برقم: (٦١١١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في "الصحيحة" (٧/ ١٣٦٤) و"صحيح الجامع" (٣٠٧٢) و"صحيح الترغيب" (٢/ ٣٤٤).

(٦) البخاري برقم: (٣٦٥٠)، ومسلم برقم: (٢٥٣٥).

(٧) **القرن:** هو رأس مائة سنة.

(٨) أي: التابعون.

(٩) أي: يشهدون قبل أن تُطلَب منهم الشهادة؛ لاستخفافهم بها، وربَّما جعلوها وسيلة لكسب المال، كما هو الحال في بعض المحاكم والعياذ بالله.

يُوفُونَ[(١)]، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»[(٢)]. وَفِيهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»[(٣)].

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ[(٤)].

---

(١) أي: بالنذر. قال العلامة الفوزان حفظه الله: النذر لغة: التزامُ الشيء. وشرعًا: التزام طاعةٍ لله لم تكن واجبةً بأصل الشَّرع، فالتزام العبد طاعةً لله لم تكن واجبة بأصل الشرع، وإنَّما تجب عليه بالنذر، فإذا التزم عبادةً لله فإنَّها تجب عليه، ويجب عليه الوفاء بها.

(٢) قال العلامة الفوزان حفظه الله: وذلك لأنَّهم يُرفِّهون أنفسهم، ويشتغلون بملذَّاتهم وشهواتِهم، وينسون الآخرة وينسون الحساب، فهم يستعجلون ملذَّاتهم وشهواتهم ويشتغلون بها عن طاعة الله سبحانه وتعالى، فيصيرون كالبهائم التي تأكُل وتَسمَن، فإذا كان السِّمَن سببُهُ هذا فهو مذموم، أمَّا إذا كان السِّمَن ليس من أجل هذا، وإنَّما هو عارضٌ عرض للإنسان مع قيامِه بحقِّ الله سبحانه وتعالى، وأدائِه لفرائضِ الله، وعمله لآخرته، فهذا ليس مذمومًا.

(٣) أخرجه البخاري: (٢٦٥٢) واللفظ له، ومسلم: (٢٥٣٣)، دون: «ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» الثَّالِثَة.

(٤) رواه البخاري برقم: (٢٦٥٢،٣٦٥١) واللفظ له، ومسلم برقم: (٢٥٣٣،٢١١) بلفظ: (كَانُوا يَنْهُونَنَا وَنَحْنُ غِلْمَانٌ عَنِ الْعَهْدِ وَالشَّهَادَاتِ).

ويستفاد من أثر إبراهيم النخعي رحمه الله جواز ضرب الصبي على الأخلاق إذا لم يتأدَّب إلَّا بالضرب. قال العلامة الفوزان حفظه الله: كانوا يضربون الأطفال إذا سمعوهم يشهدون أو يحلفون؛ تأديبًا لهم؛ ليربُّوهم على تعظيم الشهادة وتعظيم اليمين، حتى ينشأوا على ذلك؛ لأنَّ الطفل ينشأ على ما عُوِّد عليه، فإذا عُوِّد الالتزام والطَّاعة فإنَّه ينشأُ على ذلك ويشبُّ عليه، و(مَنْ شَبَّ عَلَى شَيْءٍ شَابَ عَلَيه)، كما قال الشاعر:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفِتْيَانِ مِنَّا ... عَلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ

فالتربية لها شأن كبير ولها أثر بليغ، لاسيَّما في صغير السنِّ، فإنَّك إذا نهيتَه عن شيء أو أمرتَه بشيء ينغرسُ هذا في ذاكرَتِهِ ولا ينساه أبدًا، وإذا صحِب هذا تأديبٌ فإنَّه يكون أبلغ، فهذا فيه العناية بالنَّاشئة وتربيتهم وتأديبِهم، وفيه أيضًا: أنَّ الضرب وسيلةٌ من وسائل التربية، وأنَّ السلف كانوا يستعملونَه، بل إنَّ الرَّسولَ ﷺ أَمَر بالضَّرب، فقال: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعٍ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرٍ»، بل الله جل وعلا أمر بالضرب أيضًا للتأديب في حقِّ الزوجات: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾[النساء:٣٤]، وقال ﷺ: «لَا يُضْرَبُ فَوْقَ عَشَرَةِ=

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: الْوَصِيَّةُ بِحِفْظِ الْأَيْمَانِ. **الثَّانِيَةُ**: الْإِخْبَارُ بِأَنَّ الحَلِفَ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ. **الثَّالِثَةُ**: الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِيمَنْ لَا يَبِيعُ وَلَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ. **الرَّابِعَةُ**: التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الذَّنْبَ يَعْظُمُ مَعَ قِلَّةِ الدَّاعِي. **الخَامِسَةُ**: ذَمُّ الَّذِينَ يَحْلِفُونَ وَلَا يُسْتَحْلَفُونَ. **السَّادِسَةُ**: ثَنَاؤُهُ ﷺ عَلَى الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ، أَو الْأَرْبَعَةِ، وَذِكْرُ مَا يَحْدُثُ بَعْدَهُمْ. **السَّابِعَةُ**: ذَمُّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ. **الثَّامِنَةُ**: كَوْنُ السَّلَفِ يَضْرِبُونَ الصِّغَارَ عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ.



= **أَسْوَاطٍ إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله»**، فالضَّرب وسيلة من وسائل التربية، فللمعلِّم أن يضرب، وللمؤدِّب أن يضرب، ولوليِّ الأمر أن يضرب تأديبًا وتعزيرًا، وللزوج أن يضرب زوجته على النشوز، فالذين يُنكرون الضَّرب ويمنعون منه، ويقولون: إنَّه وسيلة فاشلة، هؤلاء متأثِّرون بالغرب وبتربية الغرب، وهم ينقلون إلينا ما تحمَّلوه عن هؤلاء؛ لأنهم تعلَّموا على أيديهم، أمَّا ما جاء عن الله وعن رسوله وعن سلفنا الصالح: فهو أنَّ الضرب وسيلة ناجحة، لكن يكون بحدود، لا يكون ضربًا مُبرِّحًا يشقُّ الجلْدَ، أو يكسرُ العظمَ، وإنَّما يكون بقدر الحاجة. "إعانة المستفيد" (٢/ ٢٨٢).

٦٢- بَابُ مَا جَاءَ[(١)] فِي ذِمَّةِ[(٢)] اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ

وَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ[(٣)] إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [لَا تُبْطِلُوهَا بَعْدَ تَغْلِيظِهَا] ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [شَاهِدًا] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل:٩١].

وَعَنْ بُرَيدَةَ[(٤)] رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ[(٥)] أَوْ سَرِيَّةٍ[(٦)] أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى الله[(٧)] تَعَالَى وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيرًا،

(١) أي: من الوعيد؛ إذ أنَّ عدم الوفاء بالعهود قدحٌ في التوحيد.

(٢) الذِّمَّة: العهد. وسُمِّي بذلك؛ لأنه يلتزم به كما يلتزم صاحب الدَّين بدَيْنه في ذمته. اهـ من "القول المفيد" (٢/ ٤٧٥). قال ابن كثير رحمه الله في "تفسيره" (٤/ ٥٩٨): وهذا مما يأمر الله تعالى به، وهو الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الأيمان المؤكدة. اهـ وقال الفوزان حفظه الله: نقض العهود فيه نقصٌ في التَّوحيد؛ لأنَّه يدلُّ على عدم احترام عهدِ الله، ومن لم يحترم عهد الله فإنَّ هذا يدلُّ على نقص توحيده، ومن وفى بعهد الله وعظَّم عهد الله فهذا يدلُّ على كمال توحيده. اهـ وقال السعدي رحمه الله: المقصود من هذه الترجمة: البعد والحذر من التعرض للأحوال التي يخشى منها نقض العهود، والإخلال بها بعدما يجعل للأعداء المعاهدين ذمة الله وذمة رسوله، فإنه متى وقع النقض في هذه الحال كان انتهاكًا من المسلمين لذمة الله وذمة نبيه، وتركًا لتعظيم الله، وارتكابًا لأكبر المفسدتين كما نبَّه عليه ﷺ، وفي ذلك أيضًا تهوين للدين والإسلام وتزهيد للكفار به؛ فإنَّ الوفاء بالعهود خصوصًا المؤكدة بأغلظ المواثيق من محاسن الإسلام الداعية للأعداء المنصفين إلى تفضيله واتباعه.

(٣) وهذه إضافة تشريف، وإلَّا العهد: هو الَّذي يكون بين المتعاقدين.

(٤) وَهُوَ: ابنُ الحُصَيْبِ بنِ عَبْدِ الله بْنِ الحَارِثِ بنِ الأَعْرَجِ بنِ سَعْدٍ، أَبُو عَبْدِ الله -وَقِيْلَ: أَبُو سَهْلٍ، وَأَبُو سَاسَانَ، وَأَبُو الحُصَيْبِ- الأَسْلَمِيُّ. قِيْلَ: إِنَّهُ أَسْلَمَ عَامَ الهِجْرَةِ؛ إِذْ مَرَّ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُهَاجِرًا، وَشَهِدَ غَزْوَةَ خَيْبَرَ، وَالفَتْحَ، وَكَانَ مَعَهُ اللِّوَاءُ. رَوَى لَهُ الجَمَاعَةُ. مَاتَ رضي الله عنه سَنَةَ: ثَلَاثٍ وَسِتِّين.

(٥) الجيش: هو ما كَانَ فوق أربعمائة من المقاتلين.

(٦) السَّرِيَّةُ: هي ما سُري من المقاتلين دون الأربعمائة ليلًا.

(٧) قال شيخ الإسلام رحمه الله: التَّقوَى: فِعلُ ما أمر الله به، وتَركُ ما نهى الله عنه. وقال طلق بن حبيب رحمه الله: أن يعمل بطاعة الله عز وجل رجاء رحمته على نورٍ من الله، وأن يترك معصية الله مخافة عذابه على نور منه. وقال علي رضي الله عنه: هو العمل بالتنزيل، والخوف من الجليل، والرضا بالقليل.

فَقَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا[١] وَلَا تُمَثِّلُوا[٢]، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ -أَوْ خِلَالٍ- فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ[٣] ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيهِمْ حُكْمُ اللهِ تَعَالَى، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ[٤] وَالْفَيْءِ[٥] شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوا فَاسْأَلْـهُمُ الْجِزْيَةَ[٦]، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ.

وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ[٧] فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ؛ فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا[٨] ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَإِذَا

---

(١) **الغلول**: هو أن يؤخذ شيءٌ من الغنيمة قبل القسمة. **والغدر**: الخيانة في العهد.

(٢) **التمثيل**: هو التشويه بقطع بعض الأعضاء، كالأنف واللسان وغيرهما. "القول المفيد" (٢/ ٤٨١).

(٣) **قال العثيمين** رَحِمَهُ اللهُ: **قوله: «ثُمَّ ادْعُهُمْ»**: (ثُمَّ): زائدة؛ كما في رواية أبي داود، ولأنه ليس لها معنى، ويمكن أن يقال: إنها ليست من كلام الرسول ﷺ، بل من كلام الراوي على تقدير: ثمَّ قال: ادعُهُم.

(٤) **الغنيمة**: ما أُخِذَ من أموال الكفار بقتال، أو ما ألحق به.

(٥) **الفيء**: هو ما يُصرَف لبيت المال، كخمسة خمس الغنيمة، والجِزية، والخراج.

(٦) **الجزية**: هي مقدارٌ من المال يدفعه الكافر؛ حَتَّى يُحقَنَ دمُهُ ويعيش تحت ظل الإسلام وحُكْم الإسلام ويبقى عَلَى كفره، لكن يكون خاضعًا لحكم الإسلام. "إعانة المستفيد" (٢/ ٤١١).

(٧) **الحصن**: هو كل مكَانٍ مَحْمِيٍّ.

(٨) أي: تنقضوا، وهذا من باب خوف الوقوع فِي المحذور، وإلا فالصحابة أَعدَل الخلق بعد الأنبياء.

حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ فَلَا تُنْزِلْهُمْ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا؟». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(١)].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: الْفَرْقُ بَيْنَ ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ وَذِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ. **الثَّانِيَةُ**: الْإِرْشَادُ إِلَى أَقَلِّ الْأَمْرَيْنِ خَطَرًا. **الثَّالِثَةُ**: قَوْلُهُ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ». **الرَّابِعَةُ**: قَوْلُهُ: «قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ». **الْخَامِسَةُ**: قَوْلُهُ: «اسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ». **السَّادِسَةُ**: الْفَرْقُ بَيْنَ حُكْمِ اللهِ وَحُكْمِ الْعُلَمَاءِ. **السَّابِعَةُ**: فِي كَوْنِ الصَّحَابِيِّ يَحْكُمُ عِنْدَ الْحَاجَةِ بِحُكْمٍ لَا يَدْرِي أَيُوَافِقُ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا؟.



---

(١) أخرجه مسلم: (١٧٣١)(٣).

٦٣- بَابُ مَا جَاءَ[(١)] فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ بِلاَ عِلْمٍ[(٢)]

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَمَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟! إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(٣)]. وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ، أَنَّ الْقَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ، قَالَ أَبُو هُرَيرَةَ: تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ[(٤)].

---

(١) أي: من الوعيد فِي الإقسام عَلَى الله بغير علم.

(٢) ويُسمَّى بـ: (التألي)، وَهُوَ منافٍ لأصل التوحيد؛ لما فيه من قلة الأدب مع الله، وإساءة الظن به وتحجير فضله، وهَذَا إذا كَانَ الحامل لَهُ الإعجاب بالنفس، أما إذا كَانَ لقوة رجائه بربه أو كَانَ مما أخبر الشارع فهَذَا لا بأس به، والله أعلم. قال العلامة العثيمين رحمه الله: الإقسام: مصدر: (أَقْسَمَ، يُقْسِمُ) إذا حَلَف، والحلف له عدة أسماء، هي: (يمين، وألية، وحلف، وقسم)، وكلها بمعنى واحد، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾[الواقعة:٧٥]، وقال: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ﴾[البقرة:٢٢٦]، أي: يحلفون، وقال: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾[المائدة:٨٩]، وقال تعالى: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ﴾[التوبة:٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾[النحل:٣٨]. وقال العلامة الفوزان حفظه الله: الإقسام على الله: هو الحلف على الله، فإن كان هذا الحلف على الله بأنَّه لا يرحم عباده ولا يغفرُ لهم ولا يُدخل أحدًا منهم الجنَّة فهذا محرَّم، وهو سوء أدبٍ مع الله تعالى؛ لأنَّ معناه: الحجر على الله تعالى، ولا أحد يمنع الله من أن يتصرَّف في خلقه، وأن يرحم من شاء ويعذِّب من شاء، وأن يغفر لمن شاء، فالذي يفعل هذا قد أساء الأدب مع الله، وتنقَّص الله سبحانه وتعالى، فهذا النوع يُعتبر مُخلًّا بالتَّوحيد...إلى أن قال: الإقسام على الله له احتمالان أو وجهان: الاحتمال الأوَّل: هو ما ذكرنا، وهذا ممنوع وحرام، ومخِلٌّ بالعقيدة. النوع الثاني من الإقسام على الله: أن يكون على وجه حسن الظنِّ بالله أن يفعل الخير، وأن يغفر لعباده وأن يسقيهم المطر، وأن ينصرهم على الأعداء، فهذا لا بأس به؛ لأنَّه حسن ظنٍّ بالله، وقد جاء في الحديث: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ»، وقال النَّبي ﷺ: «رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ».

(٣) رَوَاهُ مسلم برقم: (٢٦٢١).

(٤) **حسن:** أخرجه أحمد في "مسنده" برقم: (٨٢٩٢)، وأبو داود برقم: (٤٩٠١)، وحَسَّنَهُ الألباني فِي "التعليقات الحسان" برقم: (٥٦٨٢)، والوادعي فِي "الصحيح المسند" (٢/ ٣٣٣).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: التَّحْذِيرُ مِنَ التَّأَلِّي عَلَى اللهِ. **الثَّانِيَةُ**: كَونُ النَّارِ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِنَا مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ. **الثَّالِثَةُ**: أَنَّ الجَنَّةَ مِثْلُ ذَلِكَ. **الرَّابِعَةُ**: فِيهِ شَاهِدٌ لِقَولِهِ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ**...» إِلَى آخِرِهِ. **الخَامِسَةُ**: أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يُغْفَرُ لَهُ بِسَبَبٍ هُوَ مِنْ أَكْرَهِ الْأُمُورِ إِلَيهِ.



٦٤- بَابٌ: لا يُسْتَشْفَعُ(١) بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ(٢)

عَنْ جُبَيرِ بْنِ مُطْعِمٍ(٣) رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله نُهِكَتِ(٤) الْأَنْفُسُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، وَهَلَكَتِ الْأَمْوَالُ؛ فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ؛ فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِالله عَلَيكَ، وَبِكَ عَلَى الله. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سُبْحَانَ الله! سُبْحَانَ الله!»، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَيْحَكَ(٥)، أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ شَأْنَ الله أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِالله عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ». وَذَكَرَ الحَدِيثَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ(٦).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: إِنْكَارُهُ عَلَى مَنْ قَالَ: «إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِالله عَلَيكَ». **الثَّانِيَةُ:** تَغَيُّرُهُ تَغَيُّرًا عُرِفَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ. **الثَّالِثَةُ:** أَنَّهُ لَمْ يُنكِرْ عَلَيهِ قَولَهُ:

---

(١) أي: لا تُطلبُ الشفاعة بالله على أحد من خلقه؛ لما ينافي ذَلِكَ علوَّ الله عز وجل على خلقه.

(٢) قال العلامة السعدي رحمه الله: أما الإقسام على الله: فهو في الغالب من باب العُجْب بالنفس والإدلال على الله، وسوء الأدب معه، ولا يتم الإيمان حتى يَسلَم من ذلك كلِّه، وأما الاستشفاع بالله على خلقه: فهو تعالى أعظم شأنًا من أن يُتَوَسَّل به إلى خلقه؛ لأنَّ رتبةَ المتوَسَّل به غالبًا دون رتبة المتوَسَّل إليه، وذلك من سوء الأدب مع الله، فيتعين تركه؛ فإن الشفعاء لا يشفعون عنده إلا بإذنه، وكلهم يخافونه، فكيف يعكس الأمر فيجعل هو الشافع، وهو الكبير العظيم الذي خضعت له الرقاب، وذلَّت له الكائنات بأسرها. "القول السديد" (١٨٧).

(٣) هو: جُبَيْرُ بنُ مُطْعِمِ بنِ عَدِيِّ بنِ نَوفَلِ بنِ عَبْدِ مَنَافِ ابنِ قُصَيٍّ القرشي، النوفلي، أَبُو مُحَمَّد، وقيل: أَبُو عدي المدني، لهُ صُحبَةٌ. قدم على النَّبِيِّ ﷺ المدينةَ في فداء أسارى بدر وهو مشرك، ثم أسلم بعد ذلك قبل عام خيبر، وقيل: يوم الفتح، وتوفِّي بالمدينة سنة: تِسعٍ وخمسين. "التهذيب" (٤/ ٥٠٦).

(٤) أي: ضَعُفَت.

(٥) أي: زجرًا لك، أو أترحَّم لك وأحِنُّ عليك.

(٦) **ضعيف:** رواه أبو داود برقم: (٢٣٢٦)، والطبراني برقم: (١٥٤٧)، وضعفه الألباني في "الضعيفة" برقم: (٢٦٣٩) و"المشكاة" برقم: (٥٧٢٧).

«نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ». **الرَّابِعَةُ**: التَّنْبِيهُ عَلَى تَفْسِيرِ: **«سُبْحَانَ اللهِ»**. **الخَامِسَةُ**: أَنَّ المُسْلِمِينَ يَسْأَلُونَهُ ﷺ الِاسْتِسْقَاءَ.



٦٥- بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ[١] النَّبِيِّ ﷺ حِمَى التَّوحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ[٢]

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ[٣] رضي الله عنه، قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا[٤]، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ[٥]، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ[٦] الشَّيْطَانُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ[٧].

---

(١) المراد بالحماية: المنع والصَّون عن كل ما يسوء من الأقوال والأفعال. قال العلامة الفوزان حفظه الله: الحماية معناها: المنع، أي: منعه ﷺ. (حِمَى التَّوحِيدِ): أي: ما حول التَّوحيد. (وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ): الطرق: هي الأشياء التي توصِّل إلى الشيء، فالنَّبيُّ ﷺ سدَّ الوسائل والأسباب التي تؤدِّي إلى الشرك وإن لم تكن هي من الشِّرْك، لكن لَمَّا كانت تؤدِّي إلى الشرك منع منها النَّبيُّ ﷺ احتياطًا للتَّوحيد.

(٢) قال العلامة السعدي رحمه الله: تقدَّم نظير هذه الترجمة، وأعادها المصنف اهتمامًا بالمقام؛ فإنَّ التوحيد لا يتم ولا يُحفَظ ولا يُحصَّن إلا باجتناب جميع الطرق المفضية إلى الشرك، **والفرق بين البابين**: أنَّ الأول فيه حماية التوحيد بسدِّ الطرق الفعلية، وهذا الباب فيه حمايته وسده بالتأدب والتَّحَفُّظ بالأقوال، فكل قول يُفضِي إلى الغُلوِّ الذي يُخشَى منه الوقوع في الشرك فإنه يتعين اجتنابه، ولا يتم التوحيد إلا بتركه. والحاصل: أنَّ تمام التوحيد بالقيام بشروطه وأركانه ومكملاته ومحققاته، وباجتناب نواقضه ومنقصاته ظاهرًا وباطنًا، قولًا وفعلًا، وإرادةً واعتقادًا.

(٣) وهو: ابن عوف بن كعب بن وقدان بن الحريش الحرشي العامري، والد مطرف بن عَبد الله بن الشِّخِّير، ويزيد بن عَبد الله بنِ الشِّخِّير، وهانئ بن عَبد الله بنِ الشِّخِّير. له صحبة. روى له الجماعة سوى البخاري. "التهذيب" (٤/ ٤٩٣).

(٤) أي: شرفًا وغِنًى.

(٥) أي: ما كَانَ يرضي الله عز وجل من الأقوال، وكَانَ من دينكم ومِلَّتِكُم.

(٦) أي: لا يتخذنَّكم رسولًا يجري بأوامره.

(٧) **صحيح**: أخرجه أحمد برقم: (١٣٥٣٠) ط: (الرسالة)، وصَحَّحَهُ الألباني فِي "صحيح وضعيف سنن أبي داود" برقم: (٤٨٠٦)، والوادعي فِي "الصحيح المسند" (١/ ٥٠٠).

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، يَا خَيرَنَا وَابْنَ خيرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَولِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ**[١] **الشَّيطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ[٢].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَحْذِيرُ النَّاسِ مِنَ الْغُلُوِّ. **الثَّانِيَةُ**: مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ مَن قِيلَ لَهُ: (أَنْتَ سَيِّدُنَا). **الثَّالِثَةُ**: قَولُهُ: «**لَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيطَانُ**»، مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا إِلَّا الحَقَّ. **الرَّابِعَةُ**: قَولُهُ: «**مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوقَ مَنْزِلَتِي**».



---

(١) أي: لا يَسْتَمِيلَنَّكُم الشيطان.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد برقم: (١٢٥٥١) ط: (الرسالة)، وصَحَّحَهُ الألباني فِي "الصحيحة" برقم: (١٠٩٧).

٦٦- بَابُ[١] مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تعَالَى:

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [أي: مَا عَظَّموه حَقَّ تَعْظِيمِهِ] ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ﴾ [مَجْمُوعَةٌ] ﴿بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الزمر:٦٧].

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ[٢] مِنْ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ[٣]، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى[٤] عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الَملِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ[٥] تَصْدِيقًا لِقَولِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ

(١) قال العلامة الفوزان حفظه الله: هذا الباب ختم به المؤلِّف رحمه الله أبواب "كتاب التَّوحيد"؛ لأنه يشتمل على الأسماء والصِّفات؛ لأنَّ "كتاب التَّوحيد" كلَّه يدور على توحيد الأُلوهيَّة ومكملاته ومنقصاته ومناقضاته، وفي هذا الباب ذَكَرَ الأسماء والصِّفات من أجل أن يتكامل هذا الكتاب فيحتوي على جميع أنواع التَّوحيد؛ لأنَّ توحيد الألوهيَّة يتضمَّن توحيد الربوبيَّة، ومن جملة توحيد الربوبيَّة: الإيمان بالأسماء والصِّفات، ولكن فُصِلت الأسماء والصِّفات بقسم خاص؛ لوُجُود المخالفين فيها من فرق الجهميَّة والمعتزلة والأشاعرة ومَنْ أخذ بمذهبهم، وقد أنكر عليهم الأئمَّة مذهبهم هذا إنكارًا شديدًا، وألَّفُوا في ذلك المؤلَّفاتِ والرُّدودَ الكثيرةَ؛ لأنَّ هذا تعطيلٌ لأسماء الله وصفاته، وإلحادٌ في أسماء الله وصفاته، والله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف:١٨٠].

(٢) **الحبر**: العالم الكثير العلم.

(٣) **فيها عشرُ لغاتٍ**: بالثَّلاث فِي الهمزة والباء، والعاشر (أصبوع)، **وقد جمعها بعضهم مع (أَنْمُلَةٍ) في بيت واحد فقال:**

وَهَمْـزَ (أَنْمُلَـةٍ) ثَلِّـثْ، وَثَالِثَـهُ ... التِّسْعُ فِي (أُصْبُعٍ) وَاخْتِمْ بِـ(أُصْبُوعِ)

(٤) **الثَّرى**: هو التراب المصاب بشيء من الندى، **والمراد به هنا**: الأرض.

(٥) **النواجذ**: جمع (ناجذ)، وهي: أقصى الأضراس.

جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾(١). وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: وَالجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ(٢)، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا اللهُ. وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ. أَخْرَجَاهُ(٣).

وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما مَرْفُوعًا: «يَطْوِي اللهُ عز وجل السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ(٤)؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ السَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟»(٥).

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ(٦) فِي يَدِ أَحَدِكُمْ(٧).

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ رحمه الله: حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٤٨١١)، ومسلم برقم: (٢٧٨٦).

(٢) أي: يُحَرِّكُهُنَّ.

(٣) البخاري برقم: (٤٨٠٠)، بلفظ: «الخَلَائِق» بدلًا عن: «الخَلْق»، ومسلم برقم: (٢٧٨٦).

(٤) أي: الجائرون.

(٥) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٨٨).

(٦) الخردل: عبارة عن نبتة صغيرة يُضرَب بها المثل في صغر حجمها. ولها فوائد ذكرها صاحب "القاموس المحيط" (١/ ٩٩٢)، فقَالَ: الخردل: حَبُّ شَجَرٍ مسخن، ملطف، جاذب، قالع للبلغم، ملين هاضم، نافع طلاؤه للنقرس والنساء والبرص، ودخانه يطرد الحيَّات، وماؤه يسكن وجع الآذان تقطيرًا، ومسحوقه على الضرس الوَجِعِ غاية. اهـ

(٧) حسن: أخرجه ابن جرير (٢١/ ٣٢٤)، من طريق معاذ بن هشام، عن أبيه، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس به، ورجاله كلهم ثقات إلَّا معاذ بن هشام، قال الألباني رحمه الله في "الإرواء": فيه كلام من قِبَل حفظه. وفي "التقريب": صدوقٌ يَهِمُ.

إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ»[(١)]. وَقَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ[(٢)] رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ»[(٣)].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَينَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَينَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَينَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوقَ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ[(٤)]. أَخْرَجَهُ ابْنُ مَهْدِيٍّ[(٥)]، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِالله. وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ الْمَسْعُودِيُّ[(٦)]، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي

---

(١) **ضعيف:** أخرجه أبو الشيخ في "العظمة" (٢/ ٥٨٧)، وضعفه الألباني فِي "الضعيفة" برقم: (٦١١٨). **والتُّرس:** هو ما يَحمِل المقاتل عند القتال؛ للتَّوَقِّي من السيوف.

(٢) **اختُلِف فِي اسمه واسم أبيه اختلافًا كبيرًا:** فقيل: اسمه جندب بْن جنادة. وقيل: برير بن جنادة. وقيل: برير بن جندب. وقيل: برير بن عشرقة جندب بن عبد الله. وقِيلَ: جندب ابن السكن، **والمشهور:** جندب بن جنادة بن سفيان بن عُبَيد بن الوقيعة بن حرام بن غفار. وقيل غير ذلك. روى له الجماعة. مات فِي خلافة عُثْمَان سنة: اثنتين وثلاثين. "التهذيب" (٣٣/ ٢٩٤).

(٣) **ضعيف:** أخرجه أبو الشيخ في "العظمة" (٢/ ٥٨٧)، وضعفه العلَّامة الألباني رحمه الله فِي "الضعيفة" برقم: (٦١١٨).

(٤) **صحيح:** أورده الألباني فِي "مختصر العلوِّ للعلي العظيم" برقم: (٤٨)، وقَالَ: إسناده صحيح.

(٥) هو: عَبْد الرَّحْمَن بن مهدي بن حسَّان بن عَبْد الرحمن العنبري -وقيل: الأزدي- مولاهم، أَبُو سَعِيد البَصْرِيُّ اللؤلؤي، الإِمَامُ، الحُجَّة، النَّاقِدُ، المُجَوِّدُ، سَيِّدُ الحُفَّاظِ، القُدوَة فِي العِلْمِ وَالعَمَلِ. وُلِدَ سَنَةَ: خَمْسٍ وَثَلَاثِيْنَ وَمائَةٍ، وَطَلَبَ هَذَا الشَّأْنَ وَهُوَ ابْنُ بِضعَ عَشْرَة سَنَة. قَالَ علي بن المديني رحمه الله: ما رأيتُ أعلم منه. مات سنة: (٢٩٨) وله (٦٣) سنة. "سير أعلام النبلاء" (٩/ ١٩٢).

(٦) وهو: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَبْدِ الله بنِ عُتْبَةَ ابْنِ صَاحِبِ رَسُوْلِ الله ﷺ عَبْدِ الله بنِ مَسْعُوْدٍ الهُذَلِيُّ، المَسْعُوْدِيُّ، الكُوْفِيُّ، أَخو أَبِي العُمَيْس. قَالَ أَبُو حَاتِم: تغيَّر قبل مَوته بِيَسِير سنةٍ أَو سنتَيْن، وَكَانَ أعلم أهل زَمَانه بِحَدِيث ابْن مَسْعُود، وَتُوفِّي فِي حُدُود السِّتين وَمِائَة، وروى لَهُ الْأَرْبَعَة. "سير أعلام النبلاء" (٧/ ٩٣)، "الوافي بالوفيات" (١٨/ ٩٦).

وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ الله. قَالَهُ الحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ[١]، قَالَ: وَلَهُ طُرُقٌ.

وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ[٢] رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟»، قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثْفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللهُ تَعَالَى فَوقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[٣]. وَاللهُ أَعْلَمُ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ قَولِهِ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. **الثَّانِيَةُ**: أَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ وَأَمْثَالَهَا بَاقِيَةٌ عِنْدَ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي زَمَنِهِ ﷺ، وَلَمْ يُنْكِرُوهَا وَلَمْ يَتَأَوَّلُوهَا. **الثَّالِثَةُ**: أَنَّ الحَبْرَ لَـمَّا ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ صَدَّقَهُ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِتَقْرِيرِ ذَلِكَ. **الرَّابِعَةُ**: وُقُوعُ الضَّحِكِ الْكَثِيرِ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ لَـمَّا ذَكَرَ الحَبْرُ هَذَا الْعِلْمَ الْعَظِيمَ. **الخَامِسَةُ**: التَّصْرِيحُ بِذِكْرِ الْيَدَينِ، وَأَنَّ السَّمَوَاتِ فِي الْيَدِ الْيُمْنَى، وَأَنَّ الْأَرْضِينَ فِي الْأُخْرَى. **السَّادِسَةُ**: التَّصْرِيحُ بِتَسْمِيَتِهَا: (الشِّمَالَ). **السَّابِعَةُ**: ذِكْرُ

---

(١) هو: شمس الدِّين محمَّد بنُ أَحْمَدَ بنِ عُثْمَانَ بن قايماز بن عبد الله التركماني، الفارقي الأَصْل، الدِّمَشْقِي، أَبُو عبد الله الذَّهَبِيُّ، حَافظٌ أتقن الحَدِيث وَرِجَاله، وَنظر علله وأحواله، وَأَكْثَرَ من التصنيف، ومن تصانيفه: "تَارِيخ الإِسلام" و"سير أعلام النبلاء". ولد سنة: (٦٧٣هـ)، وتوفي سنة: (٧٤٨هـ). "الوافي بالوفيات" (٢/ ١١٤).

(٢) وهو: الْعَبَّاسُ بنُ عبد الْمُطَّلب بن هَاشم بن عبد مناف، عَمُّ رَسُول الله ﷺ أَبُو الْفضل، كَانَ أسنَّ من رَسُول الله ﷺ بِسنتَيْنِ، **وَقيل**: بِثَلَاث، وَكَانَ أنصرَ النَّاس لرَسُول الله ﷺ بعد أبي طَالب، وَكَانَ جميلًا أَبيض غضًّا ذَا ضفيرتين، معتدل الْقَامَة، **وَقيل**: كَانَ طَويلًا. عاش ثمانيًا وَثَمَانِينَ سنة، وتُوفِّي سنة: اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ لِلْهِجْرَة، وَصلَّى عَلَيْهِ عُثْمَان رضي الله عنه، وَدُفِنَ بِالبَقِيع. "الوافي" (١٦/ ٣٦٠).

(٣) **ضعيف**: ضعفه الألباني في "الضعيفة" برقم: (١٢٤٧).

الجَبَّارِينَ وَالْمُتَكَبِّرِينَ عِنْدَ ذَلِكَ. **الثَّامِنَةُ:** قَوْلُهُ: **«كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ»**. **التَّاسِعَةُ:** عِظَمُ الْكُرْسِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى السَّمَاءِ. **الْعَاشِرَةُ:** عِظَمُ الْعَرْشِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكُرْسِيِّ. **الحَادِيَة عَشرَةَ:** أَنَّ الْعَرْشَ غَيرُ الْكُرْسِيِّ وَالمَاءِ. **الثَّانِيَة عَشرَةَ:** كَمْ بَينَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ؟. **الثَّالِثَة عَشرَةَ:** كَمْ بَينَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ؟. **الرَّابِعَة عَشرَةَ:** كَمْ بَينَ الْكُرْسِيِّ وَالمَاءِ؟. **الخَامِسَة عَشرَةَ:** أَنَّ الْعَرْشَ فَوقَ المَاءِ. **السَّادِسَة عَشرَةَ:** أَنَّ اللهَ فَوقَ الْعَرْشِ. **السَّابِعَة عَشرَةَ:** كَمْ بَينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟. **الثَّامِنَة عَشرَةَ:** كِثْفُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمسِمِائَةِ سَنَةٍ. **التَّاسِعَة عَشرَةَ:** أَنَّ الْبَحْرَ الَّذِي فَوقَ السَّمَوَاتِ أَسْفَلُهُ وَأَعْلَاهُ خَمسِمِائَةِ سَنَةٍ. وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَومِ الدِّينِ.



خَاتِمَةٌ

وفي الختام: لَا يَسَعُنِي إِلَّا أَنْ أَقُولَ مَا قَالَهُ الْحَرِيرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

فَانْظُرْ إِلَيْهَا نَظَرَ الْمُسْتَحْسِنِ وَحَسِّنِ الظَّنَّ بِهَا وَأَحْسِنِ
وَإِنْ تَجِدْ عَيْبًا فَسُدَّ الْخَلَلَا فَجَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا

وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ قَالَ فِيهِمُ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: وَاللهِ لَوْ أَصَبْتُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ مَرَّةً، وَأَخْطَأْتُ مَرَّةً لَأَعَدُّوا عَلَيَّ تِلْكَ الوَاحِدَةَ.

وَفِي أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنْ يَسْمَعُوا سُبَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا مِنِّي وَمَا يَسْمَعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

وَإِلَى اللهِ الْعَظِيمِ أَرْغَبُ أَن يَجْعَل ذَلِك لوَجهِهِ الْكَرِيمِ مصروفًا، وعَلى النَّفْع بِهِ مَوْقُوفًا، وَأَن يَكْفِينَا شَرَّ الحُسَّاد، وَلَا يَفْضَحنَا يومَ التَّنَاد، بمنِّه وَكَرَمِه؛ إِنَّه الْكَرِيمُ التَّوَّاب، والرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ الْوَهَّاب.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم.



المَوضُوعَاتُ

الموضوع **الصفحة**

